الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر

كليّة الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

مطبوعة دروس خاصّة بمقياس تحليل الخطاب الأدبي 2

المستوى: سنة أولى ماستر

تخصّص: نقد حديث ومعاصر

السّداسي الثّاني

من إعداد الأستاذة:

عزوز أمينة

أستاذة محاضرة ب

السّنة الجامعيّة: 2023 -2024

بسم الله الرّحمن الرّحيم

- **مقدّمة:**

يتبوّأ كلّ من الخطاب والنّص بمكانة بارزة بين الأجناس الأدبيّة الحديثة، حيث يحملان للقارئ أنساقا فكريّة وإيديولوجيّة. كما يقدّمان كمّا هائلا من الأشكال التّعبيريّة تقوم على بنيات سرديّة متنوّعة، تنطلق من مشاريع حضاريّة تسعى إلى النّهوض بالإنسان، من خلال تتبّع تقنيات السّرد في بناء الأعمال الأدبيّة خصوصا.

في خضمّ تّنوع النّصوص السّرديّة، وفي إطار محاولة تحليل الخطاب الأدبي وتحديد الجماليّة السّرديّة في النّصوص الأدبيّة، بهدف الوصول إلى آليّات ومعطيات ومضامين النّصوص، ظهرت إشكاليّة الخطاب الأدبي بوصفها الحقل النّقدي المتخصّص ضمن إطار نظريّة الأدب. والذّي يختصّ بالنّصوص السّرديّة التّي تعدّ تجسيدا وكشفا للقضايا الاجتماعيّة.

إنّ هذا البحث يهدف إلى جعل المتعلّم قادرا على تحليل الخطاب الأدبي، وتوظيف معارفه العلميّة ومصطلحاته النّقديّة توظيفا سليما، ما يخوّل له الإمساك بالآليات الإجرائيّة المتعلّقة بتحليل الخطاب عامّة والخطاب الأدبي على وجه الخصوص، وذلك لإنتاج معرفة نقديّة جديدة تتعلّق بالتّكامل بين المناهج النّقديّة المعاصرة، القائم على تنظيم البحث النّقدي من خلال إجراءات وطرائق نقديّة تهتمّ بمختلف الأسئلة الجوهريّة للخطاب، وخاصّة الخطابات المعاصرة.

والسّيميائيّة بعدّها مقاربة للنّص، من أبرز الحقول التّي ترتكز في جانب منها على فكرة الاهتمام بتحليل الخطاب الأدبي، والنّص بأحواله الخطابيّة يخدم غرضا وظيفيّا تواصليّا، فهو محدّد في السّيميائيّة بشبكة من المفاهيم والآليّات والقرائن التّي يعتمد عليها المؤلف في إنتاج النّصوص والخطابات، وللإلمام بهذه الآليّات والوقوف عندها اقتضت هذه الدّراسة الخطّة الإجرائيّة الآتية..

المحاضرة الأولى وتناولت الخطاب والنّص من حيث الماهية والمفهوم في الدّراسات السّيميائيّة الحديثة عند العرب والغرب، وأهم الأعلام الذّين وظّفوا الخطاب والنّصّ في دراساتهم، مع الإشارة إلى تطوّر المصطلحين في المقاربات الحديثة.

المحاضرة الثّانية وكانت بعنوان التّحليل السّيميائي للخطاب السّردي، وقد اشتملت هذه المحاضرة على جزئيّات تناولت بالتفسير والشّرح المكوّن السّردي، المكوّن الخطابي، البرامج السّرديّة، النّموذج العاملي، الحالة والتّحوّل، الفضاء والزّمن، البنية السّطحيّة والعميقة، السّيمات..

كما حاولت هذه الجزئيّة ضبط مفهوم السّرديّة في الخطابين النّقديّين الغربي والعربي، مع ذكر أعلامها وترجمة مصطلحها، ويجدر بالإشارة في هذا المقام إلى أنّ المحاضرة يتمّ عرض محتواها وتقسيم أجزائها حسب قدرة المتعلّم على اكتساب المادّة العلمية وتوظيف معارفه توظيفا سليما.

تناولت المحاضرة المواليّة المربّع والتّشاكل السّيميائيّين من حيث المفهوم والمحتوي وأهميّتهما في التّحليل السّيميائي.. كما جاء في الباقي من المحاور التّحليل السّيميائيّ للخطابين الشّعريّ والقصصيّ، مع الوقوف عند أهمّ آليّات وقرائن التّحليل السّيميائي.

أمّا المحاضرة الأخيرة فقد وقفت عند إشكاليّة تلقّي المنهج السّيميائي في ضوء تحليل الخطاب الأدبي عامّة والرّوائي الجزائريّ خاصّة، وأهم ما يمكنه تشكيل صعوبة لتطبيق المنهج على النّصوص الأدبيّة.

أمّا عن المنهج المعتمد في جمع هذه المحاضرات فهو المنهج التّاريخي القائم على البحث في تطوّر المفاهيم وتنوّع النّصوص، مع حضور الوصف والتّقرير للظّواهر الفنيّة والإبداعيّة. والمنهج السّيميائي الذّي كان الموضوع الأهم فقد كان بآليّاته ومرجعيّاته..

ولتحقيق الهدف من جمع هذه المحاضرات استعنت بمجموعة من الكتب أهمّها: تحليل الخطاب الرّوائيّ، انفتاح النّص الرّوائيّ لسعيد يقطين، بنية النّص السّرديّ من منظور النّقد الأدبيّ لحميد لحمداني، وغيرهم...

وأخيرا.. لا أدّعي في هذه المحاضرات جمع أو حصر أو توثيق كل الآليّات اللّازمة لتحليل الخطاب الأدبي في ضوء الدّراسات السّيميائيّة، ولكّني سعيت إلى تقديم رؤية نقديّة مختصرة، فأسأل الله تعالى التّوفيق والحمد لله ربّ العالمين.

المحاضرة رقم 01: الخطاب والنّص في الدّراسات السّيميائيّة الحديثة..

يختلف الخطاب ويتعدّد بتعدّد ميول الإنسان، فنجد الخطاب الفلسفي، الدّيني، السّياسي والرّوائي... فالإنسان يحمل في ذاته مجموعة من الخطابات، يؤمن بها ويدافع عنها، مثل الرّوائي الذّي يختبئ خلف السّارد، فيمرّر ما شاء من أفكار وخطابات ويوجّهها مباشرة إلى متلقّي النّص الأدبي... ولم يكن هذا المصطلح أوفر حظّا من مصطلحات كثيرة علميّة لسانيّة، نقديّة معاصرة، على المستويين: المصطلح- المفهوم، فقد حظي بتعريفات متعدّدة، تتعدّد بتعدّد التّخصصات وزوايا الرّؤية.

قد "ارتبط مفهوم الخطاب بعلم الأصول، فقد نظر إليه بوصفه جنسا خاصّا من الكلام، فقد عرف الخطاب لديهم بأنّه كلّ كلام قيل قصد إفهام الغير"[1]. أي أنّ الخطاب هو ذلك الكلام المباشر الموجّه من مخاطب إلى مخاطب في سياق معيّن ليحقّق غاية وهي الإفهام. فهو مجموعة من الجمل والأفكار المنطوقة من طرف شخص (المخاطِب)، إلى شخص (المخاطَب)، تحمل هذه المجموعة رسالة ما، في ظروف معيّنة قصد غاية خاصّة، "وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا"[2] ، وقوله "وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الذِّينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُغْرَقُونَ"[3] ، فالخطاب يراد به أيضا عمليّة التّوجّه بالكلام إلى شخص ما حول موضوع معيّن. فالخطاب قد يراد به الملفوظ، وعمليّة التلفّظ كذلك، فالقول ملفوظ، والخطاب نظام يحكم عمليّة التلفّظ.

ويراد بالخطاب عند بعض علماء أصول الفقه أيضا "توجيه الكلام نحو الغير للإفهام"[4]. أمّا اللّغويّون المحدثون وغيرهم، فأعطوا للخطاب مفاهيم متعدّدة وكثيرة كلّ حسب مدرسته ومنهجه في الدّراسة والتّحليل. وقد وضع أبو حامد الغزالي شروطا للمخاطب (المتلقي)، وذلك "بأن يخلق الله تعالى في السّامع علما ضروريّا بثلاثة أمور: بالمتكلّم، وبأنّ ما سمعه من كلامه، وبمراده من كلامه، فهذه ثلاثة أمور لا بدّ وأن تكون معلومة"[5]، وهذا يكشف عن وعيه السّابق بأهميّة المتلقّي بالنّسبة للخطاب، والغاية منه.

قد تطوّر مفهوم الخطاب عند العرب القدامى من "الغزالي" ، إلى **"الرّازي"** و**" ابن رشد"** وغيرهم... فالعرب "حاولوا أن يطوّروا نظريّة في النّص خدمة لأداء المعنى ودراسته، وهذا يعني أنّهم قد تجاوزوا المفهوم اللّفظي للكلام،(...) ليستقرّ عندهم أنّ المتكلّم (...) لا يتكلّم بألفاظ، ولا بجمل، ولكن من خلال نصّ. (...) فانتقلوا من البحث في مفردة أو جملة إلى البحث في خطاب يتمّ فيه تحميل المفردات والجمل بدلالات يقتضيها موضوع الخطاب"[6].

---

[1]- بدر الدّين الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تر: محمّد تامر، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص98.

[2]- سورة الفرقان، الآية63.

[3]- سورة هود، الآية37.

[4]- السيّد علوي بن أحمد السقّاف، الفوائد المكيّة فيما يحتاجه طلبة الشافعيّة من المسائل والضّوابط والقواعد الكليّة، مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة، بت، ص62.

[5]- الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دار إحياء التّراث العربي، لبنان، ج1، ط1، 1997، ص229.

[6]- ينظر منذر عيّاشي، اللّسانيات والدّلالة "الكلمة"، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1996، ص07.

ويبقى الخطاب كلاما حسب النّاقدين- "ما تركّب من مجموعة متناسقة من المفردات لها معنى مفيد، والجملة هي الصّورة اللّفظية الصّغرى، أو الوحدة الكتابيّة الدّنيا للقول أو للكلام الموضوع للفهم أو للإفهام، وهي تبيّن أنّ صورة ذهنيّة كانت قد تآلفت أجزاؤها في ذهن المتكلّم، الذّي سعى في نقلها إلى ذهن السّامع"[1]. فهو الطّريقة التّي تشكّل بها الجمل نظاما متتابعا، تتآلف فيما بينها لإعطاء نسق متحدّ، يشكّل خطابا أوسع ينطوي على أكثر من نصّ، لتحقيق هدف معيّن لتوصيل معارف.

وقد بدأ يتّضح مفهوم الخطاب بظهور كتاب "محاضرات في اللّسانيات العامّة" لفرديناند دوسوسير، الذّي عدّه مطابقا للفظة الكلام، فقد احتضن كتابه هذا مبادئ أساسيّة ساهمت في وضوح مفهوم الخطاب، ومن أهمّ هذه المبادئ التّفريق بين الدّال والمدلول واللّغة والكلام..

وتختلف هذه الرّؤية وتتعدّد بين النّقاد الآخرين باختلاف وتعدّد الرّؤية، فيذهب ميشال فوكو في كتابه "نظام الخطاب"، إلى اعتبار الخطاب "مصطلحا لسانيّا، يشمل كلّ إنتاج ذهنيّ سواء كان نثرا أم شعرا، منطوقا أم مكتوبا، فرديّا أم جماعيّا، ذاتيّا أم مؤسّسيّا"[2]..

وإنّ استعمالاته المعاصرة تدخل إلى دائرة "الكلمات الاصطلاحيّة التّي هي أقرب إلى التّرجمة، والتّي تشير حقولها الدّلالية إلى معان وافدة، ليست من قبيل الانبثاق الذّاتي في الثّقافة العربيّة، فما نقصد بالكلمة المصطلح (الخطاب) هو نوع من التّرجمة أو التّعريب لمصطلح Discourse في الإنجليزيّة ونظيره Discours في الفرنسيّة أو Diskurs في الألمانيّة"[3]. فمصطلح الخطاب يتضمّن معنى التّدافع، وإرسال الكلام والمحادثة الحرّة، وغيرها من الدّلالات التّي تفضي إلى معاني العرض والسّرد[4].

خصّص العالم الأمريكي **"هاريس"Zellig Harris** (1909-1992م)، منهجا يجعل من الخطاب شيئا مستقلاّ عن أيّة مادة مكتوبة، ففي بحثه "الخطاب" قال إنّ: "الخطاب ملفوظ طويل، أو متتالية من الجمل، تتكوّن من مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجيّة التّوزيعيّة، وبشكل يجعلنا نظلّ في مجال لسانيّ محض"[5].

فقد سعى "هاريس" إلى تحليل الخطاب بنفس التّصورات التّي تخضع لها الجملة، فتصبح كلّ العناصر تعبّر عن انتظام معيّن، يكشف عن بنية الخطاب. فقد حدّد "هاريس" من خلال هذا التّعريف حدود الخطاب وحصره في نطاق الدّراسة اللّغويّة.

---

[1]- ريمون طحّان، الألسنيّة العربيّة، دار الكتاب اللّبناني، لبنان، ط2، 1981، ص44.

[2]- ميشيل فوكو، نظام الخطاب، تر: محمّد سبيلا، دار التّنوير للطّباعة والنّشر، لبنان، ط1، 1984، ص04.

[3]- جابر عصفور، آفاق العصر، دار الهدى للثّقافة والنّشر، سوريا-دمشق، ط1، 1997، ص47.

[4]- ينظر المرجع نفسه، ص47-48.

[5]- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي من منظور النّقد الأدبي، المركز الثّقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1989، ص17.

أمّا **"بنفيست" Benveniste** .I(1902-1976م) فالجملة عنده أصغر وحدة في الخطاب، ومع الجملة يترك مجال اللّسانيات كنظام للعلامات... إلى مجال آخر، حيث اللّسان أداة للتّواصل[1]... يجعلنا "بنفيست" أمام مجالين فهناك من جهة اللّسان كمجموعة علامات مستخلصة بواسطة إجراءات صارمة، ومن جهة أخرى، هناك تجلّي اللّسان في عملية التّواصل.

وتبعا لذلك، تغدو الجملة منتمية إلى الخطاب، ويمكن تعريفها بأنّها وحدة الخطاب"[2]. فحصر اللّسانيات المعاصرة لمفهوم الخطاب عند حدود الجملة، يعبّر عن قصورها، فبرغم أنّ الخطاب مكوّن من جمل في نسق، فمن الطّبيعي أن يكون موضوعا للّسانيّات ثانية، فالخطاب يمتلك شروطه، ووحداته التّي تفوق حدود الجملة.

وهناك باحثون آخرون ينظرون إلى الخطاب من زاوية تداوليّة، محدّدين مفهومه بوصفه حوارا أو مونولوجا شفويّا أو كتابيّا، ومن بينهم **"فان دايك" Van Dyck** (1599-1641م) وغيره... وإنّ الخطاب "ليس تجمّعا بسيطا أو مفردا من الكلمات (أو الكلام بالمعنى الذي قصد إليه "دي سوسير")، ولا ينحصر معناه في قواعد ذات قوّة ضابطة للنّسق اللّغوي فحسب، إنّه ينطوي على العلاقة البينيّة التّي تصل بين الذّوات، ويكشف عن المجال المعرفي الذّي ينتج وعي الأفراد بعالمهم، ويوزّع عليهم المعرفة المبنيّة في منطوقات خطابيّة سابقة التّجهيز"[3].

ونجد أنّ الخطاب أساسه اللّغة في كلّ عملية تواصل، فهو "في كلّ اتّجاهات فهمه هو اللّغة في حالة فعل، من حيث هي ممارسة تقتضي فاعلا وتؤدّي من الوظائف ما يقترن لتأكيد أدوار اجتماعيّة معرفيّة بعينها"[4].

ويمكن القول: قد اقترن مصطلح "الخطاب" في الدّراسات العربيّة بدلالات جديدة "تشير إلى آفاق واعدة من النّظر العقلي والرّؤى المنهجيّة (...)، وأنّ أيّة نظريّة عن الخطابات تتضمّن نظريّة عن المجتمع بالضّرورة"[5].

ونستخلص من كلّ ما تقدّم عن الخطاب أنّ دلالاته تتعدّد باتّجاهاته ومجالات تحليله، وعلى هذا الأساس تختلف وتتداخل التّعريفات أحيانا حسب زاوية الرّؤية، وأحيانا أخرى تكمّل التّعريفات بعضها...

وكما نعلم فإنّ الحكي ينبني على مكوّنين أساسيين متلازمين ومتكاملين، وهما: القصّة**Histoire** والخطاب **Discours** ويمكن الحديث عن بنية الخطاب السّردي في النّص من خلال إدراك العلاقات التّي تحكم الخطاب وتكشف عن جماليّاته الدّالة، وتقف على طبيعة الوظيفة البنيويّة التي تضطلع بها في السّرد.

والتّلفّظ العمليّة التّي يفترضها كلّ الملفوظ في الخطاب، الذّي يعدّ بدوره ثمرة عن فعل التّلفظ، نفترض بأنّ محطّة التّلفّظ، هي محطّة مركّبة من تعاضد بين الأنا، والهنا، والآن **(.ego.,.hic.,.nunc.)**، في حين يعدّ الملفوظ،

---

[1]- ينظر سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي من منظور النّقد الأدبي، ص18.

[2]- المرجع نفسه، ص17.

[3]- جابر عصفور، آفاق العصر، ص49.

[4]- ينظر المرجع نفسه، ص47.

[5]- ينظر المرجع نفسه، ص50.

نفيا لها، كونه يقوم على أضدادها المتمثّلة في الهو، الهناك،.... فالتّلفّظ بهذا الفعل، على غرار فعل المتلفّظ، الذّي يعكس، خارج نطاق محطّته، وقصد المتلفّظ له، ممثّلين وأفضية وأزمن، كما لو أنّه لا علاقة له بها.

يستجيب لهذا الإجراء الانفصاليّ، إجراء عكسيّ يتمثّل في الإجراء الاتّصاليّ، الذّي يقودنا إلى محطّة التّلفظ. حيث، نجد بالتّضايف، نطاقا للقارئ، أو الجمهور، أو المستمع... ب... إحاليّ في الحالة الأولى، وب.... تلفّظيّ في الحالة الثّانية، وكلاهما ينشأ عن الموضوع السّيميائيّ المعتمل.

ففي الحكاية، يمكننا أن نلفى حالات من الإجراء الانفصاليّ الدّاخليّ، بما يكفل استيعاب حكاية داخل حكاية أخرى، وهكذا دواليك (كما هو الحال بالنّسبة لحكاية "ألف ليلة وليلة"). وفي المقابل، فإنّ تأمّل الحوار داخل المحكي مثلا (الذّي يطلق عليه سيميائيّا التّلفظ النّقول)، حيث يمكّننا أن نلفى انعكاسا واضحا للبنية التّواصليّة نفسها للتّلفظ: إنّ هذا الإجراء الاتّصاليّ الدّاخليّ، يعكس انطباعا قويّا بالواقعيّة، والصّدقيّة.

فالملفوظ يحتفظ بآثار التّلفظ، والشّيء الملاحظ (في العلوم الأخرى) لا يستقلّ بصفة جذريّة عن ملاحظه (الذّي يظلّ مشروطا، بالظّروف الثّقافيّة، والاجتماعيّة، والتّاريخيّة، والنّفسيّة، وغيرها.. تعدّ حاضنا في لحظة معيّنة لتحوّلاتها المستقبلية). وينطبق الأمر نفسه، على التّلفّظ، والتّداوليّات، حيث لا يمكننا بأيّ حال من الأحوال، أن نضع فاعل التّلفظ بين قوسين، أو أن نتجاهل علاقته بالعلامات التّي يستعملها. لقد أشرنا سابقا، إلى بعض تلك المفاهيم التّي قدمها أ.ج. غريماس..

إنّ الفاعل المتلفّظ، لا يمكنه التّصرف باستقلاليّة عن ما هو عليه، وعمّا يحسّه (استبطان)، وعمّا يتلقّاه (استظهار). إنّ وضعيّته، وتاريخه، وحالاته الرّوحية وأهواءه، ليست من دون كينونة مكشوفة، داخل الملفوظ نفسه. وهو ما يعني، بأنّ كلّ موضوع سيميائيّ قابل للتّحليل، ليس بالموضوع المنغلق على نفسه، ولكنّه في المقابل يحيل دوما إلى شيء خارجي..

يعمد التّلفّظ أساسا إلى إسقاط الممثّلين والأفضية والأزمن خارج لحظة إنتاجه: وفي الواقع، فإنّ هذا الإثبات، بنبغي أن يظلّ معلّقا بشرط أن لا يقصي هذا الإسقاط دور السّياق التّلفظي (عادة ما نتحدّث، عمّا بصطلح عليه بالنّشاط التّلفّظي)،الذّي يضمن له ما يبرّره. ومن وجهة منطقيّة، بمكننا أن نقول بأنّ التّلفّظ يستلزم الملفوظ، وأنّ الثّاني يفترض وجود الأوّل.

إضافة إلى ذلك، فإنّ المتلفّظ له ليس بالعميل البسيط، فقط لأنّه يؤدّي دورا فاعلا، لا يقلّ عن دور المتلفّظ: فالقراءة (تشتمل في معناها العام، قراءة اللّوحات الفنيّة أو قراءة المنشآت المعماريّة)، تمثّل الفعل الحقيقيّ، لإعلان العلاقة التدّاوليّة. وقد نلاحظ بوضوح مدى انخداع الجمهور بموضوع ما، وذلك لكثرة تعلّقه به، وفي هذه الحال، يشغل هذا الأخير، وضعيّة الفاعل الإيجابيّ، وذلك في مقابل المتلفّظ له بوصفه الفاعل السّلبيّ.

ثم إنّ التدّاوليّة تسمح بالالتفات لتلك العلاقات المضمرة، ضمن إطار المحادثة مثلا، التّي تجري بين شخصبن أو أكثر، ويمكننا هاهنا أن نشير إلى مجال التّحليل المحادثاتيّ، الذّي أضحى موضوعا مهمّا للتّأليف في فرنسا وغيرها...

إنّ التّلقّظ بالنّسبة للمتلقّظ له، يشبه إلى حدّ ما وجهة النّظر، المتحوّلة في لعبة الإدراك فنحن بصدد تأمّلنا للوحة فنية(...)، حيث، وضمن تقديم أيّ إجراء (=فعل)، فإنّ العودة إلى المظهرة (...)، هو ما يطبع وجهة النّظر التّي ينبغي تجنّبها من قبل المتلقّظ له، فالذّهاب مثلا إلى مكان معيّن، يمكننا تقسيمه إلى ذهاب انتقال وصول.

ويجتمع الخطاب بالسّردية، فتعدّ السّرديات النّظرية العامّة للمحكي، كما أنّها تطوّرت وتفرّعت لثلاثة فروع هي على التّوالي: السّرديّات الأدبيّة، العامّة والمقارنة. فجاءت السّرديات الأدبية لتعنى بمكوّنات الخطاب السّردي لكشف أنظمته الدّاخلية، فقد اتّجهت عنايتها إلى الخواص الأدبيّة لذلك الخطاب على مستوى الأقوال و الأفعال.

وتعدّ **السّرديات الأدبية Narratologie littéraire** أكثر التّوجهات الثّلاثة قدما، حيث تعود جذورها إلى الدّراسات البلاغية القديمة والجهود الشّعرية المقدّمة من طرف الشّكلانية الرّوسيّة، يختصّ هذا الفرع بتحليل السّرد داخل النّماذج الأدبيّة فقط سواء أكانت نثريّة أم شعريّة[1]. أمّا عن **السّرديات العامّة Narratologie générale** فهي تسمح للدّارسين بتتبّع السّرد خارج الآفاق اللّفظيّة، أي داخل الفنون البصريّة على اختلافها مثل الرّقص، السينما، الإعلان، الكاريكاتير والشّرائط المرسومة[2]...

كما تشهد السّرديات المقارنة تدخّل أنظمة سيميائيّة مختلفة تستخدم النّمط السّردي، بالإضافة إلى التّداخل بين الأجناس و التّجريب... إذ يضيف **"ميشال ماتيو كولا" M.Mathieu Colas**(1986) في مقاله تعدّ سبقا منهجيّا في هذه النّظرية حقلا ثالثا هو "السّرديّات المقارنة"، التّي تتحرّى مقارنة الأنظمة السّيميائيّة المرتبطة بالدّراسة النّظريّة لإجراءات التّبني بين هذه الأنظمة مثلما هو موجود بين الرّواية والسينما[3]. وهذا يعني أنّ ما يبحث عنه البحث السّردي المقارن هو نمط السّردي المحيّن داخل **الأنظمة السّيميائية Systémes Sémiotiques...**

ويؤكّد هذا الأمر **"أندريه غارديه" Andries Gardies**(1905-1986) أنّ موضوع السّرديات المقارنة هو "فهم الرّهان الموجود داخل فعل السّرد، في علاقته مع الوسيط الذّي تسجّل السّردية من خلاله بالتّحديد، لأنه يختبر الرّسوخ القويّ لفنّ الحكي، فهو يحصره لكي يحدّد خصائصه الجوهريّة بدقّة"[4]. فالباحث ينطلق من السّرديات العامّة إلى ميدان السّرديات المقارنة ليتناول دراسة أنواع الأنظمة السّيميائيّة التّي يظهر بها المحكي في كلّ من الرّواية والفيلم.

ويقرّ الباحث أنّ الجزء المشترك بينهما (الرّواية والفيلم) يتموضع على مستوى المحكي حيث يمكّن هذا الأخير من فهم الإجراءات السّرديّة[5]، فنستطيع الوقوف على الآليّات السّردية في الشّكلين السّرديّين وطبيعة العلاقات بينهما،

[1] - ينظر وافية بن مسعود، السّرديات المقارنة: المرجعيّات و المفاهيم، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، الجزائر، جانفي 2016، ص320.

[2] - ينظر المرجع نفسه، ص320.

[3]- Michel. Mathieu, Colas, Frontiéres de la narratologie, in Poétique N65, Paris, 1986, p103.

[4]- André Gardiens, Le récit Filmique, Hachette, Paris, 1993, p11

[5]- Ibid, p04 .

فالمحكي يسمح لنا بالوقوف على التجلّيات اللّغوية وغير اللّغوية. إنّ المحكي ميدان مشترك يبرّر لنا إمكانية المقارنة بين إنتاجين جماليّين مستقلّين هما الرّواية والفيلم[1].

وإنّ ما يأخذ صفة الحكاية يعتمد على سارد ومسرود له، ووسيط سرديّ يقوم على أحداث وشّخصيات وفضاء، يؤدّي مجموعة من الوظائف داخل علاقات تداوليّة محدّدة[2]... فإنّ المجال المشترك للأشكال الحكائيّة هو المحكي الذّي يتكوّن من عناصر ثابتة منها السّارد والمسرود له، والعناصر السّردية الأخرى من أحداث وشخصيّات وفضاء وزمان..

المحاضرة رقم 02: التّحليل السّيميائي للخطاب السّردي..

لا يزال مصطلح **"السّردية"** يعاني من عدم الاستقرار شأنه شأن بقيّة المصطلحات المعاصرة التّي تفتقر إلى تحديد مفهوم دقيق، لأنّها لا تزال في طور التشكّل والتّبلور، ممّا يدلّ على أنّ هذا العلم في تحوّل مستمر.

والسّردية "فرع من أصل كبير هو الشّعرية"[3]، كما أنّها "تبحث في مكوّنات البنية السّردية للخطاب من راوي ومروي له، ولمّا كانت بنية الخطاب السّرديّ نسيجا قوامه تفاعل تلك المكوّنات، أمكن التّأكيد على أنّ السّردية هي المبحث النّقدي الذّي يعنى بمظاهر الخطاب السّردي أسلوبا وبناء ودلالة"[4]، فهي أساسا تقوم على تحليل الخطاب..

حيث إنّها تهتمّ بجانب الشّكل من خلال الخطاب، كما تهتم بالجانب الأسلوبيّ والجانب المضموني... ومن النّقاد من يعتبرها الاختصاص الذّي ينطلق منه في دراسته للسّرد العربيّ "إنّ السّرديات هي الاختصاص الذّي أنطلق منه في معالجة السّرد العربي"[5]. وقد عاد هذا الاختصاص فرعا من علم كبير هو البويطيقا.

ويتّضح ذلك من خلال قول النّاقد: "تندرج السّرديات باعتبارها اختصاصا جزئيا يهتمّ ب(سرديّة)، الخطاب السّردي، ضمن علم كلّي هو البوطيقا، التّي تعنى ب(أدبية) الخطاب الأدبيّ بوجه عامّ، وهي بذلك تقترن ب(الشّعريّات) التّي تبحث في (شعريّة) الخطاب الشّعري"[6].

قد شهد مصطلح السّرديات تطوّرا كبيرا واختلافا من حيث المفهوم والدّلالة، فمنها ما يخصّ الحقل الأدبي، حيث يرتبط مصطلح السّرديات بالسّرد بوصفه شكلا أدبيّا يقابل الشّعر، ومنه تكون السّرديات حقلا للكتابة النّثريّة كالقصّة والرّواية... ودلالة أخرى تشمل الحقل الثّقافي حيث يعود هذا المصطلح إلى أصول غربيّة تحدّد نشأته.

- **السّرديّة في الخطاب النّقدي الغربيّ:**

---

[1] André Gardiens, Le récit Filmique -, p03.

[2] - ينظر عبد الرزّاق الزاهير، المحكي الفيلمي- قراءة سيميائيّة، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، ط1، 1994، ص08-09.

[3] - عبد الله إبراهيم، السّردية العربيّة (بحث في البنية السّردية للموروث الحكائي العربيّ)، المركز الثّقافي العربي، ط1، 1995، ص09.

[4] - عبد الله إبراهيم، موسوعة السّرد العربي، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، ج1، الأردن، طبعة جديدة وموسّعة، 2008، ص08.

[5] - سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدّمة للسّرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، ط1، 1997، ص22.

[6] - المرجع نفسه، ص23.

اتّجهت الجهود إلى البحث في الأشكال السّردية، للوقوف على تصنيف الأعمال، وتناول النّصوص السّرديّة، فكانت البداية مع **الشّكلانيّين الرّوس**، ويعدّ **"فلاديمير بروب"Vladimir Propp**(1895-1970م) رائد الدّراسات السّرديّة بكتابه "مورفولوجيا الحكاية"[1]، الصّادر سنة 1928 والذّي حاول من خلاله تحديد وحدة قياس تسمح بمقارنة وتصنيف مختلف السّرود..

وكذلك الوصول إلى عزل الظّواهر الثّابتة عن الظّواهر الطّارئة المتحوّلة، ثمّ اختبارها وتحليلها بطريقة استقرائيّة موضوعيّة وعرضها بعد ذلك. وقد ترجم كتابه هذا إلى اللّغة الانجليزية سنة 1958، وفي سنة 1960، خصّص له **"كلود ليفي ستراوس" Claude Lévis strauss**(1908-2009م) مقالا تحت عنوان (البنية والشّكل)، وترجم إلى الفرنسيّة سنة 1970 ...

إنّ دراسة "فلاديمير بروب" هذه من خلال كتابه استطاعت توجيه الأبحاث السّردية إلى التّحليل العلمي والموضوعي للظّواهر الأدبيّة. ويرى الباحث السيميائي **"غريماس" A.J.Greimas** (1917-1992م) أنّ "عدد الوظائف التّي أحصاها "بروب" أكثر من أن تتاح هيكلتها بشكل إجرائيّ متلائم مع الواقع القصصيّ العامّ"[2]. وإنّ قيمة المشروع البروبي لا تكمن في عمق التّحليلات التي يقدّمها، وإنّما في قدرته على إثارة الفرضيّات (...) فالمهمّة الملقاة على عاتق هذا المنهج هي تعميق مفهوم الخطاطة السّردية بصيغتها التقنينيّة[3].

وقد ابتكر النّاقد **"تودروف" T.Todorof** (1939-2017م) مصطلح السّرديات عام 1969 للدّلالة على العلم الذّي يدرس أشكال القصص المختلفة، فأخذ هذا المصطلح بالتوسّع والتمدّد ليظهر مفهوم السّرد الجديد الذّي هو وليد التّطور الذّي شهدته السّيميائيّة عامة والسّيميائيّة السّردية والخطابيّة على وجه الخصوص[4].

فإذا كان "ت. تودوروف" أكثر السّرديين استجابة للنموذج اللّساني، فإنّ **"جيرار جينيت"Gérard Genette**(1930-2018م) استطاع أن يصوغ النّظرية السّرديّة بشكلها الأمثل، ويحدّد في كتابه (خطاب الحكاية) في (أشكال 3)[5]، أنّه يقتصر على دراسة الخطاب السّردي، أي من خلال الوساطة اللّفظية للقصّة[6]... وفي ذلك يتناول جيرار الزّمن Tense، الصّيغة Mode والجملة Aspect[7]. كما يعود في تقسيماته إلى مرجعيّات لسانيّة تعنى بمستويات (المؤلّف، الرّاوي والشّخصية) القائم بالفعل السّردي، وكذلك المتلقّي السّردي (القارئ و المروي له)[8].

---

[1] -Vladimir propp : Morphologie du conte, Édition du Seuil, 1965,1970,Paris.

[2]- AJ Greimas : Sémantique Structurale, Larousse, 1966, Paris , p192.

[3]- ينظر سعيد بن كراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2003، ص24.

[4]- هيثم سرحان، الأنظمة السّيميائيّة: دراسة في السّرد العربي القديم، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، 2008، ص62-63.

[5] - سمى جيرار جينات ثلاثة من كتبه باسم واحد Figures1(أشكال1) 1966، Figures2(أشكال2) 1969 و Figures3(أشكال3) 1972.

[6] - ينظر جيرار جينيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر: محمّد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلمي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2، 1997، ص37-38.

[7] - ينظر المرجع نفسه، ص41.

[8] - ينظر المرجع نفسه، ص227.

ذهب جيرار جينيت في (خطاب الحكاية) 1972 إلى توسيع ثنائيّته إلى ثلاثيّة هي القصّة (سلسلة الأحداث الحقيقيّة أو التخيليّة) والحكاية[1] (المنطوق السّردي أو الخطاب الشّفوي أو المكتوب) والسّرد (عمليّة رواية القصّة)[2]. كما يستعين جيرار جينيت في تقسيم وظائف الرّاوي بنظريّة التّوصيل **لرومان جاكوبسون R. Jakobson**(1896-1982م) التّي ينتج عن عناصر الاتّصال الستّة فيها (المرسل والرّسالة والسّياق والشّفرة والاتّصال والمرسل إليه)، وظائف ستّ (الانفعالية والشّعرية والإفهاميّة والمرجعيّة والميتالغويّة والتواصليّة)[3]. ليؤكّد إنّ الرّاوي لا يضطلع بوظيفة واحدة، كما قد يتصوّر هي (رواية الأحداث)، وإنّما وظائف متعدّدة...

والوظائف عنده، كما عند جاكوبسون[4]، تقوم على أساس المقابلة مع مظاهر الحكاية، وهذه الدّلائل كلّها تؤكّد ما تقدّم من انتماء المشروع السّرديّ عند جينيت[5] إلى المرجعيّات اللّسانية نفسها التّي استعان بها السّرديّون الآخرون.

ومن زاوية أخرى وجدنا أنّ "تصوّر بارت اعتمادا على ما توصّل إليه من نتائج، أنّ على التّحليل السّردي للخطاب أن يحتذي حذو اللّسانيات في تبنّي المنهج الاستنباطي، بدءا من تصوّر نموذج افتراضيّ للوصف"[6]، وبالتّالي الدّعوة إلى استلهام مقولات علم اللّغة الحديث، وتطبيق مناهجها وأهدافها في تحليل النّصوص السّرديّة.

وعليه فإنّ النّتائج التّي سيتمّ التّوصّل إليها ستضاهي تلك التّي توصّلت إليها اللّسانيات، لذلك هذا الاستلهام للدّراسات اللّغويّة سوف يدخل الدّراسات النّقديّة السّرديّة عالم العلميّة والموضوعيّة. فقد استلهمت النّظريّة السّرديّة مقولات اللّسانيّات ونتائجها، لذلك نجد التّحليل البنيوي للّغة، والتّحليل البنيوي للسّرد الأدبي، فتلك القوانين التّي جاءت بها اللّسانيات في تعاملها مع اللّغة بنيويّا، جعلت النّقاد يتّبعون مناهج الدّراسات اللّغوية في تحليل النّصوص الأدبيّة.

وعليه يمكن القول إنّه توجد قوانين وقواعد تحكم النّصوص الأدبيّة، إذ "تنطلق النّظرية البنيويّة للقصّ في التّماثلات التّي تصل الأدب باللّغة، بالمعنى الذّي يجعل من النّحو (قواعد بناء الجملة) النّموذج الأساسيّ لقواعد القصّ، حين يتحدّث تودوروف وغيره على نحو القصّ، هذا النّحو يبدأ من التّركيب الأوّلي للجملة نفسها، من حيث انقسامها إلى مسند و مسند إليه...

---

[1] - Voir: Gérard Genette, Figures 3, éditions du seuil, Paris, 1972, p71.

[2] - ينظر جيرار جينيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر: محمّد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي، ص37-38.

[3] - ينظر جاكبسون وآخرون، التّواصل نظريّات و مقاربات، تصدير عبد الكريم غريب، تر: عزّ الدّين الخطّابي و زهور حوتي، منشورات عالم التّربية، الجزائر، ط1، 2007، ص64-72.

[4] - للتّوسع أكثر في الوظائف يراجع:

Roman Jakobson et autre, Textes des Formalistes Russes, traduit par T.Todorov, Seuil, Paris, 1965.

[5] - Voir: Ibid, p13

[6] - والاس مارتن، نظريّات السّرد الحديثة، تر: حياة جاسم محمّد، المجلس الأعلى للثّقافة، المشروع القومي للتّرجمة، دط، 1998، ص31.

ولقد توصّل فلاديمير بروب... إلى نظريّته عن الحكايات الرّوسية الخرافيّة بمتابعة هذه المماثلة بين بنية الجملة وبنية القصّ إلى نهايتها"[1]، فعلم اللّغة الحديث بمناهجه و أهدافه و نتائجه، قد ساهم بشكل كبير وواضح في التّأسيس للدّراسات النّقديّة الأدبيّة الحداثيّة عموما، وفي التّأسيس للدّراسات النّقدية السّردية الحداثيّة خصوصا.

و إذا افترضنا أنّ النّظرية السّردية تتطوّر بتطوّر الأشكال السّردية، فهذا لا يعني أنّ العلاقة بين النّظرية السّرديّة والسّرد هي علاقة تأثير من طرف واحد، بل إنّ السّرد الأدبي بجميع فنونه وأشكاله، قد تأثّر بالدّراسات النّقديّة السّردية، حيث إنّ المحاولات العلميّة لدراسة الأشكال السّردية كانت تحت تأثير جهود الشّكلانيين الرّوس، و إسهامات مدرسة النّقد الجديد في أمريكا... فالنّظرية الأدبيّة السّردية تتطوّر بفعل تطوّر الأشكال و المضامين السّرديّة، وهذه الأخيرة تتطوّر بفعل تطوّر النّظريّات السّرديّة، من خلال تحقيق المكوّنات السّرديّة، وحركات التّجديد و التّجريب على المستوى السّردي.

ولا تبعد **"جوليا كريستيفا" Julia Kristeva**(1941م) في كتابها "النّص الرّوائي" كثيرا عن الإتّجاه العامّ لدى السّرديين في اعتماد اللّسانيات مرجعا أساسيّا تقوم عليه النّظرية السّردية وتقسيماتها المختلفة علاوة على المبدأ الذّي تصدر عنه في أنّ المتتاليات السّرديّة تماثل البنى الاسميّة Nominal syntagms والفعلية Verbal في النحو، فتكون المقولات الأوّلية: الفعل (ملحق إسنادي Prédicative adjunct، والنّعت (ملحق نعتي Qualifying adjunct، والمحدد Idertifier (مؤشّر فضائيّ وزمنيّ أو صيغيّ ملحق بمسند)، والذّات Subject، والعامل Actant. تؤلّف هذه المقولات عندها النّموذج التّطبيقيّ لتوليد فئات التّعقيدات السّرديّة، ويقوم النّموذج بتوليد الأوصاف البنيويّة عبر عمليّات التأليف المتكرّرة[2]...

ويلخّص "غريماس" مفهوم السّردية بأنّها: "مداهمة اللاّ متواصل المنقطع للمطرد المستمرّ في حياة تاريخ، أو شخص، أو ثقافة، إذ نعمد إلى تفكيك وحدة هذه الحياة إلى مفاصل مميّزة تدرج ضمنها الحياة.. ويسمح هذا بتجديد المقطوعات في مرحلة أولى من حيث هي ملفوظات فعل تصيب ملفوظات حال فتؤثّر فيها. والملفوظات المعيّنة تضمن الوجود الدّلالي للفواعل في تعالقها بالموضوعات القيّمة اتّصالا أو انفصالا"[3].

كما يؤكّد "غريماس" في معظم مؤلّفاته أنّ السّرديّة هي تحويلات تحقّق صلة الفاعل بموضوع القيمة. "فالسّرديّة هي مجموع الأعمال والتحوّلات التّي تعبر الجمل والمستويات والمقاطع، إنّها الطّبعة الحيويّة والمؤنسة لما يحدث على الصّعيد العميق، فتصير العلاقات افتقارات أو افتقادات، احرازات أو اكتسابات وتصير التحوّلات أداءات"[4].

---

[1] - عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النّص، دراسة، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، دط، 2006، ص74.

[2] - ينظر جوناثان كلر، الشّعرية البنيويّة، تر: السّيد إمام، دار شرقيّات، القاهرة، ط1، 2000، ص257.

[3] - محمد النّاصري العجيمي، في الخطاب السّردي نظريّة غريماس Greimas، الدّار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1993، ص56-57.

[4] - جمال بلعربي، بعض المفاهيم الأساسيّة في السّيميائيّة العامّة، مجلة بحوث سيميائيّة، مخبر عادات وأشكال التّعبير الشّعبي بالجزائر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربيّة، الجزائر، العددان: 5 و6، ماي 2009، ص110.

وتقوم المنهجيّة السّرديّة على تحديد المستويات السّرديّة الرّئيسة اعتمادا على العلاقات اللّسانيّة والزّمنيّة والمنطقيّة والمكانيّة ثمّ في المرحلة اللاّحقة تعيين الوظائف وصولا إلى كشف الخطاب ومضامينه. ويشمل **التّحليل السّيميائي السّردي** ثلاثة اتّجاهات تجمع بين البنية السّرديّة، تحليل القوانين والمحدّدات السّرديّة، وتحليل العلاقات بين الوحدات السّرديّة وظهورها في الخطاب[1].

والعوامل عند "غريماس" لا قيمة ذاتيّة لها، وإنّما تكتسبها من خلال انتظامها في علاقات مع عوامل أخر، فليس للموضوعات قيمة و لا معنى بمعزل عن الفواعل التّي تستند إليها بالتّحديد هذا المعنى وتلك القيمة وتبدي موقفها منها وفق مقاييس معيّنة[2]. وفي هذا المقال يتّضح أنّ "غريماس" يستعين **بدي سوسير F.De Saussure**(1857-1913م) في تحديد مفهوم صدقيّة الخطاب.

فغريماس لا يحدّد ذلك على أساس تطابق الخطاب مع الواقع الخارجيّ، وإنّما تحدّد صدقيّته من خلال العلاقة بين الفاعل والموضوع -كما سبق الذّكر-. فصدقيّة الخطاب تتعلّق بمحدود الملفوظ بعيدا عن المقاييس المرجعيّة، وتشتمل على كل ما يحفّ به من أطراف (مرسل ومرسل إليه) وعلاقات (زمنيّة ومكانيّة)[3].

كما يستلهم "غريماس" تفصيله بين البنية العميقة و البنية السّطحيّة، فالبنية السّطحيّة تتكوّن من: **مكوّن سرديّ** يخصّ سلسلة التّغييرات الطّارئة على الفاعلين، ومكوّن تصويري، يستخرج الأنظمة الصّورية المبثوثة في النّص[4].

تمرّ عمليّة إنتاج النّصوص السّرديّة عبر سيرورة من العمليّات التّوليديّة المتتاليّة، يشكّل النّموذج التّكويني في مستواه المحايث نقطة انطلاقها الرّئيسيّة، مرورا بالمستوى السّرديّ الذّي يشتمل على النّموذج العامليّ، كمرحلة توسطيّة في سيرورة إنتاج الدّلالة، وصولا في محطة أخيرة إلى المستوى التّشخيصيّ (الخطاب) عندما يتّخذ النّصّ السّرديّ منحاه الإيديولوجيّ الخاصّ به. في النّموذج العامليّ المقترح من طرف غريماس الذّي رأى أنّ "الوظائف fonction حسب التّركيب التّقليديّ ماهي إلا أدوار تؤدّى من طرف الكلمات"[5].

فباعتبار عوامل السّرد، فإنّ المرسل والمرسل إليه من الهيئات العامليّة المميّزة بين المرسل والمرسل إليه، أي ما يجعل التّواصل بينهما غير متماثل، فاستبداليّا نجد المرسل في علاقة hypotaxique (موجّهة من الكلّ إلى الجزء) بالنّسبة إلى المرسل إليه، وهذا الأخير في علاقة عكسيّة أي hyponymique (من الجزء إلى الكلّ) مع المرسل، ويزداد هذا اللّا تماثل أثناء وضع هذين العاملين في تركيب syntagmation، عند بروزهما كنواة مهتمة بموضوع واحد[6].

---

[1]- ينظر هيثم سرحان، "الأنظمة السّيميائية: دراسة في السّرد العربي القديم"، ص68.

[2] - محمد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي، نظريّة غريماس Gremas، ص55-56.

[3] - ينظر المرجع نفسه، ص64-65.

[4] - ينظر المرجع نفسه، ص31.

[5] - A.J.Greimas, sémantique structurale, p173.

[6] - المرجع السّابق، ص43.

يستعمل غريماس المرسل والمرسل إليه لتعيين بعض الذّوات حسب الأفعال التّي تقوم بها، فالمرسل يبثّ موضوعا بإتّجاه مرسل إليه، ومن جهة أخرى يقوم المرسل إليه بالتقاط الموضوع الذّي يبثّه المرسل هذا بالنّسبة لنموذج 1966، ويستمر غريماس في التّوجه نفسه في نموذج ما بعد 1966 حيث تبلغ المرسل إليه- الذّات باعتبارها مرسل المعرفة le savoir المتعلقة بإنجازاتها الذّاتية ويستقبل المرسل ذلك ليقوم بعملية التقييم الإيجابيّ أو السّلبيّ.

وسيكون في بعض الأحيان من الضّروريّ تمييز في تحليل المحكيّ le récit المرسل الفرديّ كما يتجلّى في حالة التأثّر الذّي يعارض المرسل الاجتماعيّ المدعو إلى إحقاق العدالة من المرسل الذّي يحيل على الذّات المرتبطة بالمرسل بحكم العقد ويتمثّل في المرسل إليه، والمرسل إليه الذّي يخصّ المستفيد بالأمر مهما تكن هويّته إذ يتّفق أن يكون هو المرسل أو الذّات أو كائنا فرديّا أو جماعيّا آخر[1].

إنّ انعكاس هذه الوظائف يحدّده موضوع الرّغبة إيجابا أو سلبا[2]، وهذا ما يجعل أو يخلق الصّراع بين المرسل والمرسل إليه. إنّ الصّياغة المختزلة للأنموذج العامليّ هي إسقاط للبنية التّركيبيّة لتمفصلات الدّلالة البسيطة، وعن الوضع الجهاتي لكلّ مقولة يبرز نشاط العامل في مقابل ديناميّة الوظيفة بوصفه قوة كامنة[3].

استطاع غريماس أن يتوصّل إلى رصد نظريّة شاملة للأنواع السّرديّة، فالتّعريف الذّي يعطيه للوظيفة قائم على وجود فعل ما تتحدّد من خلاله شخصيّة ما. وتتحدّد الوظيفة تبعا لذلك من خلال انتمائها إلى إحدى دوائر الفعل التّي تشتمل عليها الحكاية[4] "فالفعل أساس تعريف الوظيفة"[5] وقد خلص غريماس واستنتج "أنّه عوض الحديث عن الوظيفة، يجب الحديث عن الملفوظ السّردي"[6] ..

ففي هذه المدرسة كان لرائدها غريماس الفضل في تطوير السّيميائيات السّردية حيث أكّد على أنّه "وجب بعد القيام في مرحلة أولى بعمليّة استقراء نؤسّس بمقتضاها المقوّمات العامّة التّي تبنى عليها ظاهرة السّرد"[7]. كما أنّه قام بتنقيح وتقعيد الدّراسات التّي سبقته، ولذا جاءت دراسته شبه منتهية، رغم ما يشوبها من نقائص بسيطة[8]...

وخلاصة القول إنّ نظرية غريماس " تستمدّ أصولها المعرفيّة من الدّلاليّة التّي تهتمّ في المقام الأول باستقراء الدّلالة انطلاقا من الظّروف العامّة بإنتاجها ووسيلتها في ذلك تفجير الخطاب وتفكيك الوحدات المكوّنة له ثم إعادة بنائها وفق جهاز نظريّ منسّق التأليف"[9]، فخلص غريماس إلى وضع الأنموذج العالميّ، العوامل والممثّلون والبرامج

---

[1] - ينظر محمّد ناصر العجيمي، في الخطاب السّردي، في نظريّة غريماس Gremas، ص44.

[2] - A.J.Greimas, sémantique structurale, p178.

[3] - Ibid, p185,186.

[4] - سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائية السّردية، ص21.

[5] - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[6] - المرجع نفسه، ص22.

[7] - محمّد ناصر العجيمي، في الخطاب السّردي، في نظريّة غريماس Gremas، ص29.

[8] - ينظر المرجع نفسه، ص7، 8.

[9] - المرجع نفسه، ص29.

السّردية. "فالسّرد ينبني على التّراوح بين الاستقراء والحركة والثّبات والتّحوّل في آن"[1]. والمتتبّع لمسار الحركة النّقديّة السّيميائيّة السّرديّة في الجزائر، يكشف تلك الحركيّة الفاعلة، والمسايرة لفاعليّة التّطبيق السّيميائيّ وفاعليّته عند الآخر/الغرب، إنّ من ناحية مستوى التّناول النّقديّ، أو من ناحية الآليّة، أو من ناحية المناهج أو البرامج، وكلّ ما هو ذو صلة بالرّصيد الفكريّ والمعرفيّ والعلميّ للمنهج.

ويمكن القول إنّ السّرديّة من أهمّ النّظريّات التّي أفرزتها الدّراسات النّقديّة الحديثة، فقد ركّزت في دراساتها على البنيويّة، فكانت نظرتها للخطاب السّردي على أنّه بنية داخليّة مغلقة، كما نظرت إلى النّصوص الأدبيّة نظرة جديدة مغايرة مقارنة بالدّراسات أو المناهج النّقديّة السّابقة.

- **السّرديّة في الخطاب النّقدي العربيّ:**

يحمل العمل الرّوائي منذ ظهوره الأوّل في طيّاته حكاية، أي جملة من الأحداث وقعت أو محتملة الوقوع، وهو ما يشكّل لنا المتن الحكائي، أو المادّة الأوّليّة للحكاية[2]، أي القصّة كما في الواقع، بهذا تحوي الرّواية في أصلها نواة حكائية واقعيّة أو خياليّة، إضافة لكونها سرد فنيّ...

ويمثّل السّرد العربيّ صورة واضحة لنموّ الأشكال الشّفويّة إلى نصّ مكتوب، "حيث إنّ السّرد العربيّ في تشكّلاته الطّويلة والمعقّدة، والطّابع المحايث لبراغماتيّة النّثر ووظيفته المتنامية، حقّق الانتقال التّدريجي، ومعه تحقّقت مسارات أخرى من التّحول في مستويات شتّى أبرزها تحويل التّجربة الذّهنية أو المعيشة من أفعال وتخيّلات إلى لغة شفويّة ومكتوبة ضمن نسق تجنّسي معين"[3].

فالكتابة عامّة والسّرد خاصّة نسق من الرّموز والعلامات لعناصر واقعيّة، ومكوّنات متداخلة... صار الاهتمام به من القضايا التّي تستجيب للمتغيرّات والتّطوّرات التّي شهدتها السّاحة النّقديّة الأدبيّة في العالم، الأمر الذّي ولّد رغبة في إيجاد مفهوم جديد ليحلّ محلّ المفاهيم العربيّة القديمة التّي كانت تفتقد إلى الدّقة والتّحديد.

وكان للنّاقد **"عبد الملك مرتاض"** فضل السّبق في نقل النّظريات اللّسانيّة الحديثة إلى السّاحة النّقديّة الجزائريّة، كما أدخل جملة من المفاهيم والمصطلحات الجديدة وخاض أيضا تجربة قويّة مع الحداثة وأعلامها. وذلك ما يتّضح جليّا عبر العديد من مؤلّفاته النّقديّة، التّي تؤكّد أنّه يستعير من كلّ تيّار (بنيويّ، سيميائيّ، أسلوبيّ، تفكيكيّ...) لأجل مقاربة نصّ واحد.

---

[1] - محمّد ناصر العجيمي، في الخطاب السّردي، في نظريّة غريماس Gremas، ص38.

[2] - ينظر حميد لحمداني، بنية النّص السّردي، من منظور النّقد الأدبي، المركز الثّقافي العربي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط1، 1991، ص21.

[3] - ينظر شعيب حليفي، الرّحلة في الأدب العربي، التّجنيس آليات الكتابة، خطاب المتخيّل، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص19.

وفي مجال السّرديات قدّم دراسة تتعلّق بالتّقنيّات السّرديّة، حيث ركّز البحث على الشّخصيّة[1]، مقدّما في ذلك دلالات الأسماء والأعمار وغيرها. كما تطرّق إلى كلّ من الوصف والسّرد[2] وطبيعة العلاقة بينهما، كما يعدّ كتابه "في نظريّة الرّواية- بحث في تقنيات السّرد"، من أهمّ مدوّناته التّي بذل فيها جهودا تنظيريّة كبيرة في مجال الرّواية عموما والتّقنيات أو آليات السّرد بصفة خاصّة.

وقد ظلّ مصطلح (زعموا) يتصدّر مطالع حكايات كليلة ودمنة، كلازمة سرديّة في النّص، إذ "تكررت حوالي ثلاثة وأربعين مرّة على الأقل"[3]، ممّا جعلها تعدّ أمّ الأشكال السّرديّة في مجال السّرد العربي المكتوب. فمثل هذه التّقنيّات السّرديّة تضفي على العمل الأدبيّ الطّابع الخياليّ من خلال ضمير الغائب الذّي يمنح العمل الأدبيّ جمالا ومتعة فنيّة، فهو يحيل إلى الماضي والذّي بدوره يحيل إلى البعد الخياليّ والإبداعيّ للأعمال الأدبيّة.

ويتناول الباحث "عبد الملك مرتاض" في مجال السّردية مصطلح الشّعرية **Poétique** الذّي يكون بمعنى الخصوصيّة الفنيّة أو الحالة الجماليّة التّي تتمثّل في نسج النّص لتجعله يقوم على خصائص فنيّة تميّزه عن النّص النّثري[4]، فهذه الشعريّة تقترب من جميع الأجناس الأدبيّة و الشعريّة و النثريّة، فهي تلامس ما يسمّى بالأدبية. فمصطلح الشّعريات جاء قياسا على الاستعمال الشّائع في اللّغة العربيّة المعاصرة و هو اللّسانيات و لجأت الآن الجامعات الجزائريّة إلى هذا الاستعمال قياسا على مصطلح السّيميائيّات[5].

وبذلك، فإنّ "عبد الملك مرتاض" يبرّر تبنّيه لمصطلح الشّعريّات كونها أقرب بالنّسبة إليه ما يعبّر عن القيم الجماليّة الفنيّة والخصوصيّات النّوعيّة المنفردة فهي الانحراف كما هو مألوف "نتحدّث عن شعريّات المعاني أكثر ممّا نتحدّث عن شعريّات الألفاظ و الصّور من حيث إنّ معظم النّقاد في العالم على عهدنا هذا يحتجّون لنسجيّة الشّعر، حتى في العهود القديمة كما هو الشّأن لدى الجاحظ وأنّ لشاعر شاعر لأنّه يقول و ليس لأنّه يفكّر"[6].

و يعدّ **"ليونارد كوهن" L.Cohen** (1934-2016م)، أفضل النّقاد بالنّسبة إلى "عبد الملك مرتاض" بعدّه تناول قضيّة الشّعريّة في أدقّ تفاصيلها، مركّزا على تلك المكوّنات الإيقاعيّة والدّلاليّة والجماليّة. وكذلك ينطلق النّاقد العراقي **"عبد الله إبراهيم"** في معالجة قضيّة السّرديّة، والمتمثّلة في إشكاليّة التّأصيل للسّردية العربيّة، "ويدرك كلّ من قيض له العمل في مجال الدّراسات السّردية في الجامعات وسواها، الجهل شبه التّام بالخلفيّات الشّفويّة والدّينيّة للمرويّات السّردية، والجهل بالعلاقات المتشابكة بين النّصوص التّي تنتمي إلى أنواع مختلفة، والجهل بأبنيتها

[1]- ينظر عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السّردي، معالجة: تفكيكيّة سيميائيّة مركّبة لرواية زقاق المدقّ، سلسلة المعرفة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بط، 1995، ص126.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص264.

[3]- عبد الملك مرتاض، في نظريّة الرواية، بحث في تقنيات السّرد، ص146.

[4] - عبد الملك مرتاض، قضايا الشّعريات، هيئة أبو ظبي للثّقافة و التراث، أكاديميّة الشّعر، ط1، 2011، ص14.

[5] - المرجع نفسه، ص15.

[6] - المرجع السّابق، ص38.

السّرديّة والدّلاليّة، والجهل بوظائفها التّمثيليّة، فكأنّ وعينا بأدبنا ناقص، وكأنّ تاريخ الأدب العربيّ يقفز على رجل واحدة"[1].

إنّ السّرديّات العربيّة أصيلة، وهي موجودة بعمق في التّراث العربيّ وإن لم تأخذ التّسميّات والاصطلاحات الحديثة، وللنّهوض بها يجب مقاربتها بأدوات حديثة تطوّرها من جهة، وتحفظ هويّتها من جهة أخرى. ويعدّ **"سعيد يقطين"** من أهمّ النّقاد الذّين ساهموا إسهاما كبيرا في تأسيس السّرديّات العربيّة الحديثة، وهذا راجع لمنجزاته في هذا المجال. "فلا غرو أنّ السّرديّات أخذت تتطوّر لتتحوّل من اختصاص جزئيّ إلى اختصاصّ كلّيّ، أي أنّ السّرديّة لم تعد تبحث فقط في سرديّة الخطاب الأدبيّ، وإنّما تجاوزتها إلى السّردية غير الأدبيّة، فقد أصبحت ذات مجال واسع، وهذا راجع إلى اكتسائها طابع الكليّة وتجلّيه اللّساني ما جعلها بذلك تكون علما كليّا قائما بذاته"[2]. ويقسّم "سعيد يقطين" السّرديّات إلى ثلاث مقولات حكائيّة هي[3]: سرديّات القصّة، سرديّات الخطاب، السّرديات النّصيّة.

فقد كتب أغلب مقالاته السّرديّة في إشكاليّة المصطلح، مقرّا بأنّ السّرد عنصر من عناصر الحكي ومفرّقا بين ثلاثة مصطلحات هي السّرد **Narration**، والسّرديّات **Narratologie**، والسّرديّة **Narrativité**[4]. كما ترجم مصطلحات منها: السّرد والحكي ب **Narration/Récit**، والسّرديّة أو الحكائيّة **Narrativité** ثم الرّاوي **Narrateur**، وسواها من المصطلحات المتداولة في كلّ النّظريّات والدّراسات السّردية الحديثة. كما أشار الباحث إلى جملة من المصطلحات تختلف من حيث اللّفظ، لكنّها تشترك اصطلاحا، مثل: وجهة النّظر والمنظور، والرّؤية، والبؤرة والتّبئير[5].

كما ذكر الباحث مصطلحات تتّصل بمادّة الحكي مثل: **Diegese /Contenu /Récit /Histoire /Fabula /Intrique**[6]. ونستنتج ممّا سبق أنّ السّرديّة مجال واسع، لا تهتمّ فقط بسرديّة الخطاب الأدبيّ وإنّما تعدّتها إلى الخطاب غير الأدبيّ، وكذا الاهتمام بالنّص كبنية مجرّدة في حدّ ذاته وفي علاقته بالمتلقّي، ولا يتشكّل ذلك إلّا بتظافر سرديّات القصّة بالخطاب والنّص.

والجماليّة هي الأخرى ترتكز على عمود الشّعر ومدى تأثيره في السّامع، وقد أشار **"عبد القاهر الجرجاني"** في ذلك إلى نظريّة النّظم في كتابه دلائل الإعجاز، حيث قال: "اعلم أنّ ليس النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذّي يقضيه "على النّحو" وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التّي نهجت فلا تزيغ عنها (...) واعلم ممّا هو أصل في أن يدقّ النّظر ويغمض المسلك في توخّي المعاني التّي عرفت أن تتخذ أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتدّ ارتباط ثان

---

[1]- عبد الله ابراهيم، موسوعة السّرد العربي، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص05.

[2]- ينظر سعيد يقطين، الكلام والخبر، ص223.

[3]- يراجع المرجع نفسه، ص223-224.

[4]- سعيد يقطين، المصطلح السّردي العربي، قضايا و اقتراحات، مجلّة نزوى، بيروت، ع21، 2000، ص62.

[5]- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي من منظور النّقد الأدبي، ص37-47.

[6]- المرجع نفسه، ص62-63.

منها بأوّل (...)، وأن يكون حالها فيها حال الباني يضع بيمينه هاهنا في حال ما يصنع يساره هناك"[1]. والمقصود هنا جماليّة اللّفظة التّي تتجلّى وتكمن في العنصر الذّي يجاورها، ومن خلال ذلك تأخذ اللّفظة قيمتها ومعناها.

وقد عرفت الجماليّة في المعجمات الأدبيّة المعاصرة بأنّها: [2]

- نزعة مثاليّة تبحث في الخلفيّات التّشكيليّة للنّتاج الأدبي والفنّي، وتختزل جميع عناصر العمل في جماليّته.

- ترمي النّزعة الجماليّة إلى الاهتمام بالمقاييس الجماليّة بغضّ النّظر عن الجوانب الأخلاقيّة، انطلاقا من مقولة الفنّ للفنّ.

- ينتج كل عنصر "جماليّة" إذ لا توجد جماليّة مطلقة وجماليّة نسبيّة، تسهم فيها الأجيال/ الحضارات/ الإبداعات الأدبيّة والفنيّة.

- لعلّ شروط كل إبداعيّة هو بلوغ الجماليّة إلى إحساس المعاصرين.

ويقصد بالمصطلح الأوّل أنّ الجماليّة تختص بصفة المثاليّة عن بقيّة المناهج السّياقيّة والنّسقيّة، فهي تبحث عن الأثر الذّي تتركه الأعمال الفنيّة والأدبيّة في إحساس المتلقّي. أمّا المصطلح الثّاني فإنّه ينطلق من مقولة "كانط" الفنّ للفنّ، أي أنّ الفنّ غاية في حدّ ذاته، وهي غاية الجمال. أمّا المصطلح الثّالث فمعناه لا وجود لجماليّة مطلقة، أمّا المصطلح الرّابع فيعني أنّ الجماليّة مربوطة بالإحساس والشّعور واللذّة.

وفي البحث العربيّ اهتمّ الكثير من الدّارسين المعاصرين بموضوع الجماليّة السّرديّة، ونذكر منهم **"عبد السّلام المسدّي"** في كتابه "الأسلوبيّة والأسلوب"، الذّي تناول فيه مفهوم الجماليّة، "حيث نظر إليها على أنّها لفظة تستعمل نعتا لكل ما يتّصل بالجمال أو ينسب إليه، وتستعمل أيضا اسما وتعني العلم الذّي يعكف على الأحكام التّقييميّة التّي يميّز بها الإنسان الجميل من غير الجميل، ولذلك أطلق عليه بعضهم علم الجمال على أنّ هناك من يلجأ إلى اللّفظ المعرّب إستطيقيّا"[3].

ويمكن تحديد الأبعاد الجماليّة في السّرد من خلال محاور تلخّص جماليّة التّصوير واللّغة الإبداعيّة التّي تخلق للرّواية قيمتها الفكريّة والجماليّة. وكذلك الإيقاع الرّوائي الذّي "يشكّل في الرّواية صدى يرصد العالمين الخارجيّ المرئيّ. الظّاهري للشّخصيّة والحدث والمكان، أو الدّاخلي الخفيّ. الجواني للشّخصية نفسها والحدث نفسه. فمعاني الإنسان

[1]- ينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المعرفة، الجزائر، بط، 1991، ص81.

[2]- محمد صالح خرفي، جماليات المكان في الشّعر الجزائري المعاصر، مذكّرة دكتوراه العلوم، بإشراف يحي الشيخ صالح، جامعة منتوري قسنطينة، 2005، ص03.

[3]- عبد السّلام المسدّي، الأسلوبيّة والأسلوب، الدّار العربية للكتاب، ط3، بت، ص147.

وإيقاع كلماته صدى لعالمه الخارجيّ"[1]، فالكشف عن الإيقاع في الرّواية يكشف عن عمق العلاقات بين النّاس والأشياء، كما أنّه يعمّق الرّؤية في فنية العمل الأدبيّ وأبعاده الفكريّة.

فهو "يعنى بشكل رئيسيّ بالأحداث من حيث وقوعها وتشكّلها وتنظيمها في نسق معيّن ينسجم مع بناء الرّواية الكلّي ويبلور عالمها ومغزاها ومضمونها كما يعنى بالشّخصيّات من حيث تشكّل عالمها الدّاخليّ والخارجيّ وفق حركة الفعل وردّة الفعل ما بين العالمين"[2]. وإيقاع أيّة رواية يختلف من رواية لأخرى، ولا يتكرّر[3].

وإيقاع كلّ من المكان والزّمن له أهميّة في بلورة أبعاد الشّخصيّة وربط عوالمها وحركتها بالأحداث[4]. فهذه الإيقاعات في حركة السّرد تجسّد جمالية للسّارد والمتلقّي معا، ترتقي بالعمل الفنّي من التّجربة الشّخصيّة إلى التّجربة الإنسانيّة.

قد عرفت المصطلحيّة السّردية العربيّة تحوّلا كبيرا حيث تزايد المشتغلون العرب **بالتّحليل السّرديّ**، والدّراسات السّرديّة، فعن ترجمة الكتب نذكر مثلا **récent théories of narrative** ل**"ولاص مارتين" Walace martin** (1858-1937م)، حيث تحدّث الكتاب عن النّظريّات السّرديّة الحديثة بدءا من نظريّات الرّواية منذ القرن العشرين، مرورا بآراء "بروب" ليقف عند رؤية الشّكلانيين الرّوس، وبعض الاتّجاهات الحديثة.

وإنّ أهمّ ما يستحقّ التوقّف عنده من خلال هذه التّرجمة هي مسألة ترجمة المصطلح الإنجليزيّ **narrative** فقد ترجم ب"السّرد". كذلك كتاب "جيرار جينيت" **Discours du récit** أو بالإنجليزيّة **Discours narrative** فجاءت ترجمته بعنوان "خطاب الحكاية"[5]...

إنّ المعطى الجماليّ الفنّي للعمل الأدبيّ يترك في أذهاننا حيويّة واحساسا بالجمال، وذلك لما يستخدمه السّرد من عناصر نفسيّة يصوّر بها الأفعال، ومن خلال ما تقدّم نلاحظ أنّ الخطاب السّردي على مسار حياة فرد أو جماعة.

فإذا تتبّعنا السّرد أينما كان لفظيّا فإنّنا سنكون ضمن حدود "السّرديات الأدبيّة"، فإذا كان متداخلا مع أنماط أخرى فإنّنا نتناول "السّرديات العامّة"، أمّا إذا تتبّعنا تحوّلات السّرديّة عند انتقالها من نظام سيميائيّ إلى نظام سيميائيّ آخر، فإنّنا مع "السّرديات المقارنة". أي مع صيغ انتقال السّرديّة بين الأنظمة السّيميائيّة وأشكال ترابطها وعلاقاتها وتفاعلاتها مع النّمط السّردي.

المحاضرة رقم 03: النّظريّة السّيميائيّة السّرديّة الغريماسيّة، ومستويات التّحليل السّيميائيّ للخطاب السّردي..

[1]- ينظر أحمد الزّعبي، في الإيقاع الرّوائي (نحو منهج جديد في دراسة البنية الرّوائية)، دار المناهل، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص07.

[2]- المرجع نفسه، ص09.

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص13.

[4]- ينظر المرجع نفسه، ص35.

[5]- ينظر حياة جاسم محمّد، نظريّات السّرد الحديثة، دار الحور، بيروت، دط، 2001، ص53.

يهدف هذا الجزء إلى تمثّل مكوّنات النّظريّة السّرديّة الغريماسيّة، والتّعرّف على أهمّ مفاهيمها وآليّاتها الإجرائيّة بوصفها مسطرة منهجيّة نستعين بها، وقد رأينا أنّه من المفيد للبحث أن نستعين بالنّظريّة السّيميائيّة السّرديّة الغريماسيّة بعدّها نظريّة شموليّة ذات أصول ومرجعيّات معرفيّة متنوّعة، فضلا عن ثراها المفاهيميّ والمصطلحاتيّ.

تعطي للبحث مرونة وسلاسة في التّعامل مع البنية السّرديّة، والتّعرف على مكوّناتها الفنيّة والجماليّة، بفضل هذه السّيولة التّي يتوفّر عليها جهازها المفاهيميّ، التّي تتيح للباحث إنتاج المعنى وإدراكه من خلال الممارسة المرنة لآليّات النّظريّة السّيميائيّة السّرديّة.

وعليه فقد اقتضت خطّتنا الإجرائيّة أن نتناول في هذا المبحث العناصر الأساسيّة التّي تعمل على تحقيق الهدف، إذ سنركّز حديثنا في البحث عن المرجعيّات والرّوافد المعرفيّة للسّيميّائيّة السّردية عند 'غريماس' لنتمثّل حقيقة المفاهيم والآليّات الإجرائيّة **للمكوّن السّردي، النّموذج العاملي، البرامج السّرديّة للبنية السّطحيّة والعميقة للتّحليل السّيميائي للنصّ السّرديّ**، وكيفيّة اشتغالها وتوظيفها..

- **النّظريّة السّيميائيّة السّرديّة الفرنسيّة..**

تُعرَفُ النّظريّة السّرديّة السّيميائيّة الفرنسيّة بمدرسة 'باريس'، وهي مرتبطة برائدها "غريماس Greimas ". ومن الصّعوبة الإلمام بكلّ مكوّنات هذه النّظريّة لما تتميّز به من صعوبات معقّدة ترتبط بتصوّراتها المعرفيّة. "إنّ نظريّة 'غريماس' في طموحها اللّامحدود إلى صياغة نظريّة شاملة يمكن بمقتضاها تحليل مختلف الخطابات والأنشطة الإنسانيّة، حاولت استقطاب جميع صنوف المعرفة الحديثة وإخضاعها في مشروعها السّيميائيّ الضّخم"[1].

لعلّ المطّلع على المكوّنات الأساسيّة للنّظريّة السّرديّة الغريماسيّة، يدفعه نوع من الفضول العلميّ والرّغبة الملحّة الجامحة التّي تستفزّ أيّ باحث منشغل بقضايا السّرديّة، أن ينغمس في فلك هذه النّظريّة، ذلك أنّ "التّلاقح العلمي الذّي اعتمده غريماس لإثراء مشروعه العلمي، هو الذّي أضفى عليه طابع النّظريّة... إنّ إحدى نقاط قوّة هذه النّظريّة تكمن في قدرتها على امتصاص نتائج كثير من العلوم واستثمار استكشافاتها فيما يخدم توجّهاتها وغاياتها"[2].

من هنا نتبيّن قوّة هذه النّظريّة، التّي مردّها إلى رؤيتها الشّموليّة في القراءة والتّحليل، وسبر أغوار النّصوص، هذا ما يُجمع عليه جلّ الباحثين الذّين اشتغلوا في هذا الحقل المعرفي المتعلّق بالسّيميائيّات السّرديّة.

وهو ما يتأكّد في الفقرة التّالية:" إنّ أهمّ أسباب اختيارنا لهذه النّظريّة ما تتميّز به وبخاصّة في المجال السّردي من شموليّة في التّصور وعمق في التّحليل، ونفاذ إلى بواطن النّص، من خلال الكشف عن آليّات انتظامه وتحديد القواعد المتحكّمة في تنظيم مستوياته"[3].

[1] - قادة عقّاق، السّيميائيّات السّرديّة، النّشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، دط، 2016، ص14.

[2] - المرجع نفسه، ص15.

[3] - المرجع نفسه، ص16

وممّا أضفى أهميّة كبيرة على هذه النّظريّة في البيئات العلميّة الواسعة والمختلفة، أنّها أضحت أداة إيجابيّة لدى الباحثين في حقول متنوّعة تجاوزت الحقل الأدبيّ، إلى القانونيّ، والاجتماعيّ، والسّياسيّ، وكلّ ما يمسّ السّرد من قريب أو من بعيد. إذ توصّل 'غريماس' "إلى اكتشاف بنى سرديّة في كلّ مكان تقريبا، حتّى في الخطابات العلميّة والإيديولوجيّة، وهكذا تحوّلت قواعد الرّواية ... إلى قواعد سيميائيّة.. والبنى السّرديّة تحوّلت إلى بنى سيميائيّة، ينبغي أن تفهم على أنّها بنى سيميائيّة 'عميقة تنظّم نشوء المعنى وتشتمل على الأشكال العامّة لتنظيم الخطاب"[1].

يشير الباحثون المشتغلون في حقل السّيميائيّات السّرديّة، أنّ نظريّة غريماس تكتسي من القدرة والقوّة على منافسة ومحاورة نظريّات أخرى لما تتميّز به من مرونة وانفتاح على أن تتعايش مع حقول ونظريّات معرفيّة، "إنّ هذه النّظريّة، في قدرتها على محاورة عناصر معرفيّة أخرى واستيعابها وتمثّلها، وجعلها تدلّ وفق منطلقاتها الدّاخليّة الخاصّة بها هي، ومرونتها في مدّ جسور التّحاور مع نظريّات عديدة تتقاسم معها موضوعا واحدا للدّراسة لتسدّ به ثغراتها وتتجاوز من خلاله نقائصها"[2].

يعدّ 'سعيد بنكراد' نظريّة غريماس أنموذجا في تحليل النّصوص السّرديّة بخاصّة، دون استثناء، "فهي تقدّم نفسها على أساس أنّها نموذج في تحليل النّصوص السّرديّة بجميع أنواعها، إلّا أنّها تعدّ في واقع الأمر فلسفة في المعنى وطرق إنتاجه وأنماط وجوده وانتشاره"[3].

وعلى الرّغم من الأهميّة التّي تكتسيها النّظريّة السّيميائيّة السّرديّة، فإنّ المدرسة السّرديّة الفرنسيّة تمتاز بخصوصيّتها، ذلك لما تتميّز به من دراسة مكوّنات الخطاب السّردي من جميع جوانبه وأشكاله، "راصدة ضمن ذلك مظاهره وأبنيته، ومستوياته الدّلاليّة، فإنّها لا تكاد تخرج عن تيارين اثنين رئيسين يؤطّرانها ويحكمان مختلف توجّهاتها وهما: تيّار السّرديّة اللّسانية، وتيّار السّرديّة الدّلاليّة، أو السّيميائيّات السّردية"[4].

فالتّيار الأوّل أُقرب إلى البنيويّة الشّكلانيّة في دراستها للمستويات التّركيبيّة والعلائقيّة، ويمثّله رولان بارت، جيرار جينت، وت. تودوروف. أمّا التّيار الثّاني فهو يهتمّ بالبحث عن الدّلالة، أو السّيميائيّة السّرديّة، التّي يمثّلها غريماس وأتباعه في المدرسة الفرنسيّة، وهو ما ينسجم مع توجّهاتنا العلميّة والمنهجيّة في هذا البحث.

- **روافد ومرجعيّات النّظريّة السّرديّة الغريماسيّة..**

تكاد تجمع الدّراسات النّقديّة المتخصّصة في حقل السّيميائيّات السّرديّة أنّ الرّوافد الفكريّة لنظريّة **'العامل السّرديّة'**، لا تخرج عن رافدين أساسيّين، الرّافد الفلسفيّ، والرّافد اللّساني. وارتأينا أن نخصّص الحديث عن الرّافد اللّساني بعدّه الرّافد المركزيّ في نشأة وتطوير النّظريّة السّرديّة، على مستوى المفاهيم والآليّات الإجرائيّة.

---

[1] - بيتر دوميجر، تحليل الرّواية، تر: غسّان شديد، مجلّة العرب والفكر العالمي . ي . ع 5، شباط 1989،ص 105.

[2] - قادة عقّاق، السّيميائيّات السّرديّة، ص17.

[3] - سعيد بنكراد، السّيميائيّات السّرديّة مدخل نظري، منشورات الزّمن، الرباط، المغرب، ط1، 2001، ص6.

[4] - المرجع السّابق، ص93.

ويكاد المشروع اللّساني الذّي بلوره 'ف. دي سوسير' أن يشكّل الحجر الأساس في بناء النّظريّة السّرديّة الغريماسيّة حين "اقترح بأنّها (النّظريّة اللّسانيّة) ستندرج ضمن نظريّة شاملة تتجلّى في السّيميولوجيا إلى مرحلة متأخّرة (في فرنسا على الأقل)..

شكّل الفيلسوف الأمريكي 'شارل ساندرس بيرس' أهم مرجع للسيميولوجيا، غير أنّ مرجعيّة 'دي سوسير' تبقى هي الإضافة المميّزة لما أفادته نظريّته اللّسانيّة من إفادات أساسيّة تجلّت على المستوى المفاهيمي/ الإجرائي، خصوصا فيما يتعلّق بتصوّره في **"اللّغة والكلام Langue et Parole"** ،ومبدأ **"الاختلاف"** و**"الملفوظ السّردي"** ممّا أدى بظهور نوع من التّقاطع بين التّحليل اللّسانيّ والتّحليل السّيميائيّ..

رغم اختلاف العلمين، اختلاف " لم يؤدّ إلى قطيعة جذريّة.. بقدر ما يعني تطوّرا في الأدوات وتعمّقا في الأسس، وتوسّعا في المواضيع، وتدقيقا في المصطلحات، وتجاوزا للأخطاء، ذلك لأنّ أسباب اتّصال بارزة تجمع ما بين أساليب التّفكيك السّيميائيّ ومناهج التّحليل اللّساني"[1].

ومن هنا بات حريّا على البحث أن يتحرّى مثل هذه الوشائج والاتّصالات التّي تجمع بين العلمين، لنتمكّن من تدقيق المصطلحات وكيفيّة اشتغالها وممارستها، ممّا يؤكّد أنّ اللّسانيّات باتت هي الأصل الذّي أمدّ السّيميائيّات بهذه الوفرة المصطلحاتيّة والمفاهميّة، "ولعلّ ما يعطي هذا الرّأي وجاهته، هو تلك الغاية التّي تطمح إليها السّيميائيّة في تحليلها للنّصوص، والمتمثّلة في إبراز آليّة النّص في خلق المعنى، وتبليغ صداه من خلال الكشف عن شبكة العلاقات القائمة في صلبه وفنون تأليف وحداته الدّالة، تجد منطلقها الأساسيّ في ذلك المبدأ الذّي أقرّته اللّسانيآت الحديثة"[2].

ولعلّ مكمن السّر في هذا التّقاطع والتّواشج بين السّيميائيّات واللّسانيّات كونهما يرتكزان على اللّغة الواصفة، "تستند في تشكّلها إلى الدّرس اللّساني، ولكنّها تستمدّ مردوديّتها التّحليليّة من النّص وليس الجملة"[3]، إنّ الحديث عن السّيميائيّة السّرديّة لا ينفصل عن النّظرة إلى سيميائيّة مدرسة باريس (غريماس أبرز ممثّليها)، التّي ارتبطت بالمدرسة الشّكلانيّة الرّوسيّة، "من خلال (فلاديمير بروب)، اللّسانيّات البنيويّة، علم السّرد"[4].

من جهته يؤكّد 'عبد المالك مرتاض' على العلاقة بين اللّسانيّات والسّيميائيّة قائلا: " إنّ السّيميائيّة في حقيقتها وريثة اللّسانيّات البنيويّة مقدّمة في تقليعة جديدة"[5]. فماذا قدّمت اللّسانيّات للسّيميائيّة بشكل عامّ، وللسّيميائيّة السّرديّة بشكل خاصّ؟

---

[1] - قادة عقّاق، السّيميائيّات السّرديّة، ص24.

[2] - المرجع نفسه، ص24.

[3] - سعيد بنكراد، السّيميائيّات السّردية مدخل نظري، ص30.

[4] - سعيد بوعيطة، المرجعيّة المعرفيّة للسّيميائيّات السّرديّة، جريماس نموذجا، ص 48.

[5] - عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السّردي، معالجة تفكيكيّة سيميائيّة مركّبة لرواية "زقاق المدق"، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، دط، 1995،ص 127.

1 ـ مبدأ اللّغة والكلام ـ Langue / Parole

من المفاهيم الأساسيّة التّي استفادت منها السّيميائيّة من الإرث الدّي سوسيري' ،"مفهوم اللّغة والكلام"، فالأوّل يمثّل نظام اللّغة وقوانينها وآليّاتها، الثّاني يدلّ على الإنجاز الفعليّ الذّي يتحقّق من خلال توظيف اللّغة وتنفيذها، "إنّه (الكلام) فرديّ وآنيّ، عرضة للتّبدل والتّغيّر، وبذلك فإنّ التّمييز بين اللّغة والكلام يعدّ تمييزا بين ما هو اجتماعيّ ثابت، وما هو فرديّ متغيّر، بين ما هو جوهريّ وما هو عرضيّ"[1].

2 ـ مبدأ العلاقات النّظميّة والاستبداليّة Rapports paradigmatiques ,Rapports syntagmatiques

استفادت السّيميائيّة من الإرث اللّساني من نظام العلاقات التّي تؤسّسها العلامات اللّغويّة، وهو ما يصطلح عليه بالعلاقات النّظميّة والاستبداليّة التّي يوقّف عليها المعنى في الجملة مهما كانت طبيعته، "وتكمن أهميّة التّعامل بين هذين البعدين في إخبارنا عن طبيعة كلّ نظام على حدّة، وذلك في حدود أنّ هذا التّقابل يتطابق مع شكل من أشكال النّشاط الذّهني"[2].

3 ـ مبدأ العزل..

من المبادئ الأساسيّة التّي استفادت منها السّيميائيّة السّرديّة من علوم اللّسانيّات ، مبدأ "العزل"، وهو من المبادئ الأساسيّة للبنيويّة الشّكلانيّة، والذّي يعني فصل النّص عن كلّ المؤثّرات الخارجيّة مهما كانت طبيعتها ونوعها، ولا شكّ أنّ لهذا المبدأ أثرا ومردودا إيجابيّا، و"إنّ هذا المبدأ التّحليليّ ـ اللّسانيّ ـ قابل للنّقل إلى ما يتجاوز الجملة، أي إلى الخطاب أو النّص، والذّي هو مجال السّيميائيّات الأدبيّة، وذلك لكون النّص الأدبي بعامّة والسّردي بخاصّة يتضمّن المستويات نفسها"[3].

4 ـ مبدأ المحايثة Immanence

لا يمكن أن نتمثّل مبدأ "المحايثة" إلّا في ضوء المبادئ التّي أشرنا إليها سابقا، التّي تهدف إلى إبعاد كلّ المؤثّرات الخارجيّة، وقد تبنّاه دو سوسير ، واستفادت منه البنيويّة الشّكلانيّة، وها هي "تتبنّاه السّيميائيّة فيما بعد وتركّز عليه في سعيها الدّؤوب على دراسة التّجليّات الدّلاليّة من الدّاخل"[4]. وهو المبدأ نفسه الذّي أخذت به السّيميائيّة السّرديّة الغريماسيّة"..

حيث سيعمد (غريماس) انطلاقا من هذا المبدأ إلى صياغة مبدأ (المحايثة) في بحوث السّيميائيّة وفق منظورين، يبنى الأول على مقولة "**التّصديق Véridiction** "المتمفصلة إلى محورين **"المحايثة" (الكينونة)**، و**"التّجلّي"**

[1]- F.De Saussure , Cours de linguistique General, Paris ,Payot, 1978, P34.

[2] - قادة عقّاق، السّيميائيّات السّرديّة، ص28.

[3] - المرجع نفسه، ص30.

[4] - المرجع نفسه، ص24.

(الظّاهر)، لتتفرّع محصّلة هذه الثّنائيّة ...إلى أربع مقولات.. كما يؤسّس غريماس المنظور الثّاني على المقابلة: **المحايثة**

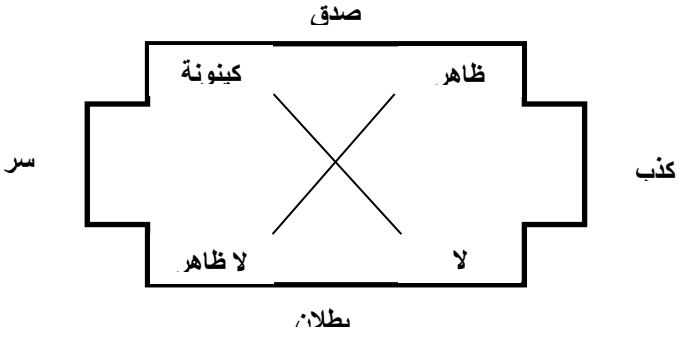

مربّع المصداقيّة carré véridictoire

/ السّمو"[1].

5 ـ مبدأ الاختلاف Différance

وهو مبدأ مركزيّ تبنّته السّيمائيّة السّرديّة قصد الوصول إلى الدّلالة التّي تتأسّس على مبدأ الاختلاف الذّي جاء به دو سوسير، مفاده أنّ الدّلالة ترتكز على الاختلاف "الذّي قعّد له دي سوسير واستعمله للدّلالة على أنّ المفاهيم المتباينة تكون معرّفة ليس بشكل إيجابيّ من مضمونها، إنّما بشكل سلبيّ من علاقتها مع العناصر الأخرى"[2].استفاد غريماس من هذا المبدأ في منظومته المفاهيميّة، وأعطاه مفهوما وبعدا جديدين، على حدّ ما أكّده ' ج , كورتيس' المتمثّل في استيعاب كل الاختلافات "المنتجة للمعنى دون الاكتراث لطبيعتها في إطار بنية تدرك بحضور عنصرين"[3] .

- **أثر الإرث الشّكلاني الرّوسي في النّظريّة السّرديّة..**

يعدّ الإرث الشّكلاني الرّوسي الحجر الأساس في صياغة الأطر العامّة للنّظريّة السّرديّة الغريماسيّة، فلا تتمثّل سيميائيّة غريماس السّرديّة إلّا من خلال إنجازات 'فلاديمير بروب' الذّي ترك بصمات جليّة في كتابات غريماس.

ويعدّ كتاب 'بروب' **(مرفولوجيّة الحكاية Morphologie du conte)"** إيذانا بظهور التّركيب السّردي وإحكام قواعده، والذّي كان له عميق الأثر فيما بعد في الدّراسات البنيويّة التّي تشتغل على المحكي بخاصّة والسّرد بعامّة"[4]. فماذا استفادت النّظريّة السّرديّة الغريماسيّة من إرث بروب؟

---

[1] - قادة عقّاق، السّيميائيّات السّرديّة، ص31.

[2] - المرجع نفسه، ص31- 32.

[3] - J. Courtes, Analyse Sémiotique du discours, Hachette, Paris, 1991, P75.

[4] - المرجع السّابق، ص 64.

يؤكد كثير من الباحثين في حقل السّرديّات، ومنهم 'بيتر دوميجر' أنّ كتاب (مرفولوجيّة الحكاية)، أحدث انقلابا جذريّا في النّقد السّرديّ الفرنسيّ خصوصا "حول الطّريقة التّي يمكننا أن نحلّل بواسطتها أحد النّصوص، وحول ما يجعل النّص رواية"[1].

ويعدّ الباحث 'ق. عقاق' أنّ كتاب 'فلاديمبر بروب' أوّل دراسة رائدة تهتمّ بالنّص لبعض العناصر المتغيّرة في الحكاية وإحصائها، "التّيمات" أو "الموتيفات" (...) لقد وضّح بروب أنّه لكي نمفصل المعنى وننتج دلالة بنائيّة ينبغي أن نبرز الثّوابت، يعني الوظائف المنظّمة (أفعال الشّخصيّات)"[2].

أشار الباحث 'سعيد بوعيطه' أنّ 'بروب' كان يطمح إلى "الكشف عن مجموعة العناصر المشتركة المشكّلة للمتن الذّي تتناوله (الحكاية العجيبة)، بحيث عمل على عزل العناصر الدّائمة والثّابتة لا تشكّل وفق تصوّره سوى تنويعات لبنية واحدة، ولهذا السّبب رفض 'بروب' التّصنيفات التّي تستند إلى المواضيع والحوافز"[3].

ما ميّز **بروب** في كلّ ذلك هو البحث عن بنية مورفولوجيّة لأنموذج الحكاية الشّعبيّة الرّوسيّة، وذلك "بوصف الحكايات بحسب أجزائها المكوّنة وعلاقاتها فيما بينها وبين الكل".[4] وقد لاحظ انطلاقا من ثنائيّة الثّابت والمتغيّر أنّ الشّخصيّات المتباينة في الحكاية الشّعبيّة الرّوسيّة تتناوب على أفعال ووظائف ثابتة، إذ إنّ كلّ حكاية تستمد تغايرها من طريقة توزيعها الوظائف نفسها على شخصيّات متباينة. فتغدو الحكاية بهذا المنظور متمركزة حول وظائف الشّخصيّة ويصبح التّساؤل عن الفاعل وعن كيفيّة تأديته للوظيفة أمرا ثانويّا.

تستقلّ الوظيفة بجوهرها عن الشّخصيّة المنفّذة، فهي تعرّف بوضعها ودلالتها الخاصّة داخل سيرورة المحكيّ، وتعيّن عبر جواهر متضمّنة للفعل، حيث تؤسّس محدوديّتها العدديّة لبنية تعاقبيّة أنموذجيّة تقوم عليها غالبيّة الحكايات[5]، بنية تقوم في جوهرها على تعاقب واحد وثلاثين وظيفة.

لقد أفضت تكراريّة الوظائف وتناوب عددها المحدود على الشّخصيّات الأساسيّة **فلادمير بروب**[6] إلى تحديد تكتّلات الوظائف ضمن دوائر للفعل، حيث تتناسب كلّ دائرة للفعل مع شخصيّة محدّدة، ذلك أنّ الهويّة المركّبة للشّخصيّة في المحكيّ تتوزّع عبر الأوصاف والخصائص الوظائفيّة والعامليّة، ولأنّ المحكيّ يجد بدايته الفعليّة من وظيفة الإساءة أو الافتقار فإنّ وظائف المرحلة التّحضيريّة تبقى خارج مجال هذه الدّوائر.

وبذلك تصبح الشّخصيّة منوطة في تعريفها بدائرة الفعل التّي تنسب إليها، وهوما يتلاءم مع اختيارات الحكاية العجيبة لنوعيّة شخصيّاتها كونها تقع في الغالب على شخصيّات تفتقد للمعياريّة الخياليّة. تخضع الوظائف البروبيّة

---

[1] - بيتر دوميجر، تحليل الرّواية، تر. غسّان شديد، ص 82.

[2] - قادة عقّاق، السّيميائيّات السّرديّة، ص 64.

[3] - سعيد بوعيطة، المرجعية المعرفيّة للسّيميائيّات السّرديّة، جريماس نموذجا، ص48.

[4] - V. Propp, Morphologie du conte, trad. M. Derrida, suivi de, Les transformations des contes, trad. T.Todorov, et de, E. Mélétinski, L'étude structurale et typologique, trad. C. Kahn, Paris, éd. Seuil, 1970. p28.

[5] - Ibid., p30 - 31.

[6] - J. M. Adam, Le récit, p26.

في نظر **بارت** لنظام التّحفيز بوصفها وحدات توزيعيّة تنتظم جنبا إلى جنب مع مجموع الوظائف غير النّسقيّة التّي تأخذ وضع قرائن متناثرة لا تحيل على فعل لاحق ومكمّل، ولكن تحيل فقط على مفهوم ضروريّ بالنّسبة للقصّة المحكيّة، فكلّ ما يتعلّق بوصف الشّخصيّات والأخبار المتعلّقة بهويّاتها أو وصف الإطار العامّ الذّي تجري فيه الأحداث، كلّها تتمّ بواسطة الوحدات الإدماجيّة[1]. إذ تبدو سرديّة بعض الخطابات غير اللّسانيّة مقترنة في الغالب بهذه الوحدات الوظائفيّة، ذلك أنّ نوعيّة الوظائف البروبيّة مرتبطة أساسا بالحكاية الخرافيّة.

إنّ دور لاعب كرة القدم مرتبط بوضعيّته على أرضيّة الملعب، ولفهم هذا المظهر يكفي استعادة الرّوابط القائمة بين الأدوار العامليّة التّيميّة والأدوار التّيميّة الفضائيّة، فالرّقم واحد في الميدان منوط عادة بالدّور التّيمي لحراسة المرمى، وهو دور متعلّق أساسا بفضاء منطقة التّماني عشرة التّي تجيز للحارس استعمال اليدين في التقاط الكرة. والواقع أنّ التّمثيلات الرّقميّة قد أضحت اليوم تمثّل عنصرا من عناصر التّمويه للوظائف الحقيقيّة لحظة اللّعب .

تتحدّد الحكاية الشّعبيّة ضمن الإطار المورفولوجّي بوصفها تطوّرا حدثيّا يجد منطلقه في وظيفة الافتقار أو الإساءة، وينتهي بوظيفة الزّواج. ويسمّي **بروب** هذه السّيرورة بالمقطع حيث يترتّب عن ظهور كلّ افتقار أو ضرر جديد إمكانيّة بروز مقطع جديد، فكثيرا ما تتضمّن الحكاية مقاطع عدة[2]. وقد حاول **بروب**[3] تحديد صيغة أنموذجيّة للحكاية الشعبية الرّوسيّة، تقوم أساسا على ضبط تراتبات الوظائف داخل بنية المقطع.

يتبنّى الاقتصاد السّياسيّ المحدّد لصيغة الوظائف البروبيّة افتراض خروج البطل بسمة (وظيفة الوسم) إمّا بين وظيفتي الصّراع والانتصار، وإمّا بين وظيفتي الامتحان والإنجاز. وبوجه عامّ فإنّ نظام السّيرورة التّسلسليّة للوظائف لا يمكنه إلّا أن يضعنا إزاء سلسلة من التّحوّلات. إنّ "الحكاية الشّعبيّة تتجنّب كلّ تغلغل زمنّي صريح فالأحداث تدور في ماض أسطوريّ لا يمكن تأريخه...في عالم متحرّر من كلّ القيود العرضيّة الظّرفيّة وهو عالم الممكن المطلق"[4]. وإذا كان للمورفولوجيا دور في الوقوف على هذه الظّاهرة، فإنّه يتوجّب على علوم أخرى كالأنتروبولوجيا وعلم النّفس استكناه حقيقتها وكشف مسبّباتها التّي تبدو معقّدة بعض الشّيء.

إنّ الأهميّة التّي أولاها 'بروب ' للتّحليل الشّكلي للحكاية، لم تكن اعتباطا، أو تصوّرا غير مدروس، فقد أدرك 'بروب' أهميّة الوظائف وتحليلها البنيويّ الذّي يوصل إلى أصل الحكاية. "فالتّحليل الشّكليّ يمكّننا من الوصول إلى شيء آخر يمكن تحديده في الشّكل الأصليّ للحكاية"[5].

إنّ تصوّر 'بروب' مؤسّس على قواعد تمكّن من خلالها تشكيل نموذج لتصوّره المؤسّس هو الآخر على مجموعة من الفرضيّات نجملها كالتّالي:

---

[1]- للتّوسّع أكثر يراجع حميد لحميداني، بنية النّص السرّديّ، من منظور النّقد الأدبيّ.

[2] - V. Propp, Morphologie du conte, p112 - 113.

[3] - Ibid., p130.

[4]- سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظريّة القصّة تحليلا وتطبيقا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ص.58.

[5] - سعيد بنكراد، السّيميائيّات السّرديّة مدخل نظري، ص19.

1 ـ "كون العناصر الثّابتة داخل الحكايات، تكمن في وظائف هذه الشّخصيّات"[1]، "هي أنّ الحكايات الشّعبيّة تسند أعمالا متشابهة لشخصيّات متباينة، وتسمّى هذه الأعمال ب(الوظائف)، ممّا يعني أنّ عدد الوظائف في غاية القلّة بالقياس إلى عدد الشّخصيّات المرتفع جدا"[2].

2 ـ توصّل 'بروب' إلى تحديد عدد الوظائف في إحدى وثلاثين وظيفة في الحكاية، و"هذا لا يعني أنّ كلّ حكاية تتضمّن هذه الوظائف كلّها... قد تكون أقلّ من ذلك"[3].

انطلاقا من هذه المبادئ التّي حدّدها 'بروب' من النّمذجة التّي توصّل إليها، ونوّه بها ' غريماس' في قوله: "إنّ قيمة النّموذج البروبي لا تكمن في عمق التّحاليل التّي تسنده، ولا في دقّة صياغته، وإنّما تكمن في قدرته على الاستفزاز، وطاقته على إثارة الفرضيّات، ذلك أنّ تجاوز خصوصيّة الحكاية العجيبة في كلّ الاتّجاهات هو الذّي طبع السّيميائيّة السّرديّة منذ بدايتها"[4].

على هذا الأساس فإنّ مشروع 'غريماس' في نظريته السّرديّة هو امتداد لمشروع 'بروب' في تصوّره السّيميائي الجديد وجهازه المنفتح على حقول معرفيّة شتى، ويلخّص الباحث ق. عقاق فكرة غريماس في مشروعه السّردي السّيميائي، في الأسئلة التّالية: "فما كانت مهمّة غريماس اتّجاه هذا المشروع؟ وما هي التّعديلات التّي أدخلها عليه لتتلاءم مع مشروعه السّيميائي؟ وما الجديد الذّي أتى به انطلاقا من هذا المشروع؟

استنادا إلى "المبدأ الذّي يدعو الى الانطلاق من العلوم إلى اللّاعلوم، ومن الأكثر بساطة إلى الأكثر تعقيدا، من خلال المرور من الأدب المكتوب، من الحكاية الشّعبيّة إلى الحكاية العالمية"[5]. وهكذا تمظهرت التّعديلات التّي أدخلها 'غريماس' على نظريّته السّرديّة، على مستوى المفاهيم والمصطلحات، فأضحى "الملفوظ السّردي" بمفهومه الجديد بديلا عن "الوظيفة"، بعد استفادته من عرض 'تسنير Tesnier 'لمصطلح الوظيفة، تنبّه 'غريماس' إلى الخلل الذّي وقع فيه 'بروب' في تعريفه للوظيفة التّي رآها تفتقر إلى المحدّد النّظري لتعريف الوظائف، الأمر الذّي يجعلها تبدو وكأنّها تقنيّات مكرّرة بدون مشروع علميّ"[6].

فما هي أهمّ التّعديلات التّي أدخلها 'غريماس' على مشروع 'بروب' بعد نقده لمفهوم الوظيفة؟ "لقد انتقد 'غريماس ' مفهوم 'بروب ' للوظيفة الذّي رآه قائما على التّناقض والغموض والتّداخل والارتباك، فإذا كان "(رحيل البطل) الذّي يمثّل وظيفة ـ باعتباره فعلا ـ بينما لا يشكّل (الافتقار) وظيفة بل حالة... فإذا كان (رحيل البطل) باعتباره شكلا من أشكال النّشاط الإنسانيّ يعدّ فعلا، أي وظيفة، فإنّ (الافتقار) لن يكون كذلك، ولا يمكن التّعامل

[1] - سعيد بوعيطة، المرجعيّة المعرفيّة للسّيميائيّات السّرديّة، جريماس نموذجا، ص48.

[2] - قادة عقّاق، السّيميائيّات السّرديّة، ص 66.

[3] - المرجع السّابق، ص48.

4- J. Courtès, Introduction à la sémiologie narrative et discursive, ed, hachette , 1976, P10.

[5] - سعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، دراسة سيميائيّة لرواية غدا يوم جديد، عبد الحميد بن هدّوقة، منشورات الاختلاف، دط، 2000، ص14.

[6] - قادة عقّاق، السّيميائيات السردية، ص72.

معه كوظيفة بل هو حالة تستدعي فعلا"[1]. وبناء على هذا الخلل في مفهوم الوظيفة الذّي توهّمه 'بروب' بالتّتابع الكرونولوجي للوظائف.

في هذا السياق يرى 'غريماس' أنّه يجب الحديث عن الملفوظ السّردي، يدلّ على الوظيفة التّي يجب أن تكون الصّيغة الآتية: «م س = و(ع1،ع 2 ،ع 3)[2]. فكيف يتحدّد الملفوظ السّردي في السّيميائيّة السّردية؟ للإجابة عن هذا السّؤال نرى من المفيد للبحث أن نقوم بتحديد أهمّ المفاهيم الأساسيّة للنّظريّة السّرديّة، ونعني بذلك مفهومي **"الفاعل Sujet "**، و**"العامل Actant".**

الفاعل Le Sujet

من المصطلحات الأساسيّة المتداولة في النّظريّة السّيميائيّة السّرديّة الغريماسيّة، وهو مفهوم يقارب ـ عنده ـ مفهوم ' الشّخصيّة '، وفي بعض التّرجمات العربيّة **"الممثّل" Acteur**"، غير أنّ مفهوم "الفاعل يبقى أدقّ وأوضح من النّاحية الإجرائيّة، بـ"الممثّل" هو أقرب إلى المسرح، ويبقى مفهوم 'الفاعل' هو "الجزء الأساسيّ في المحكي والذّي هو بحاجة إلى عدد معيّن من الأفعال كي يعمد ... (وهو) الهيئة المضطلعة بهذه الأفعال، لهذا وبتحديده ك"منقذ" وكتجسيد إنسانيّ لأدوار لازمة في سياق المحكي، يشكّل مفهوما قريبا جدّا من مفهوم الشّخصيّة"[3].

إنّ مفهوم "الفاعل" في منظور النّظريّة السّرديّة الغريماسيّة، "يحدّد علاقات الرّغبة بين الحالات"، يتعلّق بالكينونة والتّحوّلات والفعل المحكي، فهو "يوافق ملفوظ الحالة بين فاعل وموضوع، لكن يجب الانتباه، 'الفاعل' (ف) ليس شخصيّة، والموضوع (م) ليس شيئا، فهما دوران ومفهومان يحدّدان مواقف مترابطة (عوامل وأدوار عامليّة)، لا يمكن لأحدهما أن توجد دون الأخرى"[4]. وعلى العموم، فإنّ 'الفاعل' يقوم بأدوار متنوّعة ومتعدّدة، تتوزّع على أدوار موضوعاتيّة، فضلا إلى جانب الأدوار 'العامليّة '.

العامل L'Actant

بالنّظر إلى ما هو معروف عند 'بروب' في مفهومه للحكاية التّي حدّدها في إحدى وثلاثين وظيفة تؤدّي عددا من الشّخوص، ومن خلالها يتحدّد دورها في الحكاية، انطلاقا من وجود دوائر فعل التّي ترسم موقع الشّخصيّة داخل الحكاية لحظة ظهورها[5] ومن هنا يتدخّل 'غريماس' بمفهوم "العامل" لتوصيف **"المكوّن السّردي"** لتنظيم الأدوار والوظائف ومحاولة دمجها في ستّة أدوار عامليّة"[6].

---

[1] - ينظر رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة، ص34.

[2] - J. Courtes, Analyse Sémiotique du discours, P 76.

[3] - محمّد ناصر العجيمي، في الخطاب السّردي نظريّة غريماس، ص40.

[4] - فانوسون جوف، شعريّة الرّواية، تر: لحسن لحمامة، دار التّكوين للنّشر، دمشق، ط1، 2012، ص102.

[5] - ينظر قادة عقّاق، السّيميائيّات السّرديّة، ص73 .

[6] - عالية قليل إبراهيم، الأدوار العامليّة في الرّواية العراقيّة، دراسة وتطبيق في منهج غريماس، مجلّة كليّة الآداب، جامعة واسط، ع 2، ص151.

بيَّن رشيد بن مالك في "قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص" مفهوم 'العامل بشيء من الدّقة، نحيل إلى أهمّ العناصر التّي جاءت فيه، التّي نراها تخدم بحثنا. ف'العامل Actant "هو الذّي يقوم بالفعل أو يتبنّاه بمعزل عن كلّ تحديد آخر ـ تشتمل العوامل (الكائنات والأشياء (....) التّي تسهم في العمليّة. من هذا المنظور، يعدّ العامل نموذج وحدة تركيبيّة ذات طابع شكليّ خالص سابقة على كلّ استثمار دلاليّ و/ إيديولوجيّ، يحلّ محلّ الشّخصيّة الشّموليّة"[1].

يتيح لنا مفهوم " العامل" التّمييز بين الملفوظات داخل الخطاب، وبالتّدقيق بين:

"أ ـ عوامل التّبليغ (أو التّلفظ): الرّاوي، المروي له المخاطِب المخاطَب.

ب ـ عوامل السّرد: الفاعل / الموضوع، المرسل / المرسل إليه، فاعل الحالة أو العامل ـ بالفواعل الوظيفيّة (أو النّظميّة)"[2].

لا تكاد الإثارة المنهجيّة لإشكاليّة العامل ضمن مجال المحكي تنفصل عن مرجعيتها ضمن مجال الأسطورة والتّركيبيات والحكاية الشّعبيّة وحتى المسرح، ففي مجال الأسطورة ميّز ج. **دميزال (G.Dumézil)** بين المستويين الوظائفيّ والمواصفاتيّ للتّعريف بالعامل، ولم يجد **تنيير (Tesnière)** في الملفوظ البسيط سوى صورة مطابقة للعرض، فداخل كلّ ملفوظ بسيط تؤدّي المحتويات المختلفة للكلمات (أي للأفعال والمتعاملين) أدوارا محدّدة (فعل، فاعل، مفعول، مبتدأ، خبر،... الخ).. أدوار تنتظم ضمن النّطاق المعياريّ للملفوظ (جملة اسميّة، جملة فعليّة، شبه جملة...).

أمّا في مجال الحكاية الشّعبيّة فقد عدّ **بروب** العامل شخصيّة دراميّة، تتحدّد عبر دائرة الفعل المناطة بها، حيث تستقطب هذه الدّائرة مجموع المتعاملين العاديّن ممّن يمثّلون توردات لنفس العامل، وفي الوقت الذّي تؤسّس فيه تمفصلات المتعاملين لخصوصيّة كلّ حكاية فإنّ بنية العوامل تؤسّس لجنسها. وقد كان وقوف **إتيان سوريو (E.Sourieu)** على مجمل الوضعيّات الدراميّة في المسرح سبيلا لإدراك فاعليّة العوامل في المحكي، بيد أنّ تميّز هذا الأخير بدا في اختزاله للبنية العامليّة ضمن ستّة عوامل[3]. وبين مختلف هذه المجالات يبرز البعد السّيميائيّ لمفهوم العامل.

إنّ اعتماد الجرد الآليّ للعوامل في التّعريف بجنس المحكيّ من شأنه أن يقودنا إلى تجريد كلّي للمحتوى، ذلك أنّ العوامل في جوهرها منوطة بصيغ وجود مشتركة وعلاقات متبادلة تستطيع بتمفصلاتها أن تستوعب الكون الدّلاليّ

[1] - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السيّميائي للنّصوص، دار الحكمة، دط، 2000، ص15.

[2] - المرجع نفسه، ص16.

[3] - A.J.Greimas, Sémantique Structurale, p172 - 176.

البسيط للخطاب. فما مدى سعة هذا الاستيعاب؟ وما هو المعنى العامّ الذّي يأخذه النّشاط العامليّ؟ فيما يكمن؟ ما طبيعة البنية التّي تؤطّره؟ أهي قارّة أم تحويليّة؟[1].

وإذ كانت البنيات العامليّة، باعتبارها التّباشير الأولى للتّحول المضمونيّ، أي الوجه التّركيبيّ للجانب العلائقيّ، تشكّل مستوى توسّطيّا بين المحايثة والتّجليّ، فإنّها تعدّ البؤرة الأساسيّة التّي يتمّ من خلالها الانتقال من المستوى العميق إلى المستوى السّطحيّ[2]. تعتمد أولى خطوات تجاوز الجرد الآليّ للعوامل على تحديد البنية العامليّة ضمن مقولات تركيبيّة ومعاينة توافقاتها مع البعد التّركيبيّ للخطاب...

من هنا يتجلّي تدخّل 'غريماس' في هذا البيان الذّي يشرحه 'سعيد بنكراد' في قوله "إذا كان بإمكاننا تحديد الوظائف (و 1، 2 ، 3) كعناصر مكوّنة لدائرة فعل العامل ع 1، فإنّ ثبات هذه الدّوائر من حكاية إلى أخرى هو ما يسمح باعتبار الممثّلين (Acteurs) م 1، م2 ، م 3 كمتغيّرات متنوّعة لعامل واحد محدّد من خلال دائرة الفعل"[3].

من هنا تبرز العلاقة بين 'العامل Actant ' و'الممثّل (الفاعل) Acteur '، وهي علاقة تبدو مزدوجة، كما رآها 'غريماس'، بمعنى آخر "لو افترضنا أنّ تجليّات 'العامل' ع 1 تتحقّق في النّص عبر ممثّلين (م1،م2، م3) فإنّ العكس ممكن أيضا، قد يتفرّع ممثّل واحد (م1) إلى عوامل متميّزة(ع1،ع2، ع3)"[4].

لم يتمكّن 'غريماس' من تحقيق هذه العلاقة المزدوجة هكذا اعتباطا، فقد استفاد من إنجازات' تسينر Tesniere '، من خلال مفهومه النّحوي لـ " اللفّظة " 'العامل Actant '، وتطويع "نموذج 'بروب' الخاصّ بالوظائف إلى نموذج "عاملي Actanciel"، إذ تمكّن غريماس من اختصار وظائف بروب الإحدى والثّلاثين، إلى عدد محدود تشكّل ثلاث ثنائيّات وظيفيّة، ومنها يمكن ابتكار عوامل بواسطة مقولات عامليّة"[5].

- **التّحليل السّيميائي للسّرد في ضوء نظريّة غريماس..**

لا يختلف اثنان على أنّ المناهج النّقدية الحديثة ومن بينها المنهج السّيميائي هي ثمرة بحوث غربيّة، وأنّها انتقلت إلى العالم العربيّ، وهذا ما أدّى إلى ظهور علم السّيمياء منذ منتصف السّبعينيات. وإنّ العلاماتيّة أو "السّيميائيّة، أو السّيميولوجيا أو السّيميوطيقا، أو علم الإشارة أو علم العلامات، أو علم الأدلة"[6]، كلّها ترجمات لعلم واحد يعنى بدراسة العلامات وأنظمتها اللّغوية، الأيقونيّة والحركيّة...

[1] - A.J.Greimas, Sémantique Structurale , p173.

[2] - سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيّات السّرديّة، ص.42.

[3] - المرجع نفسه، ص44.

[4] - قادة عقّاق، السّيميائيّات السّرديّة، ص74.

[5] - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[6] - بسّام قطّوس، سيمياء العنوان، وزارة الثّقافة، عمّان، الأردن، ط1، 2001، ص12.

حيث إنّ السّيميولوجيا تتكوّن "من الأصل اليوناني: Sémeîon الذّي يعني علامة، وLogos الذّي يعني خطاب"[1]. فالسّيمياء ترسم تلك العلاقة بين بنية الإشارات والنّص الأدبي، كما أنّ "التّحليل السّيميائي ينطلق من آخر مرحلة وصل إليها التّحليل اللّسانيّ على المستوى الأفقيّ ليدخل في مرحلة تفسير المعطيات وتأويل العلاقات التّرابطيّة بين الدّلالات..

فإنّ عمله تجسّد بصورة خاصّة في محاولة تجاوز البنية اللّغوية الدّاخلية إلى الأنظمة الخاصّة بما فيها المرجعيات الثّقافية والدّينية والسّياسية التّي ينتمي إليها الخطاب والملابسات التأويلية المختلفة، وهو في محاولة تناول البنية الرّأسية، واستثمار كل الأنظمة الدّالة"[2]. فقد عرفت الدّراسة السّيميائيّة تطوّرا واضحا في مجال التّحليل السّردي للخطاب، وخاصّة بعد إلمامها الواضح بمرفولوجيّة "بروب"، التّي سعت إلى تعميق علم للسّرد يعمّق هو الآخر فهمنا للمبادئ المكوّنة للخطاب السّردي.

وإنّ التّحليل السّيميائي لهذا الخطاب يتمّ عبر استكشاف البنى العميقة للخطاب، وهذا ما يساعد على الكشف عن الإيديولوجيا المختفية في ثنايا النّص بالكشف عن العلاقات الموجودة بين الفاعلين والموضوع الذّي يتناولونه. حيث يقوم **النّموذج السّيميائي** على دراسة الخطاب انطلاقا من المستوى الظاهري أوّلا، ثم مستوى **السّطح** ثانيا، ثم **العمق** ثالثا... وفق معايير... فالمنهج السّيميائي في قراءة النّص الأدبي "ينبثق من النّص نفسه ويتموقع فيه بوصفه شكلا من أشكال التّواصل يربط علاقة تفاعل بين النّص والقارئ لأن القارئ ينشط على مستوى استنطاق الدّال في النّص ممّا يجعله يتفاعل مؤثّرا في النّص أو متأثّرا به"[3]. "ويمكن أن يكون للدّال الواحد مدلولات متعدّدة وأنّ كلّ قراءة جديدة يمكن أن تكون تفسيرا مختلفا"[4]. والقراءة تعني إقامة علاقة نقديّة مؤسّسة بين القارئ والمقروء.

"وتتجسّد مستويات التّحليل السّيميائي للنّص من خلال **المكوّن السّردي** والذّي يقوم أساسا على تتبّع سلسلة التغيّرات الطارئة على حالة العوامل، أي أنّه ينظّم تتابع وتسلسل الحالات والتّحويلات. مكوّن تصويري ومجاله استخراج الأنظمة الصّورية المبثوثة على نسيج النّص ومساحته، كما أنّه يتتبّع آثار المعنى، أمّا المستوى العميق فيتشكّل من: شبكة من العلاقات تقوم بترتيب قيم المعنى اعتمادا على العلاقات القائمة، والمتجلّية عبر النّص –نظام العمليّات: ينظم الانتقال من قيمة إلى أخرى"[5].

[1]- عصام خلف كامل، الاتّجاه السّيميولوجي ونقد الشّعر، دار فرحة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص18.

[2]- عبد القاهر شرشار، مدخل إلى السّيميائيات السّردية (نماذج وتطبيقات)، منشورات الدّار الجزائريّة، الجزائر، ط1، 2015، ص85.

[3]- علي زغينة، مناهج التّحليل السّيميائي، محاضرات الملتقى الوطني الأوّل، السّيمياء والنّص الأدبي، منشورات جامعة بسكرة، الجزائر، 07-08 نوفمبر 2000، ص135-136.

[4]- المرجع نفسه، ص137-138.

[5]- المرجع السّابق، ص85.

ويذهب غريماس ، إلى ما يسمّيه **"البنى السّردية"** أو "السّيميائية السّردية" في تحديد **البنى السّيميائيّة العميقة** التّي تشمل الأشكال العامّة لتنظيم الخطاب[1]. وهذا ما جعل قواعد الرّواية تتحوّل إلى قواعد سيميائيّة ينبغي أن تفهم على أنّها بنى سيميائيّة عميقة تنظّم نشوء المعنى وتشمل الأشكال العامّة لتنظيم الخطاب - كما سبق الذكر-

تعنى السّيميائية السّرديّة برصد البنى العميقة التّي تتحكم بمظاهر الخطاب، وتهدف إلى تحديد قواعد وظائفيّة للسّرد[2]. وقد تجلّت في أبحاث "غريماس" و**"بريمون" C. Bremond** (1929-2021) انطلاقا من جهود "بروب"، تهتمّ بالسّردية كما أنّها تتناول المضامين السّرديّة، بهدف إبراز بنياتها العميقة من خلال مقاربة النّصوص السّرديّة.

وفي نظر "غريماس" "استخراج المعنى لا يتمّ إلاّ بالكشف عن شبكة العلاقات القائمة في صلب النّص وحصرها، بربط الوحدات السّرديّة وفق الغايات القصوى المقصود بلوغها"[3]. ممّا يعني أنّ التّحليل سيظلّ مرتكزا على البحث عن الشّروط الدّاخلية المتحكّمة في الدّلالة، وهذا لا يقوم على النّص وما يحيل إليه من علاقات خارجيّة.

بل يرتكز على البحث في وظيفة النّص، وكيف قدّم هذا الأخير! وبصيغة أخرى كيف يبنى المعنى داخل النّص لا خارجه. فحسب "غريماس" البحث في سرديّة العمل هو تحليل لمستوياته المختلفة، بما فيه جميع مظاهر الخطاب، وأبعاده الدّلالية العميقة. كما طرح لذلك "غريماس" "**النّموذج العاملي** بوصفه أداة لمعالجة النّصوص السّردية الذّي يعدّ تشخيصا غير تزامني، واستبدالا لعالم الأفعال.

ذلك أنّ السّرد يقوم على التّراوح بين الاستقرار والثّبات والحركيّة والتّحوّل في آن واحد"[4] ، كما أنّه ارتكز على ثلاثة أنواع من العوامل - سيتمّ ذكرها لاحقا بالتّفصيل- . كما خصّص **المربّع السّيميائي**[5] لتجسيد المعنى الذّي يبني علاقات منطقيّة والذّي من خلاله حاول "غريماس" تحليل الأشكال المعقّدة للدّلالة إلى عناصر بسيطة. فهذا المربّع يمثّل العلاقات الأساسيّة التّي تخضع لها بالضّرورة الوحدات الدّلالية لتوليد مجال دلاليّ قائم على الاختلاف والتّقابل.

إنّ المربّع السّيميائي بنية انبثاق تسعى إلى تمثيل كيف يتمّ إنتاج الدّلالة عن طريق سلسلة من العمليّات الإبداعيّة لمواقع متباينة تأسيسا على هذا المنظور يفهم المربّع السّيميائي على أنّه تأليف تقابليّ لمجموعة القيم المضمونيّة[6]...

- **البنية السّطحيّة La Structure Profonde**

---

[1]- ينظر بيتر دوميجر، تحليل الرّواية، تر: فريق التّرجمة بمركز الإنماء القومي، مجلّة العرب والفكر العالمي، ع5، شتاء 1989، ص105-106.

[2]- ينظر عبد الله إبراهيم، من وهم الرّؤية إلى وهم المنهج، مجلّة الفكر العربي المعاصر، ع67-68، ص124.

[3]- أحمد طالب، الفاعل في المنظور السّيميائي (دراسة في القصّة القصيرة الجزائريّة)، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2002، ص23.

[4]- أحمد طالب، المنهج السّيميائي من النّظريّة إلى التّطبيق، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، ط1، بت، ص18.

[5]- ينظر المرجع نفسه، ص22.

[6]- عبد القادر شرشار، مدخل إلى السّيميائيات السّردية (نماذج وتطبيقات)، ص42-43.

إنّ تقسيم 'غريماس ' للبنية السّرديّة إلى سطحيّة وعميقة، لم يكن تقسيما اعتباطيّا أو عشوائيّا، إنّه تقسيم نابع من قراءاته الحصيفة للدّراسات اللّسانيّة التّي استوحى منها كثيرا من مفاهيمه وآلياته الإجرائيّة. استفاد 'غريماس' من 'شومسكي' في تقسيمه المزدوج للبنية إلى مستويين، مستوى البنية السّطحيّة والبنية العميقة، و"يعدّ التّمييز بين البنيات العميقة والبنيات السّطحيّة نسبيّا، ذلك أنّ النّظريّة السّيميائيّة يمكن أن تتموقع حسب احتياجاتها مستويات العمق، وتبدو البنيات الخطابيّة كبنيات سطحيّة بالنّسبة للبنيات العميقة"[1].

انصب اهتمام 'غريماس' بالبنية السّطحيّة من خلال اهتمامه بمبدأ "المحايثة" الذّي طبّقه على دراسة عناصر النّص، لأنّ التّحليل من منظوره، "يجب أن يكون محايثا بحيث يقتصر الاشتغال النّصيّ لعناصر المعنى دون اعتبار للعلاقة التّي يقيمها النّص مع أيّ عنصر خارجيّ"[2]. فالتّحليل المحايث للنّص يستوجب، أساسا، دراسة بنيته الشّكليّة الظّاهرة بوصفها نسقا تحكمه قوانين وشروط محدّدة، وفي هذا المستوى "يخضع فيه السّرد (بكلّ تمظهراته) لمقتضيات المواد اللّغويّة الحاملة له... ويتعلّق الأمر في هذ المستوى بالنّظر إلى النّص السّردي في تجلّياته الخطّية المباشرة"[3]، وقد قسّم 'غريماس' هذا المستوى إلى مكوّنين هما: تركيبيّة سرديّة، ودلالة سرديّة.

تركيبيّة سرديّة: يهتمّ هذا المكوّن في السّيميائيّة السّرديّة بدراسة "المكوّن السّردي" الذّي يقوم بضبط التّواليّات والتّرابطات الخاصّة بالحالات والتّحوّلات الحاصلة على الفواعل. وعلى العموم فإنّ المكوّن السّردي يتشكّل من العناصر التّالية:

1 . الملفوظات السّرديّة: يقابلها مصطلح (الوظيفة) الذّي استخدمه 'بروب' ، ويعني به 'غريماس' فعل الشّخصيّة ووضعها وتحوّلاتها (أفعالها)،فضلا عن (الحالة) التّي تكون عليها الشّخصيّة.

2 . المقاطع السّرديّة: يقصد بها تمفصل النّص وتقطيعه على شكل وحدات وأفكار جزئيّة تصوّر حركة سرديّة.

ولا بأس هنا أن نشير إلى البنية البسيطة للدّلالة، حيث يرتبط حلّ لغز إشكاليّة التّرجمة الآليّة أو تعليم الألسن ووصفها أو وصف كلّ نسق دالّ، الرّهان على انتظام أوراق المحتويات الدّلاليّة داخل كل نسق؛ محتويات تستند على دوال مكثّفة، وتبدو أقرب إلى صورة العلامات المجهريّة المعقّدة. وقد ركز **غريماس**[4]، في هذا الصّدد، وضمن خطوة أولى على تحديد معالم الوحدات الدّنيا للدّلالة التّي تمتدّ ضمنيّا على بساط الكلمة لتأخذ وضع تمظهرات لبنى الدّلالة على صعيد الكلام؛ منطلقا في خطوته هذه من الأدوات النّحويّة.

[1] - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص، ص206.

[2] - سعيد بوعيطة، المرجعيّة المعرفيّة للسّيميائيّات السّرديّة، جريماس نموذجا، ص 50.

[3] - المرجع نفسه، ص51.

[4] - Voir: Greimas, Comment définir les indéfinis?, Essais de description Sémantique, In, M.Arrivé et J.C. Chevalier, La grammaire, Lectures, Paris, éd. Klincksieck, 1975, p227-228.

بيد أنّ التّصور الدّقيق والمتكامل للمشروع لم يتبلور إلّا مع بروز كتاب «الدّلاليّات البنويّة»، إنّه المؤلّف الذّي تراه **آن إينو**[1] قد حمل على الصّعيد الابستمولوجيّ معالم تحويليّة للمشروع اللّساني - الذّي تبنّاه أعضاء جمعيّة البحث في اللّسانيّات الفرنسيّة- من مجال البنى السّطحيّة الجمليّة والبين جمليّة إلى مجال البنى عبر الجمليّة التّي تحدّد ضمن مستوى أعمق معالم انسجام الخطاب. لقد تبنى التّصور السّيميائيّ، على خلاف الدّلاليّات المفرداتيّة والجمليّة وحتّى التّوليديّة، مشروع الانتقال من مستوى الجملة إلى مستوى الخطاب، وذلك عبر الإحاطة بمفاهيم الوصف اللّسانيّ التّي تحرّك دواليب اشتغال اللّسان ضمن آليّتي التّكثيف والتّمديد في الفقرات والملخّصات والتّعريفات أو التّسميّات[2]، مفاهيم تبدو مقترنة في بعدها العامّ بصور النّشاط الدّال.

لا مجال لتمظهر بنى الدّلالة خارج التّواصل، إذ يستطيع هذا الأخير تبرير صورة تلاحم الدّال بالمدلول ومن ثمّ ضمان بعدها التّمظهريّ عبر إبراز الوحدات الدّنيا للخطاب (الفونيم واللّكسيم)، فكلّ مفردة تفترض عبر تقابلاتها الفونولوجيّة المحتملة تحقيق بعدها الدّلاليّ السّلبي لمجرد ارتباطها بالوجود غير المتمظهر لمفردة أخرى، ويحصل العكس في حال التّمظهر حيث تطرح المفردة نفسها صورة الدّلالة الموجبة ببروز المفردة المقابلة.

يستطيع مبدأ التّماثل والتّوازي ضمن التّصوّر السّوسيريّ للعلامة، أن يؤلّف نقطة انطلاق لفهم البنية الدّلاليّة، ففي ضوئه تنعكس تمفصلات البنية الدّلاليّة بموجب تمفصلات الخصائص المميّزة على صعيد التّعبير (الفيمات) لتأخذ وضع وحدات دلاليّة دنيا تدعى بالسّيمات[3].

يعرف اللّكسيم سيميّا بحضور سيمات معيّنة وغياب أخرى، ويستطيع الحضور أو الغياب أن يبرّرا صورة التّقابل السّيمي الوصليّ أو الفصليّ، فاشتراك التّقابلين اللّكسيمين (عريض **تقا** ضيّق) و(طويل **تقا** قصير) في "البعديّة" و غياب سيم "الأفقيّة" عنهما، يجعلهما في وصلة وفصلة على التّوالي مع التّقابل اللّكسيميّ (عال **تقا** منخفض). ولا يقع انتظام علاقات التّراتب السّيمي داخل اللّكسيم فحسب، بل من شأنه أن يملي انتظامات اللّكسيمات نفسها داخل وحدات الخطاب[4]. إذ يجد النّسق السّيمي بطاقة اختراقه للمفردات اللّسانيّة بعدّه السّيميائيّ بين مختلف الخطابات.

لقد مثّلت هذه الفرضيّة رهان **فرانسوا راستي (F. Rastier)** في التّحري عن الأبعاد الدّلاليّة للأسنن الحسيّة في أشعار **ملارمي**، وذلك بطرح المحتويات الحسيّة من جهة وتحديد شبكة علاقاتها بوصفها مفردات سيميّة متغايرة. فعبر هاتين الخطوتين يمكننا أن نتلمس معالم تمظهر الدّلالة داخل الخطاب.

[1] - A. Hénault, Histoire de la Sémiotique, Paris, éd. P.U.F., 1er éd. 1991, p104.

[2] - J. Courtes, Introduction à la Sémiotique narrative et discursive, p28-29.

[3] - Ibid, p28-29.

[4] - A. J. Greimas, Du sens, p39-40.

بيد أن الجديد في مقاربة **راستيي**[1] يكمن في تحديد العلاقات التّراتبيّة بعيدا عن مبدأ الثّنائيّة، حيث وجد المؤلّف في أعمال **ف. بروندال (V.Brondal)** مجالا لمقابلة التّقابل السّيميّ الثّنائيّ بستّة سيمات تقوم على السّلب والإيجاب، وذلك إذا ما تحدّثنا مثلا عن البنية التّقابليّة للمفردتين "أسود" تقا "أبيض"، حيث يسمح مثل هذا التّقابل ببروز مفردة ثالثة محايدة، أي ليست بالسّلبيّة ولا بالإيجابيّة ("الرّماديّ") من جهة، وأخرى مركّبة إيجابيّة وسلبيّة في الوقت نفسه تحمل هيمنة جانب على آخر ما يجعلها تتوزّع على مفردتين (حسب المثال "رمادي فاتح" و "رمادي قاتم"). عبر هذا المبدأ حذا **راستيي** حذوه في رسم المعالم النّسقيّة للّكسيمات اللوّن والضّوء، والأصوات، والأفضية عبر مقاربته للخطاب الشّعري **لملارميي**.

قد يختلف الأمر تمام الاختلاف إذا ما تعلّق بتحديد صيغة لحضور الوحدات الدّلاليّة داخل الخطاب انطلاقا من وحدات التّواصل التّقليديّة (اللّكسيمات)، بل إنّ طرح أي جهاز من المفاهيم سوف لن يكون غرضه سوى تأكيد الفصل الموجود بين الوضع الأوّلي للتّواصل الخطابيّ للدّلالة، ووضعه التّمظهري. حيث يميّز ههنا **غريماس** "السّيمات النّوويّة" عن "السّيمات السّياقيّة" (كلاسيمات)، إذ تجد الأولى في اللّكسيم مقرّا لها، في حين تفترض الثّانية وجود وحدات تركيبيّة أكبر تتضمّن ارتباط لكسيمين على الأقل. وإذا كانت النّواة السّيميّة ضمن أي لكسيم ثابتة وقارّة، فإن تغيّر أثر المعنى المصاحب للّكسيم لا يتحدّد إلّا عبر المتغيّرات التّي تمليها السّيمات السّياقيّة. كما هو في المثال الآتي:

- رأس الجبل / جماد/

- رأس القوم /إنسان/

وبعبارة أدقّ، فإنّ كلّ ارتباط يمليه السّياق بين الصّورتين النّوويّتين (رأس الجبل، أو رأس القوم) للّكسيمي المقطّع، يطرح على الأقلّ بروز سيم سياقيّ جديد يتولّى تحقيق انسجامهما[2]، ما يجعلنا أمام وحدة دلاليّة كبرى معرّفة بوصفها أثرا للمعنى (سميم)، فالسّميم لا يعرف إلّا بوجود سيم سياقيّ محدّد، وذلك على نقيض اللّكسيم الذّي يعدّ أنموذجا افتراضيّا يشتمل كلّ الاستعمالات الممكنة، أي الارتباط بكلّ السّيمات السّياقيّة الممكنة التّي تسبق مرحلة التّمظهر في الخطاب[3]. إنّ اشتمال "السّميم" على هذين الوحدتين القاعدتين (السّيم النّووي والسّيم السّياقيّ) لا يمكنه حسب **أمبرتو إيكو**[4] **(U.Eco)** إلّا أن يجعل منه نصّا افتراضيّا، بل إنّ النّص نفسه ليس سوى امتدادا لسميم معيّن. وذلك في الوقت الذّي تبدو فيه هذه الوحدة نتاج تهجين بين المستوى السّيميائيّ العامّ، الذّي يقوم على تمفصلات الصّور السّيميّة القابلة للاستثمار في الخطاب، والمستوى الدّلاليّ العامّ الذّي يضمن تمظهره، انطلاقا من النّسقيّة الخاصّة للّكسيمات، "تشاكل" (l'isotopie) المرسلات والنّصوص[5].

[1] - F. Rastier, Essais de Sémiotique discursive, Paris, éd. Mame, 1973, p12 - 41.

[2] - J. Courtes, Introduction à la Sémiotique narrative et discursive, p49 - 50.

[3] - A. J. Greimas, Sémantique structurale, p. 51.

[4] - U.Eco, Lector in fabula, ou La coopération interprétative dans les textes narratifs, trad. M.Bouzaher, Paris, éd. Gassete & Fasquelle, 1985, p. 27.

[5] - A. J. Greimas, Sémantique structurale, p. 54.

- **النّموذج العامليّ بوصفه نسقا Le modèle actanciel**

من مسلّمات النّظريّة السّرديّة الغريماسيّة، اتّسامها بالشّموليّة، إذ استفادت من نتائج الدّراسات السّابقة التّي مسّت العديد من الحقول المعرفيّة، بالأخصّ اللّسانيات والدّراسات الأسطوريّة، وعليه فإنّ دراسة وتَمثُّل أيّ مفهوم من مفاهيم هذه النّظريّة يقتضي العودة إلى نتائج هذه الدّراسات.

فعند بناء تصوّر مفهوم النّموذج العاملي عاد 'غريماس' إلى مفهوم "العامل" في اللّسانيّات الذّي انطلق منه "لتوليد بنية تركيبة كبيرة: بنية الخطاب السّردي باعتباره يتشكّل من الجملة ويتجاوزها إلى الخطاب والنّص"[1]. فضلا عن ذلك فقد استعار 'غريماس' من "العوامل" في المسرح كما تناولها **'سوريو Sauriau'** (1892-1979م) الذّي استخرج نموذجا عامليّا، يكثّف ويلخّص مجموع التّطوّرات والتّحوّلات التّي يزخر بها النّص المسرحيّ محدّدة في المواقع التركيبيّة التّالية:

. القوّة الموضوعاتيّة الموجّهة.

. ممثّل الخير والقيم الموجّهة.

. الحكم واهب الخير.

. المتحصّل المفترض.

. المساعد.

. الضّديد"[2].

إنّ فكرة "النّموذج العامليّ" كان قد وضع 'غريماس ' خطوطها العريضة في كتابه (الدّلالة البنائيّة) سنة 1966، حين حاول أن يؤسّس لعلم دلالة بنائيّ للحكي، أقامه على ستّة عوامل، تتشكّل من ثلاثة محاور، وهي اختزال لأحدى وثلاثين وظيفة لبروب:

. محور الرّغبة: وهو المحور الذّي يربط بين الذّات والموضوع

. محور التّواصل: وهو عنصر الرّبط بين المرسل والمرسل إليه

. محور الصّراع: وهو ما يجمع بين المساعد والمعارض.

إنّ " النّموذج العاملي" كما تصوّره 'غريماس' في محاوره الثّلاثة، هو اختزال لنشاط الإنسان، تسوسه الرّغبة المحرّكة للذّات الإنسانيّة، "ومتموضع بوصفه موضوعا للتّواصل بين المرسل والمرسل إليه، في كون رغبة الذّات تتغيّر

[1] - سعيد بنكراد، السّيميائيّات السّردية مدخل نظري، ص47.

[2] - ينظر عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النّص، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، دار الأديب، وهران، الجزائر، 2006، ص60.

حسب اسقاطات المساعد والمعيق"[1]. لذا كان مفهوم "العامل" أشمل من الشّخصيّة، لأنّ التّأثير لا يكون من الإنسان فحسب، بل من الحيوان أو أيّ شيء آخر له قدرة على فعل "التّحويل والتّغيير"، فهو "يقوم بالفعل أو يخضع له، وقد يكون إنسانا، أو حيوانا أو فكرة"[2].

ومن هنا يمكن اعتبار النّموذج العامليّ نسقا ونظاما من العلاقات يساعد على رصد دلالة النّص، بـ"النّظر إلى الهيكل العام المنظّم للسّرديّة وفق سلسلة من العلاقات"[3].

أ ـ علاقة الرّغبة Relation de désir

يمكن وصف العلاقة بين **الذّات والموضوع (sujet / objet)** بالمحور الأساسيّ في النّموذج العامليّ. فالرّغبة تدفع إلى التّواصل، وتؤجّج الصّراع عند تطوّر ملفوظ الحالة، الذّي ينشأ عن العلاقة بين الذّات والموضوع، يتطوّر عنه ملفوظ آخر يصطلح عليه 'غريماس' بـ"**ملفوظ الإنجاز(énoncé de faire،)** الذّي يفضي إلى خلق "ذات الإنجاز **(sujet d'état)** التّي تنجز الفعل لتحقيق الرّغبة عن طريق أيّ شخصيّة، وعندئذ يصبح العامل مثلا بمثّلين، ونتيجة لذلك ينشأ ما يسمّيه 'غريماس' **بالبرنامج السّردي (Programme Narratif)** الذّي سيأتيه الحديث لاحقا. فالعلاقة بين الذّات والموضوع تتحدّد "عبر ملفوظ الحالة، الذّي يجسّد تحوّلا اتّصاليّا أو انفصاليّا"[4]. والتّرسيمة الآتيّة توضّح ذلك[5]..

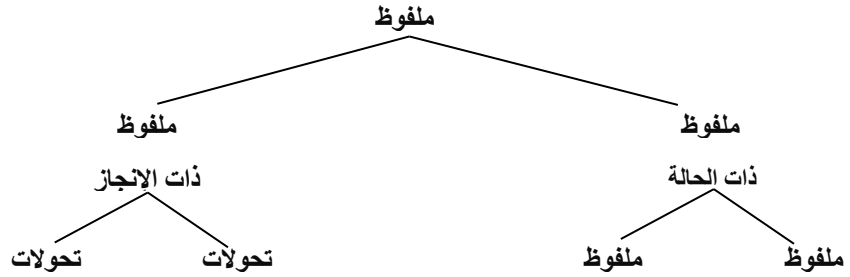

ب ـ علاقة التّواصل Relation de communication

[1] - محمّد الدّاهي، سيميائيّة السّرد، بحث في الوجود السّيميائي المتجانس، روية للنّشر والتّوزيع، القاهرة، دط، 2009، ص 35.

[2] - محمّد مفتاح، ديناميّة النّص (تنظير وإنجاز)، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط2، 1990، ص169.

[3] - سعيد بنكراد، سيميولوجيا الشّخصيّات السّردية (رواية الشّراع والعاصفة لحنّا مينة نموذجا)،دار مجدلاوي ، عمّان، الأردن، دط، 2003، ص 92.

[4] - حميد لحمداني، بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبي، ص35.

[5] - قادة عقّاق، السّيميائيّات السّرديّة، ص110.

لتَمَثُّل حقيقة العلاقة التّواصليّة في الحكي، تقتضي الضّرورة أن نفهم الدّوافع التّي وراء تحريك الرّغبة، ذلك "أنّ كلّ رغبة من لدن ذات الحالة، لا بدّ أن يكون وراءها محرّك أو دافع"[1]. فالدّافع عند 'غريماس' هو **"المرسل Destinateur "** الذّي يوجّه رسالته إلى "عامل" وهو **"المرسل إليه Destinataire "**، وحينئذ تتحقّق علاقة التّواصل بين المرسل والمرسل إليه عن طريق علاقة الرّغبة. والخطاطة الآتية توضّح ذلك[2]..

ج . علاقة الصّراع Relation Lutte

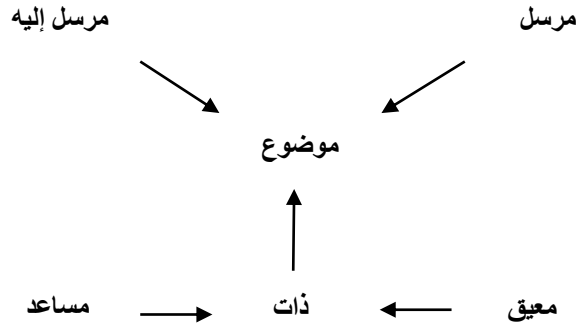

لا يتجسّد الصّراع إلّا من خلال العلاقة بين **"المساعد Adjuvant "** و**"المعارض L'opposant "** التّي تنتج إمّا تحقيقا للرّغبة والتّواصل، فيكون النّجاح للمساعد، أو إمّا أن تكون نتيجة العلاقة عدم تحقيق الرّغبة والتّواصل، فيكون المعارض هو المنتصر، وعليه فإنّ المساعد يتدخّل دوما "لتقديم يد العون، بغية تحقيق مشروعه العمليّ وإصابة هدفه المنشود"[3].

فالمعارض أو المعيق دوره سلبيّ يختلق العراقيل والمعوّقات التّي تحول دون تحقيق هدف المساعد، "لاتّصاله بموضوع القيمة المرغوب فيه"[4]. ويختزل 'ج. كورتيس' ' النّموذج العاملي' في علاقاته الثّلاث التّي نشير إليها في التّرسيمة الآتية :

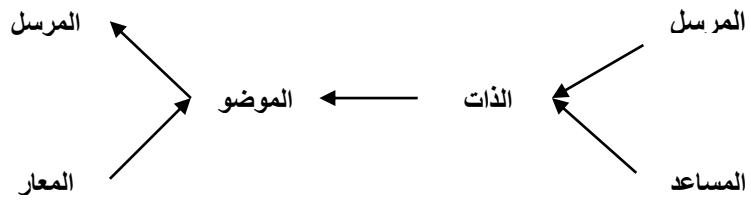

[1] - حميد لحمداني، بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبي، ص35.

[2] - سعيد بنكراد، السّيميائيّات السّرديّة، مدخل نظري، ص76.

[3] - نادية بوشفرة، مباحث في السّيميائيّة السّرديّة، الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تيزي وزو، الجزائر، دط، 2008، ص51-52.

[4] - المرجع نفسه، ص52.

انطلاقا من النّماذج التّي درسها 'غريماس' عند كلّ من 'بروب' ،'سوريو' و'تنيير'، توصّل إلى صياغة الصّورة النّهائيّة للنّموذج العاملي، "في تنوّعها وغناها وتوزّعها على مجلّات مختلفة (الحكايات الشّعبيّة، المسرح) .سيعمد غريماس إلى صياغة الصّورة النّهائيّة للنّموذج العاملي بعدّه مستوى مشتقّا من النّموذج التّأسيسي (ظهور العمليّات من صلب العلاقات)"[1]. ويتكوّن هذا النّموذج من ستّ خانات موزّعة على ثلاثة أزواج، وكلّ زوج محدّد من خلال محور دلاليّ يحدّد طبيعة العلاقة الرّابطة بين حدّي كلّ زوج، ويحدّد طبيعة العلاقة الرّابطة بين الأزواج الثّلاثة، ويعطي غريماس لنموذج التّمثيل التّالي[2]:

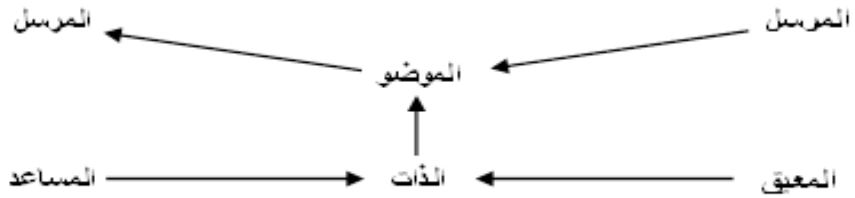

انطلاقا من هذا التّمثيل حدّد 'سعيد بنكراد' المحاور الثّلاثة التّي تعبّر عن الرّغبة كما استوحاها من غريماس "تعبّر عن الرّغبة في حالة العلاقة بين الذّات وموضوعها..

- محور الرّغبة: وهو المحور الذّي يربط بين الذّات والموضوع

- محور الإبلاغ: وهو عنصر الرّبط بين المرسل والمرسل إليه

- محور الصّراع: وهو ما يجمع بين المعيق والمساعد.

من هنا يطفو السّؤال الجوهري التّالي: ماذا يمثّل النّموذج العاملي في منظور غريماس؟

يمثّل النّموذج العاملي في خطوطه العريضة ومحاوره الأساسيّة، الوجود الإنساني في فكره ونشاطه، "إنّ هذا النّموذج بعلاقاته الثّلاث يضعنا أمام العلاقات المشكّلة لأيّ نشاط إنسانيّ، كيفما كانت طبيعته، وبعبارة أخرى فإنّ هذا النّموذج يُعدُّ بشكل من الأشكال طريقة في تعريف الحياة ومنحها معنى"[3].

البرنامج السّردي Le Programme Narratif

إنّ المستقرئ للنّظريّة السّرديّة الغريماسيّة بمكوّناتها الشّموليّة والمفاهيميّة يتّضح له، أنّ هذه النّظريّة بناها صاحبها بعناية فائقة، وفق منطق دقيق ومنطلقات مُؤسَّسَة، فلا شيء يخضع للاعتباط أو الصّدفة. وهكذا فإنّ

[1] - J. Courtés , Introduction à la sémiotique narrative et discursive , P62.

[2] - سعيد بنكراد، السّيمائيّة السّرديّة، مدخل نظري، ص76.

[3] - المرجع نفسه، ص 78.

الحديث عن 'النموذج العاملي' يفضي بنا بصورة منطقيّة إلى تناول هذا العنصر المركزيّ من البنية السّطحيّة للنّظريّة السّرديّة عند 'غريماس'.

من خصائص النّص السّرديّ أنّه يَعرفُ تحوّلا من حالة إلى حالة، وهو تحوّل تؤكّده الدّراسات التّي تناولت النّظريّة السّرديّة، و"لا يمكن أن يتمّ عن طريق الصّدفة"[1]. إنّ ترابط النّص السّردي وانتقاله من حالة لأخرى والتّحوّلات النّاجمة عن هذا التّرابط، هو الذّي يصطلح عليه 'غريماس' بمفهوم البرنامج السّرديّ، إنّه "تتابع الحالات وتحوّلاتها المتسلسلة على أساس العلاقة بين الفاعل والموضوع وتحوّلها، إنّه التّحقيق الخصوصي للمقطوعة السّرديّة في حكاية معطاة في العلاقة بين الفاعل الدّالة على الحالة وموضوعه، يحدّد البرنامج السّردي دائما بالحالة (في علاقتها بموضوع القيمة) التّي ينتهي إليها"[2].

استنادا إلى المفهوم السّابق للبرنامج السّردي الذّي يراه 'غريماس' أنّه قائم على فعل إنجازيّ واحد بقلب الحالة الأوّلية واستبدالها بحالة نهائيّة، والتّي يسمّيها 'غريماس' **"بالمسارات السّردية Les parcours narratifs"** المشكّلة لمراحل صيرورة الحدث السّردي. فما هي هذه المراحل؟

1 . مرحلة التّحفيز والتّحريك La manipulation

إنّ الهدف من هذه المرحلة البحث عن موضوع القيمة، ولا يتحقّق هذا الأمر إلّا بـ(إقناع الذّات من قبل المرسل، بحيث يقوم العامل بتأويل هذا الإقناع"[3]. فضلا عن إقامة علاقة التّأثير والاستحواذ من قبل مرسل للتّحفيز، وقائم به على عامل ثانّ متلقّيا له، يشعر بالحالة وضرورة القيام بعمل ما قصد تغيير وضعيّة معيّنة واستبدالها بوضعيّة أخرى مغايرة لها. وتمثّل مرحلة التّحفيز/ التّحريك "بالنّسبة لتطوّر البرنامج السّردي مرحلة ابتدائيّة"[4].

2 . مرحلة القدرة / الأهليّة La compétence

إنّ الاقتناع الذّي رصدناه في مرحلة التّحفيز يهدف إلى تحقيق الرّغبة، ولا تتحقّق هذه عند الفاعل إلّا إذا توفّرت القدرة والأهليّة الدّافعة إلى الإنجاز والعمل، لأنّ "إرادة الفعل، القدرة على الفعل، وجود الفعل، معرفة الفعل، وجلّها ترتبط بالبعد التّداوليّ"[5]. أي أنّ "فعل الفاعل دليل على قدرته"[6].

3 . مرحلة الإنجاز / فعل الكينونة La performance

[1] - سعيد بنكراد، السّيمائيّة السّرديّة، مدخل نظري، ص55.

[2] - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص، ص148.

[3] - سعيد بوعيطة، المرجعيّة المعرفيّة للسّيميائيّات السّرديّة، جريماس نموذجا، ص53 .

[4] - المرجع نفسه، ص53.

[5] - المرجع نفسه، ص53.

[6] - عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النّص الرّوائي، ص11.

تعدّ هذه المرحلة جوهريّة وأساسيّة في البرنامج السّردي، فهي تعبّر عن التّحوّل الذّي تمَّ بصورة حقيقيّة، هدفها الحصول على موضوع القيمة، إذ "يقتضي الحدث الذّي يقوده الفاعل المنفّذ إلى تحويل الحالة"[1]. بمعنى أنّ الفاعل وصل إلى مرحلة التّنفيذ والتّحويل، وهي المرحلة النّهائية. غير أنّ تحقيق هذه الرّغبة خاضع للبنية الجدليّة التّي تحكم النّموذج العامليّ، إذ نجد برنامجا مضادّا يقوم به فاعل مضادّ"[2].

4 . مرحلة الجزاء La sanction

يعتبر الجزاء المرحلة السّرديّة الأخيرة في البرنامج السّردي، فهو الحكم والنّتيجة على الأفعال التّي يَتمُّ إنجازها من الحالة البدئيّة إلى الحالة النّهائيّة، إنّه حكم على الإنجاز"[3]. للإشارة، فإنّ حضور 'المرسل' يعدّ في البرنامج السّردي الحلقة المهيمنة من الحالة الأولى (البدء) إلى الحالة الأخيرة (النّهاية)، فهو الحاكم على الأفعال والشّاهد على تطوّرها، ومن خلالها تُقيَّمُ الإنجازات قبل تقديم الجزاء.

وصفوة القول فإنّ العوامل السّرديّة الأربعة التّي تمّ عرضها آنفا تشكّل العمود الفقري للبرنامج السّردي البسيط، الذّي يتأكّد من خلاله التّرابط المحكم والمنطقي بين العوامل السّرديّة التّي نختزلها في الشّكل التّالي:

تحفيز:	قدرة:	إنجاز:	جزاء:
فعل الفعل	كينونة الفعل	فعل الكينونة	كينونات الكينونة
علاقة مرسل	علاقة فاعل إجرائي	علاقة فاعل إجرائي	علاقة مرسل
فاعل إجرائي	برنامج استعمال	برنامج أساس	فاعل إجرائي
(إقناع – تأويل)	(مواضيع جهيّة)	(مواضيع قيمة)	(تقويم)

"نلاحظ في نهاية الجدول أنّ الفعل الإقناعي يقابله الفعل التّأويلي في مرحلة التّقديم، وهو ناتج عن فعل التّأثير الممارس من المرسل على الفاعل لأداء المهمّة التّي كلّف بها، من أجل الحصول على موضوع القيمة، وعليه يكتسي الفعل الإقناعي والفعل التّأويلي طابعا معرفيّا"[4].

5ـ التّحليل السّردي بين الحالات والتّحوّلات..

الأصل في النّموذج العامليّ الانتظام والثّبات، غير أنّه من خلال العوامل الستّة ينهض على جانب من الحركة والحيويّة لسبب بسيط، "أنّ السّرد يقوم في أساسه على التّحوّل من طور إلى طور والانتقال من حال إلى حال"[5].

---

[1] - ميشال آريفي وآخرون، السّيميائيّة أصولها وقواعدها، تر: رشيد بم مالك، مر: عزالدّين مناصرة، منشورات الاختلاف، طبع المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية، دط، 2002، ص 15.

[2] - سعيد بوعيطة، المرجعيّة المعرفيّة للسّيميائيّات السّرديّة، جريماس نموذجا، ص53.

[3] - ينظر عبد الحميد العابد، مباحث في السّيميائيّات، دار القرويّين للطّباعة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2008،ص39.

[4] - المرجع نفسه، ص 52.

[5] - محمّد النّاصر العجيمي، في الخطاب السّردي، نظرية غريماس،ص47.

معنى هذا أنّ التّحوّل والانتقال الذّي ينهض عليه السّرد يبعث فيه الحركة والفعاليّة، ومن هنا يُشيَّد السّرد كينونته من خلال الحالات والتّحوّلات التّي ينبغي التّمييز بينها، "بمعنى التّمييز بين الحالة والدّلالة على **الكينونة(Etre)** أو **الملك(Avoir)**، وبين **الفعل (Faire) المنجز"**[1].

ويمكن أن نوضّح ذلك بالإشارة إلى العلاقة القائمة بين الذّات والموضوع على أحد العاملين، فإمّا أن تكون علاقة اتّصال، أو إمّا أن تكون العكس، فهي بين بين، لا اتّصال دائم ولا انفصال دائم، ويمكن أن نرمز إليها بالشّكل التّالي:

علاقة الوصل:

1. الفاعل(ف) في علاقة وصلة ∩بموضوع القيمة (م) énonce d'état de jonction ف∩ م

2 . الفاعل(ف) في علاقة فصلة ∪ بموضوع القيمة (م) transformation disjonctive ".[2]

فالتّحويل السّردي في النّص يتّخذ شكلين، الذّي يتمثّل في الانتقال من حالة إلى حالة ثانية مغايرة للأولى التّي نرمز إليها في الشّكل التّالي:

1. في شكل علاقة الاتّصال transformation conjonctive من الانفصال إلى الاتّصال

(ف ∪ م) ⟵(ف∩م)

2 . في شكل علاقة الانفصال transformation disjonctive

(ف∩ م) ⟵(ف∪م) [3]

التّحويل (الانتقال من حالة إلى حالة أخرى).

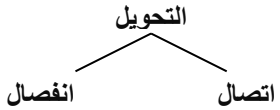

ف، ن [(ف ∪ م)] [(ف∩ م)]

ف، ت [(ف ∩ م)] [(ف ∪ م)]

[1] - نادية بوشفرة، مباحث في السّيميائيّات السّرديّة، ص52.

[2] - المرجع نفسه، ص52.

[3] - المرجع نفسه، ص52- 53.

إنّ مهمّة التّحليل السّردي تقوم بوظيفة هامّة وأساسيّة، إذ يقوم بتحريك وحدات النّموذج العاملي، "على أساس التّحول والانتقال من طور إلى طور ومن حال إلى حال، بعبارة أخرى وهي التّمييز والفصل بين الحالات والتّحويلات، وهكذا فملفوظات الحالة تعني الكينونة والملكية، أمّا ملفوظات الفعل فتدلّ على الفعل المنجز، ومنه التّحويل يعني به الانتقال من حالة إلى حالة أخرى لا تماثلها عن طريق **فعل تحويليّ faire transformateur**، أو **ملفوظ الفعل énonce de faire**، يتمّ إنجازه من قبل **فاعل الفعل sujet de faire** أو **الفاعل الإجرائيّ sujet opérateur**"[1].

- **البنية العميقة La structure profonde**

يقتضي العرض المنهجي للمبحث أن نعرّج على تعريف البنية السّطحيّة والبنية العميقة، بغرض استجلاء القواعد التّي تحكم كل بنية. وممّا هو مؤكّد في الدّراسات اللّغويّة الحديثة، أنّ 'شومسكي' " يميّز بين البنية السّطحيّة، أي البنية الظّاهرة عبر تتابع الكلمات التّي ينطق بها المتكلّم، وبين البنية العميقة، أي القواعد التّي أوجدت هذا التّتابع تبيّن هذه القواعد تكوين الجمل في مستوى أعمق من المستوى الظّاهر في عمليّة الكلام"[2].

يستدلّ ممّا سبق أنّ البنية العميقة هي البحث عن المكوّنات البانية التّي أنشأت التّتابع اللّغوي، وهي بنية يصعب الكشف عن مكامنها إلّا بالإدراك الكلّي والشّامل للبنية السّطحيّة. وفي هذا السّياق تساءل 'سعيد بنكراد' عن كفية استطاعة الذّهن البشري أن يحقّق موضوعات ثقافية؟ للإجابة عن هذا التّساؤل أشار سعيد بنكراد أنّ الذّهن البشري يملك طرقا معقّدة ينبغي عليه أن يتجاوزها، ولن يتحقّق له ذلك، إلّا بالارتكاز على ثلاثة مبادئ:

"أوّلا. أنّ البنيات العميقة تتحدّد داخلها الكينونة الإنسانيّة ... وهي بمثابة الخزّان الثّقافي الذّي يتحكّم لاحقا في أشكال السّلوكات المرتبطة بثقافة تبرّره وتفسّره"[3].

أمّا "المبدأ الثّاني، فيتعلّق بالبنيات السّطحيّة، وهي تتمثّل في القواعد التّي تقوم بتنظيم المضامين القابلة للتّجلي في أشكال خطيَّة"[4]. ويوجز سعيد بنكراد المبدأ الثّالث الذّي يتعلّق "ببنيات خاصّة بالتّجلي، التّي تنتج تنظّم الدّوال، ويتمّ النّظر إليها من زاويتين، الأولى تعود إلى المضامين ... أمّا الثّانية، فهي تحيين الممارسة من خلال أشكال خطابيّة"[5].

إنّ الخطاب ليس تشكيلا لغويّا حاملا للدّلالة، إنّه قواعد وشروط تنتجها وتتحكّم فيها، ومن هنا لا يمكن أن نعتبر النّص "سطحا فقط، خاضعا لمقتضيات المواد اللّغوية الحاملة له فحسب، بل هو عمق أيضا، ودلالة ومفاهيم

[1] - حدّاد خديجة، الشّخصيّة في روايات محمّد مفلاح من منظور نظريّة العامل السّرديّة، رواية شبح الكليدوني أنموذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2018/ 2019، ص 88-89.

[2] - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص، ص205.

[3] - سعيد بنكراد، السّيمائيّة السّرديّة، مدخل نظري، ص 44.

[4] - المرجع نفسه، ص45.

[5] - المرجع نفسه، ص45.

مجرّدة، وشروط منطقيّة تحكم هذه الدّلالة، بل وتتحكّم حتّى في المستوى السّطحي نفسه، أي أنّ النّص يتضمّن بعدا آخر غير البعد السّطحي، سابقا عليه في الوجود، ومولّد له، وهو البعد (المستوى) العميق"[1].

يشير 'رشيد بن مالك 'في (قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص) أنّ البنية العميقة "هي ضمنيّة وتتمثّل في ذهن المتكلّم المستمع، فهي حقيقة عقليّة قائمة، يعكسها التّتابع الكلامي المنطوق الذّي يكوّن البنية السّطحيّة. ومن هنا ترتبط البنية العميقة بالدّلالات اللّغويّة... في حين ترتبط البنية السّطحيّة بالأصوات اللّغويّة المتتابعة"[2]. فكيف يتحدّد التّمييز بين البنية السّطحيّة والبنية العميقة؟

إنّ الإجابة عن هذا السّؤال تكمن في كون البنية السّطحيّة تقوم بوظيفة تنظيم المضامين تخرجها في أشكال خطابيّة، أي في بنية ظاهرة، "فإنّ البنيات العميقة التّي تتميّز بطابعها أو وضعها المنطقي، تُمثّل ذلك المستوى الذّي يتحدّد بداخله نمط الكينونة الخاصّ بفرد أو مجتمع ما، كما تتحدّد بداخله شروط وجود الموضوعات السّيميائيّة"[3].

وتبقى البنية العميقة دوما خارج إطار الشّكل، قابلة لأن تتموضع في أشكال تعبيريّة متعدّدة، إنّ "البنية العميقة . من منظور السّيميائيّات السّرديّة . تمثّل ذلك المستوى الذّي يشتغل كشكل سابق عن أيّ تمظهر لسانيّ أو غير لسانيّ، لكونه قابلا للظّهور من خلال مواد تعبيريّة مختلفة"[4].

ومن هذا المنظور يحدّد غريماس تصوّره للبنية العميقة التّي يراها تتأسّس على الخلافات، وهو مفهوم استعاره من لسانيات 'دي سوسير' ، إذ "يرى 'غريماس' أنّ معنى الحكاية كامن في بنيتها الدّلالية، وأنّ هذه الأخيرة لا تتحدّد إلّا من خلال إدراكنا لجملة الخلافات التّي تقوم على الأقلّ بين عنصرين من عناصرها"[5].

يسعى التّحليل السّيميائيّ وفق هذا المنظور إلى تشتيت الرّؤى وتفجير المرجعيّات محاولاً استنطاق المعطيات من خلال قراءة أو عدد من القراءات تساعد في فكّ شفرات رموز النّص واستكناه المعاني المسكوت عنها، ما دام النصّ (نتاجاً لشخص أو أشخاص، عند نقطة من التّاريخ الإنسانيّ، وفي صورة معيّنة من الخطاب، تستمدّ معانيها من الإيماءات التأويليّة لأفراد القرّاء الذّين يستعملون الشّفرات النّحويّة والدّلاليّة والثّقافيّة المتاحة لهم[6].

ولمّا كان التّحليل السّيميائيّ ينطلق من آخر مرحلة وصل إليها التّحليل اللّسانياتّي على المستوى الأفقيّ، ليدخل في مرحلة تفسير المعطيات وتأويل العلاقات التّرابطيّة بين الدّلالات، فمن الطّبيعي أن يقدّم تفسيرات وتأويلات تختلف

[1] - قادة عقّاق، السّيميائيّات السّرديّة، ص195.

[2] - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص، ص25-26.

[3] - المرجع السّابق، ص196.

[4] - المرجع السّابق، ص196.

[5] - المرجع السّابق، ص197.

[6] - روبرت شولز، السّيمياء والتّأويل. تر: سعيد الغانمي، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، عمان، دط، 1994، ص 41.

باختلاف النّقاد، وبذلك يمكن أن يعدّ كلّ قارئ منتجاً لنصّ جديد، وهذا ما عناه رولان بارت بقوله: "إنّ القارئ أو النّاقد ليس مستهلكاً للنصّ فحسب، بل هو منتج له أيضاً، وهو مجموعة من النّصوص الأخرى الذّاتيّة والموضوعية"[1].

والمقصود بإنتاج القارئ للنّص الجديد، هو انفتاحه على عدد من القراءات، بحيث يعاد تفسير العمل الأدبيّ حسب المكوّنات اللّغويّة والثّقافيّة والتّناصيّة للنّاقد، حتى يحقّق في الأخير نصّاً جديداً يعرف بـ (البنية العميقة). وليس إنتاج النّص الجديد معناه الانطلاق من تخمينات غير مؤسّسة، بل هو بناء يحرّر القراءة لاستكشاف خبايا وخلفيّات العمل دون أن يتجاوز حدود المعطيات الدّلاليّة والسّياقات النّصيّة والمبادئ اللّسانياتيّة، وإلّا انزلق خلف حدود المعاني واستحال إلى تهويمات خياليّة تلغي المقصديّات المبرّرة.

ويذهب **هيرش** في هذا السبيل إلى أنّ القراءة فنّ يخضع لموهبة الفرد ولتجربته الثّقافيّة، ولكن إذا كانت القراءة ترتبط بالحدس، فإنّ الحدس يخضع للعوامل الفرديّة، ومع ذلك فهناك معايير لصلاحية القراءة. والمعايير هنا ليس ما تعارف عليه من شروط وقيود بقدر ما هي معطيات مضمونيّة تتّصل بالعمل الأدبيّ ولا تتناقض مع أنظمة اللّغة، فتكوّن خصوصيّة النّص النّقديّ مؤسّسة أصلاً من خلفيّات النّص ومنبثقة عنها، وليست جنوحاً حرّاً، أو كما جاء على لسان مصطفى ناصف "إنّ الاحترام لمبدأ التّفسير المناسب هو احترام التّماسك المرن، ومقاومة جاذبيّة المجهول الغامض؛ فإذا رأيت باحثاً يقول/ إنّ للنصّ تفسيرات لا تنتهي فكن على حذر من صديق لعوب.."[2].

ومهما بدا هذا التّجاوز جريئاً، فإنّ التّحليل السّيميائيّ لا يمكن أن يتمّ بعيداً عن القراءة اللّسانياتيّة بمستوياتها وعناصرها الجزئيّة، وما تقدّمه من تفسيرات سطحيّة، فيأتي التّحليل السّيميائيّ ليستمدّ من تلك المعطيات قوّته التّأويليّة في فكّ الشّفرات وترجمتها. ويؤكّد أكثر الدّارسين على أنّ هذا التّحليل لا بدّ أن يمرّ عبر قنوات التّحليل اللّسانياتّي المعتمد على جملة من المصطلحات والنّظريّات والمستويات التّي لا يمكن أن يحدّدها أو يعدّدها النّاقد مسبقاً، لأنّها غير قادرة، وتظلّ خاضعة لطبيعة النصّ المقروء، بحيث يمكن اعتبار كلّ مستوى وحدة قرائيّة أو دالّة معنونة، ابتداء من الصّيتة (PHONEME) إلى الكلمة فالعبارة والجملة إلى النصّ.

وأغلب التّقنيّات السّيميائيّة المعتمدة في تحليل النّصوص من لدن الدّارسين تمرّ عبر مرحلتين:[3]

1- مرحلة التّحليل الأفقيّ/ وفيها يتمّ التّفكيك البنيويّ للوقوف على المعاني السّطحيّة الظّاهرة أو الحرفيّة المستخلصة من بنية النصّ، فينقل التّطبيق الإجرائيّ لهذه المرحلة عبر عدد من المستويات. مع تقسيم النّص إلى عدّة وحدات قرائيّة.

ويهدف تحليل هذه المستويات وتفكيك مكوّناتها إلى حصر الظّواهر الطّاغية والعلاقات التّرابطيّة وتشمل جملة من الجوانب أهمّها ((فاعلية الحدث بين (الأنا والآخر والهو)، الحقول الدّلاليّة الطّاغية، أقطاب الصّراع

[1] - محمّد عزّام، النّقد والدّلالة نحو تحليل سيميائيّ للأدب، وزارة الثّقافة، دمشق، دط، 1996، ص 143.

[2] - مصطفى ناصف، اللّغة والتّفكير والتّواصل، عالم المعرفة/ المجلس الوطنّي للثّقافة والفنون، الكويت، 1995، ص 193.

[3] - ليس بالضّرورة أن يتمّ التّحليل وفق هذا التّقسيم، إذ هناك تباين بين الدّارسين والنّقاد، سواء من حيث تحديد المستويات أو الوحدات القرائيّة أو العناصر المكوّنة للنّص، أم من حيث نوعيّة الظّواهر المتّصلة بهذه المستويات.

الدّرامي التّواصليّ، الإيقاع الدّاخليّ والخارجيّ الصّوتيّ والموسيقيّ، وظائف الخطاب، الثّبات والتّحوّل، التّناصّ، التّشاكل، الثّنائيّات الضّديّة، الزّمان والمكان، التّشكيل الخطّي لفضاء النّص... الخ))، وغيرها من الظّواهر التّي تبرز تفاعلات النصّ والعلاقات التّي تربط بين جزئيّاته، وتكشف عن دلالاته الظّاهريّة الموصلة إلى مقصديّة المرسلة والمقصديّات الخاصّة بالمتلقّي واستجاباته.

2- مرحلة التّحليل العموديّ/ وفيها يتمّ الوقوف على المعاني المصاحبة والدّلالات العميقة أو الخفيّة المسكوت عنها، وهي دلالات تأويليّة تختلف باختلاف القرّاء، إذ كلّ ناقد يقرأ بحسب مرجعيّته وخلفيّته الثّقافيّة ومكوّناته الفنيّة والتّناصيّة والتّقارئيّة.

وهنا يشرع النّاقد في تأويل معطيات القراءة الأولى للنّص، في قراءة ثانية محاولاً إيجاد تفسيرات للرمّوز والسّمات والإشارة لمعرفة صلتها بالنّواحي الاجتماعيّة والدّينيّة والسّياسيّة والثّقافيّة السّائدة في بنية النّصّ، ومن هذه الزّاوية يسعى النّاقد إلى إعادة بناء المعطيات وفكّ رموزها وشفراتها مبتدعاً نصّاً جديداً، مقترحاً نماذج وتمثيلات وأشكالاً اجتماعيّة، و "تتمثّل هذه المسلّمة في تعيين الاختلافات القائمة بين العناصر وتحديد الحيّز الذّي يستند إليه الاختلاف وما يتمّ انتقاؤه من قيمة العناصر الخلافية"[1].

وتمثّل هذه المسلّمة المسار الذّي يسلكه المتلقّي وهو يعايش أنظمة التّواصل ومحمولاتها المضمونيّة في صبر وتأمّل وشرود واع، وما يضفيه على المقروء من مرجعيّته وخلفيّته الثّقافيّة والحضاريّة، إلى أن يكشف له النصّ عن ذاته وحقيقته ودلالاته المستورة.

المحاضرة رقم 11: المربّع السّيميائي Le carré sémiotique

يصعب تمثّل حقيقة منشأ المربّع السّيميائي ما لم نرجع إلى المنطق الأرسطي الذّي أرسى الأصول المنطقيّة للنّموذج التّأسيسي، وبالتّالي لا يمكن فصل السّيميائيّات عن المنطق. فالسّيميائيّات الحديثة والمعاصرة باتّجاهاتها الأمريكيّة والأوروبيّة، "أقيم بناؤها، من بين ما أقيم عليه، على أوّليات منطقيّة رياضيّة، كشأن السّيميائيّات القديمة والوسيطة وامتداداتها"[2].

ومن هنا لا يمكن أن نتصوّر حقيقة المربّع السّيميائي بعيدا عن التّصوّر المنطقيّ الرّياضيّ والهندسيّ. وبالتّالي فإنّ المربّع السّيميائي بوصفه شكلا هندسيّا، لا يمكن فصله عن المنطق الرّياضيّ، بمعنى أنّ النّظريّة السّيميائيّة في الفكر القديم ذات طبيعة منطقيّة رياضيّة.

[1] - ينظر جان كلود جيرو، السّيميائيّة نظرة لتحليل الخطاب، تر: رشيد بن مالك، مجلّة الحداثة، جامعة وهران، الجزائر، عدد4/ 1996، ص 213.

[2] - محمّد مفتاح، أوّليّات منطقيّة رياضيّة في النّظريّة السّيميائيّة، مجلّة عالم الفكر، ع 5 المجلد 35، يناير – مارس، 2007، ص136.

يقسّم الفلاسفة المختصّون في فلسفة أرسطو منطقه إلى قسمين أساسيّين، منطق عامّ، ومنطق خاصّ. فالأوّل تشتمل عليه كلّ محتويات الآلة، والثّاني ما ينصرف إليه الذّهن عند الحديث عن المنطق. و"ما يهمّنا ... نظريّتان من منطق أرسطو، هما نظريّة " التّقابل" ونظريّة " منطق الجهات"[1].

وهما النّظريّتان اللّتان تشكّلان الأوّليّات الرّياضيّات المنطقيّة للمربّع السّيميائي، فمن خلال بنية التّقابلات استطاع أرسطو التّوصل إلى تحديد علاقات 'التّناقض' و' التّضاد' و' شبه التّضاد'، وهذا ما يؤكّده محمّد مفلاح...

في قوله:" تتألّف بنية التّقابلات عند أرسطو من حدّين متناقضين: موجود/ لا موجود، أو من ثلاثة حدود، اثنتان متضادّان بينهما واسطة: أبيض / رماديّ / أسود، أو من أربعة حدود تحكمها علاقة التّناقض، والتّضاد، وشبه التّضاد، والعموم والخصوص إثباتا أو نفيا. وقد انتشرت هذه البنية ذات الحدود الأربعة فجسّمت في مربّع منطقيّ، بعد أرسطو، دعي بمربّع 'أبوليوس ' (125م)[2] و'مارسيانوس كابيلا' (القرن الخامس بعد الميلاد)، و'بيوثيس' (470-524)" والمربّع المنطقيّ كما يأتي :

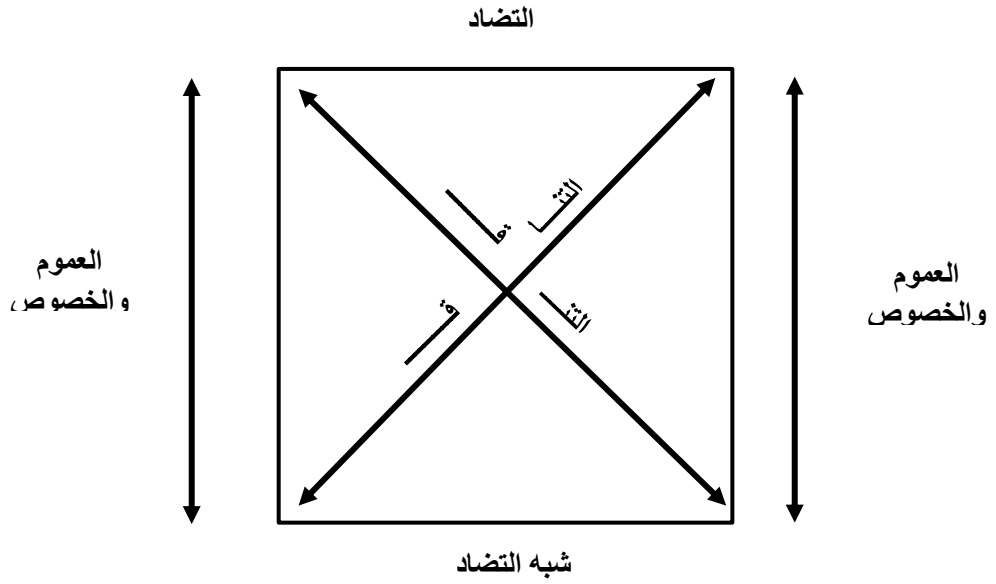

إنّ الفكرة التّي كانت وراء نشأة المربّع السّيميائي عند 'غريماس' فكرة بالغة الأهميّة، نابعة من كينونة الوجود القائمة على مبدأ الاختلاف، الذّي تمثّله 'غريماس' على أنّه تمثُّل لدلالة الوجود ومعناه، وقد "تمثَّل غريماس هذا المبدأ (الاختلاف)، داخل تصوّر جديد يقتضي فيه الاقتراب من المسألة الدّلاليّة استيعاب الاختلافات المنتجة للمعنى، دون الاكتراث لطبيعتها"[3].

[1] - محمّد مفتاح، أوّليّات منطقيّة رياضيّة في النّظريّة السّيميائيّة، ص136.

[2] - المرجع نفسه، ص136.

[3] - رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة، ص10.

يعدّ المربّع السّيميائيّ نموذجا عامّا لكيفيّة تولّد الدّلالات عبر سلسلة من العلاقات، ويتمّ الانتقال منه لاستيعاب عدد من الأشكال التّعبيريّة إلى الخطاب، عبر مجموعة من العمليّات التّي تتمّ على مستوى المسار التّوليديّ الذّي يقترحه غريماس، للانتقال من المحايثة إلى التّجليّ، لذا تعدّ السّيميائيّات السّرديّة لغريماس من أنجح الطّرق لمقاربة النّصوص الأدبيّة واستقصاء كيفيّة إنتاج الدّلالة، من خلال المصطلحات الإجرائيّة التّي يقترحها.

ويسمّيه غريماس النّموذج التّكويني وهو محاولة لعقلنة المعنى، إذ يعدّ نموذجا عامّا لتشكيل المعنى وكيفيّة توليد الدّلالات عبر سلسلة من العلاقات التّقابليّة المدركة في شكل ثنائيّات تلخّص القيم المتواجدة في أشكال تعبيريّة مختلفة.

يعرّف غريماس وكورتاس في قاموسها المربّع السّيميائي بوصفه "تمثيلا مرئيا لتمفصل منطقيّ لأيّ مقولة دلاليّة، وهو البنية الأوّليّة للدّلالة باعتبارها علاقة تجمع بين كلمتين على الأقل ضمن مقولة التّقابل"[1]، إذ تعرّفه جماعة أنتروفارن بأنّه "آليّة أو مجموعة من العلاقات القابلة لتمفصلات دلاليّة"[2] من ثمّ، يمكننا القول بأنّ المربّع السّيميائيّ يمثّل الجانب الشّكليّ للمعنى المؤسّس على علاقات منطقيّة.

وقد أشار غريماس أثناء تطرّقه لبنية المربّع السّيميائيّ إلى نظام العلاقات التّي ينبني عليها والتّي تخضع لها الوحدات الدّلاليّة لتوليد عالم دلاليّ. حيث تتّخذ علاقات الوحدات (السّيمات) بعضها ببعض، طابع الاختلاف والتّقابل فهي إمّا علاقات تضاد، تناقض أو علاقات استلزامية إذ يقتضي حضورها وجود تقابلات منطقيّة للسّيمات.

كما يستمد المربّع السّيميائيّ حركيّته من نظام العمليّات التّي تؤمّن المرور من حالة إلى أخرى، إذ تعتبر "كانتقال من قيمة إلى قيمة أخرى"[3]، في مقابل العلاقات التّي تظلّ ثابتة وسكونيّة والتّي تمثّلها حدود أو سيمات المربّع.

ويفهم المربّع السّيميائيّ باعتباره تجسيدا شكليّا لإجماليّ دلالات النّص، وحصيلة نهائية للتّحليل السّيميائيّ على أنّه تأليف تقابليّ لمجموعة من القيم المضمونة ولذلك ألفنا غريماس يعتبره تمثيلا مرئيّا لعملية التّمفصل المنطقيّ لمقولة دلاليّة ما[4].

وقد أحصت الدّراسات النّقديّة في هذا المجال اتّجاهات متعلّقة بالسّيميائيّة، وبإجراءاتها ومفاهيمها المتعلّقة بالمربّع السّيميائيّ وغيره من المفاهيم. فمنها اتجاه يرى أنّ السّيميائيّة دراسة لأنظمة الاتّصال عامّة، واتّجاه حاول أن يوفّق بين الرّمز اللّغويّ وغير اللّغويّ، باعتبارهما يتكاملان مع اللّسانيّات، واتّجاه آخر يرى أنّ السّيميائيّة هي دراسة

[1] - Saussure (D.F), cours de linguistique générale, p166.

[2] - Greimas (A.J),Courtés (J), Sémiotique, dictionnaire Raisonné de la théorie du language, p29,30.

[3]- Groupe D'entreverne, Analyse Sémiotique des Textes, Presse Université, Lyon, 4 iéme Édition. 1984, p137.

[4] - عبد القادر شرشار، مدخل إلى السّيميائيات السّردية (نماذج وتطبيقات)، ص43.

الأنظمة الدّالة من خلال الظواهر الاجتماعيّة والثّقافيّة الملابسة للنّص من منظور أنّها جزء من اللّسانيّات وهذا الاتّجاه قد مثّله: رولان بارت، جيرو، غريماس، جوزيف كورتيس، محمّد عزّام، رشيد بن مالك[1]..

إنّ غريماس يقترح نظريّة المربّع السّيميائي كنموذج لشبكة علاقات الدّالة الأساسيّة، كما يبيّن أنّه قابل للتّماثل مع بعض أوجه التّركيب السّرديّ. فالمربّع السّيميائيّ هو قبل كلّ شيء بنية انبثاق تسعى إلى تمثيل كيف يتمّ إنتاج الدّلالة عن طريق سلسلة من العمليّات الإبداعيّة لمواقع متباينة.

فهو قابل للتّماثل مع التركيب السّرديّ السّطحيّ الذّي هو بدوره، بنية انبثاق للدّلالة (...) المربّع السّيميائيّ هو نموذج تصنيفيّ يسمح بتمثيل نسق القيم، الذّي ينظّم العالم الدّلالي الأدنى والذّي هو ممسرد في المستوى المؤنسن تبعا لضرورات التّركيب السّرديّ.

لذلك استخدم غريماس المربّع، من أجل تقديم تداخل العلاقات ما بين الحالات السّرديّة[2]، فهو كيفيّة تحليليّة تظهر من خلال نّصّ سّرديّ، فهو تأليف تقابليّ لمجموعة من القيم المضمونيّة، سابقة للنّصّ السّرديّ ينطلق من مستويات ومقولات ومن المقولات المركزيّة التّي انبنى عليها تصوّر غريماس في صياغة النّموذج التّكوينيّ تميزه بين الدّلالة السّطحيّة (المكوّن الخطابيّ) والدّلالة العميقة (النّموذج التّكوينيّ، المكوّن السّرديّ) للنّصوص، وأنّ المعنى لا يتحقّق إلّا بالجمع بينهما.

ويرى 'سعيد بنكراد' أنّ المربّع السّيميائي لا يعدو أن يكون نموذجا تجريديّا بإمكانه أن يستعيد السّلوك الإنساني، "على شكل مواقع تربط فيما بينها سلسلة من العلاقات، ويطلق على هذا النّموذج 'المربّع السّيميائي أو النّموذج التّأسيسي"[3].

فالأفكار والقيم المجرّدة لا يمكن إدراكها بوصفها مضامين إلّا بتحريكها، فـ "المضامين الفكريّة موجودة خارج أيّ سياق، فماذا يعني الخير والشّر أو الصّدق، خارج وضعيّات إنسانيّة ملموسة تحدّد للخير والشّر والصّدق مضامينها،(بمعنى) إنّ هذه المضامين في حاجة إلى تحريك"[4].

إنّ الوظيفة الأساسيّة للمربّع السّيميائي أو النّموذج التّأسيسي .كما يصطلح عليه سعيد بنكراد، هو استخلاص الدّلالة من علاقات الاختلافات والتّقابل، فـ " لا يمكن إدراك "الحياة" إلّا بمقابلته بـ "الموت"، ولا "العلم" إلّا بمقابلته

[1] - ينظر عبد القادر شرشار، مدخل إلى السّيميائيات السّردية (نماذج وتطبيقات)، ص85، 86.

[2] - ينظر دانيال باط، المربّع السّيميائي والتّركيب السّردي، تر: عبد الحميد بورايو، جامعة فندربيلت، الولايات المتّحدة/جامعة الجزائر، دط، دت، ص145.

[3] - سعيد بنكراد، السّيمائيّة السّرديّة، مدخل نظري، ص48.

[4] - المرجع نفسه، ص49

بـ"الجهل"، ولا "الذّكورة" إلّا بالنّسبة إلى "الأنوثة"، أي أنّ هذه الثّنائيّات تعدّ **"البنية الأساسيّة للدّلالة Structure élémentaire de la signification** المنضوية تحت ما يسمّى **الدّلالة الأصوليّة sémantique fondamentale"**[1]

الواقع إنّ فكرة 'غريماس' لإنشاء النّموذج التّأسيسي ترتكز على فرضيّة 'يلمسليف' التّي ترى أنّ "السّيم بوصفه وحدة دلاليّة قاعديّة لا يحقّق وجوده إلّا في علاقته لعنصر آخر، ولئن كانت وظيفته خلافيّة بالدّرجة الأولى، فإنّه يستحيل أن يدرك خارج إطار البنية، وتمثّل هذه الوظيفة مثلا بخصوص 'الليكسمين' "ولد" و "بنت" في الذّكورة / (س1) والأنوثة (س2)، ومحور الجنس(س)، وتنضوي داخل نظام تحكمه علاقات التّقابل (بين س1،س2) والتّدرج." (س1 س، س2 س)[2].

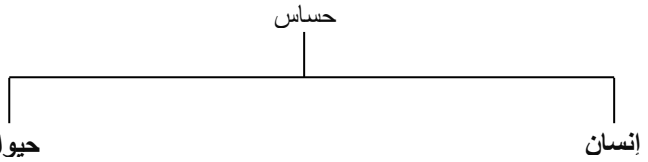

إنّ التّأكيد بوجود نظام تحكمه علاقات التّقابل معناه وجود الاشتراك في الجنس، وهذا أمر مهمّ جدا. و"الإقرار بوجود مقالبة بين / إنسان / و/ حيوان/ فلأنّهما يملكان محورا دلاليّا مشتركا(حسّاس). إنّ الإقرار بوجود المقابلة والتّضاد فكرة أصيلة، أقرّ بها الفيلسوف 'ابن رشد' في (تلخيص كتاب المقولات، في الفصل العاشر)، قال في الفقرة 102: "وكلّ متضادّين فمن شأنهما أن يكونا في موضوع واحد، مثل الصّحة والمرض الموجودين في جسم الحيّ، والبياض والسّواد الموجودين في الجسم على الإطلاق، والعدل والجور الموجودين في نفس الإنسان"[3].

ويؤكّد ابن رشد على هذه المقولة في الفقرة (103) في قوله: "وكلّ متضادّين، فإمّا أن يكونا في جنس واحد بعينه . مثل الأبيض والأسود اللّذين جنسهما القريب اللّون .

وإمّا أن يكون في جنسين متضادّين . مثل العدل والجور، فإنّ جنس العدل الفضيلة وجنس الجور الرّذيلة، وهما متضادّان . وإمّا أن يكونا هما بأنفسهما جنسين متضادين ... (و) متى كانا في مقولة واحدة كانت المقولة جنسا لهما"[4].

يلعب المحور الدّلالي دورا مركزيّا في إقامة الشّراكة بين العنصرين المتضادّين أو المتقابلين، وهذا ما ينتج **"المحور الدّلالي axe sémantique "**، " وكلّ متضادّين فمن شأنهما أن يكونا في موضوع واحد مثل الصّحة والمرض الموجودين في جسم الحي..."[5]

[1] - قادة عقّاق، السّيميائيّات السّرديّة، ص205.

[2] - سعيد بنكراد، السّيمائيّة السّرديّة، مدخل نظري، ص10.

[3] - ابن رشد، تلخيص كتاب المقولات، ج2، تح: محمود قاسم، الهيئة المصريّة العامّة، 1980، ص144.

[4] - المرجع نفسه، ص145.

[5] - المرجع نفسه، ص144.

ويبقى" المحور الدّلالي هو العامل المشترك بين السّيمين المشكّلين للبنية الأساسيّة للدّلالة... وعليه فإذا كان المحور الدّلالي الذّي يجمع بين "حياة " و"موت" هو (الوجود)، بينهما ينجم تقابل ثنائيّة "العلم" و"الجهل" محور(المعرفة)[1].

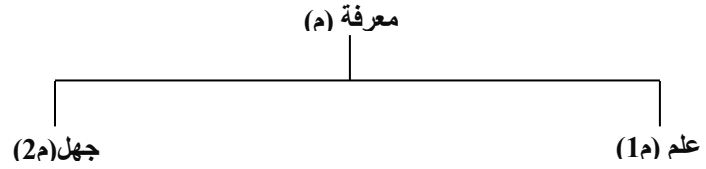

من هنا يتّضح أنّ المربّع السّيميائي يقوم على مسلّمة مفادها أنّ الدّلالة المتجلة لها بالمقابل معنى نقيض مطلق، وأنّ السّيمين المتضادّين يحيل كلّ واحد منهما على نقيضه، وهذا ما يتأكّد في الفقرة التّالية: "إذا سلّمنا بأنّ الدّلالة د هي في الواقع تجليّات لعالم دالّ يمكن بالمقابل أن نتصوّر دَ متّسما بغياب مطلق للمعنى ونقيضا لـ د. وإذا افترضنا أنّ المحور الدّلالي د يتمفصل على مستوى شكل المضمون إلى سيمين "متضادّين contraires "

د1 ..... د2

فإنّ كلّ واحد من هذين السّيمين يحيل على نقيضه

دَ1 ..... دَ2

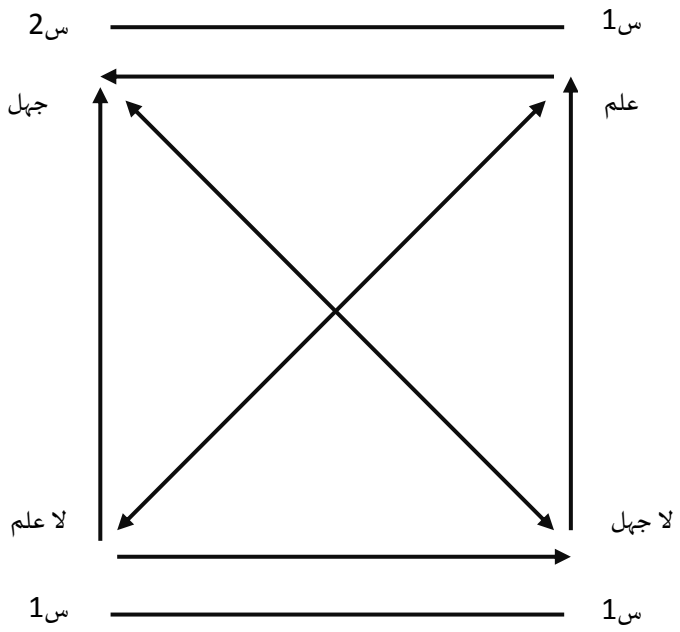

[1] - قادة عقّاق، السّيميائيّات السّرديّة، ص205.

إنّ هذه الفرضيّة تعكس تجليّات العالم للكون القائمة على كينونة التّقابل والتّناقض، وأنّ الدّلالة[1] لها ما يقابلها من نقيضها، وابتداء من نسبة التّقابل نؤسّس نموذجا للمربّع السّيميائي الذّي يمكن أن يجسّد (...) الدّلالة الاجتماعيّة للنّص من النّاحية الشّكليّة من خلال التّأليف التّقابلي للقيم المضمونيّة. ينظّم المربّع السّيميائي مجموعة من العلاقات نشير إليها مختصرا على النّحو التّالي:

العلاقات التّاريخيّة الشّموليّة: وتنطلق من السّيم إلى المحور الدّلالي، ومن العنصر إلى المقولة التّي تحتويه، تقوم هذه العلاقة بين س1،س2،س وسَ، سَ، سَ2.

علاقات التّناقض: توجد بيت س1 و سَ 1 نفي لـ س1 ويكون في هذا المساق الاختيار ضروريّا بين عنصر من هذين العنصرين، ليس هناك عنصر ثالث ممكنا: إنّه قانون التّخيير بين أمرين. تقوم العلاقة نفسها بين س2 و سَ2.

علاقة التّضاد: توجد هذه العلاقة بين س1 وس 2 داخل الدّلالة المحقّقة.

س2 متنافر مع س 1، غير أنّه لا يمكن أن يتصوّر س2 إلّا بوصفه ضدّا لـ س 1، والعكس صحيح. يحتوي هذان العنصران على علاقة تضمّن مزدوجة .

علاقة التّضاد التّحتي: توجد بين سَ1 و سَ2، وهي مماثلة لعلاقة التّضاد.

علاقة التّضمين: توجد بين سَ1 وسَ2 وبين س 2 وس1. يطلق على هذه العلاقة مصطلح التّضمين السّردي، وفي هذه العلاقة، إذا نفينا عنصرا(سَ1 أو سَ2) يثبت العنصر الآخر.

. يتشكّل المحوران س وسَ من العلاقة بين الأضداد. س يحتوي على س 1 وس2: إنّه المحور المركّب، إذ بواسطته يمكن أن نسقط إمّا س1 وإمّا س2[2].

سَ المحتوي على سَ1 وس2 هو المحور المحايد، انطلاقا من س1 وس2، يمكن أن نسقط إمّا سَ وإمّا س2.

. تحمل علاقة المتناقضات اسم التّرسيمة:

أ . ترسيمة للعلاقات الموجودة بين س1 وسَ1

ب . ترسيمة للعلاقات الموجودة بين س 2 وسَ 2[3].

وعليه "ينبغي أن نفهم المربّع السّيميائي كميكاميزم يعني كمجموعة منظّمة من العلاقات المبرزة لتمفصلات الدّلالة بواسطة هذه الأداة، نستطيع أن نقيم ونرتّب كلّ العناصر، بحيث تحكم العلاقات تجليّات المعنى في النّص،

[1] - رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة، ص10.

[2] - ينظر رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص، ص24.

[3] - المرجع نفسه، ص25.

يمكّننا استعمال المربّع السّيميائي من تحديد المقابلات والعلاقات الملائمة لهذا النّص، ويعيننا على إدراك نشأة وسير هذه المقابلات والعلاقات بعبارة أخرى، ينبغي أن يبرز استعمال المربّع السّيميائي شكل ومعنى النّص"[1].

المحاضرة رقم 12: التّشاكل السّيميائي 'Isotopie'

ممّا هو مؤكّد أنّ السّيميائيّة استعارت كثيرا من المصطلحات والمفاهيم من حقول معرفيّة عديدة، فلسفيّة، لسانيّة، أنثروبولوجيّة، فزيائيّة، وغيرها من العلوم الكثيرة. ومصطلح (التّشاكل isotopie) واحد من عشرات المصطلحات التّي استعارها 'غريماس' للدّلالة على "الوحدة، والموحّد، والتّوازي، والتّجانس، والتّناظر، والتّشابه، والتّماثل"[2]، وغيرها من المصطلحات التّي تدلّ على الوحدة والتّساوي.

للتّوضيح فإنّ مصطلح "التّشاكل isotopie " مشتقّ من الأصل اليوناني" iso " الذّي يعني التّشابه والتّماثل، ومن كلمة "topos " بمعنى المكان. ومن ثمَّ فإنّ مصطلح " isotopie " يدلّ على الموقع والمكان والمجال نفسه"[3]. واستثمر 'غريماس' المصطلح من حقل الفيزياء ليوظّفه في "سيميوطيقا السّرد بعدّه من أهمّ المفاهيم المركزيّة لتحليل الخطاب، وبناء المعنى، وتحقيق الأنساق والانسجام، واستكناه الدّلالة تجريدا وتقعيدا"[4].

يتمظهر مفهوم "التّشاكل" بوصفه مفهوما للسّيميائيّة السّرديّة على عدّة مستويات، فقد يتحقّق على مستوى الجملة ابتداء، وعلى مستوى النّص والخطاب فضلا عن تمظهره على مستوى المضمون والدّلالة. ليشكّل في نهاية المطاف أداة إجرائيّة لتحليل النّصوص وإنتاج الدّلالة من المنظور السّيميائي.

يمكننا أن نشرع في بسط مفهوم التّشاكل من المنظور الغريماسي[5] انطلاقا من تعريفين أساسيّين:

1- « إنّه لا يمكننا اعتبار أي مرسلة أو أيّ مقطع خطابيّ متشاكلا، ما لم يفترضا الاشتراك في سيمّ سياقيّ وحيد أو عدّة سيمات سياقيّة ».

2- إنّ التّشاكل: « هو دوام قاعدة كلاسيماتيّة متراتبة تسمح من خلال استبدالات المقولات الكلاسيماتيّة بتنوّع وحدات التّمظهر، تلك التّنوّعات التّي تدعّم التّشاكل دون أن تقوّضه».

إذ يمكننا أن ندرك التّشاكل، حسب **ف. راستي**[6]، انطلاقا من هذين التّعريفين تارة بوصفه ظاهرة تركيبيّة تقوم على التّكراريّة التّجاوريّة للكلاسيم نفسه ، وأخرى بوصفه ظاهرة استبداليّة لا تشترط تكرار الكلاسيم نفسه بقدر ما تشترط انتماءه إلى مقولة كلاسيماتيّة مشتركة. إذ لا يغني ههنا تنوّع الصّور النّوويّة عن إضعاف التّشاكل في شيء،

[1] - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص، ص25.

[2] - جميل حمداوي، السّيميولوجيا بين النّظريّة والتّطبيق، دار الرّيف للطّبع والنّشر الإلكتروني ، النّاظور، المغرب، ،ط2، 2020،ص230.

[3] - المرجع نفسه، ص230.

[4] - المرجع نفسه، ص231.

[5] - A. J. Greimas, Sémantique structurale, p53 et 96.

[6] - F. Rastier, Sémantique interprétative, Paris , éd. P.U.F. , 1987, pp. 88-89.

فالتّنوّع نفسه شرط لإمكانيّة إقامة التّشاكل، حيث يؤدّي تركيب صورتين نوويّتين دورا سياقيّا دنيويّا يسمح بالتّأسيس لإقامة التّشاكل.

ولا يعدّ التّشاكل بوصفه أثرا ناتجا عن تكراريّة الكلاسيمات فحسب، بل إنّه لينتج كذلك عن تكراريّة المقولات السّيميّة نفسها سواء أكانت هذه المقولات تيميّة أم تصويريّة، وهو ما يجعلنا ضمن إطار الدّلاليّات الخطابيّة إزاء امتداد تشاكليّ نحو وحدات دلاليّة كبرى يتقاسمها المكوّنين التّصويريّ والتّيميّ، أي أمام تشاكلات تصويريّة تضمرها التّشكيلات الخطابيّة من جهة، وتشاكلات تيميّة تقع ضمن مستوى العمق الخطابيّ من جهة أخرى[1].

إذ لا يتعلّق الأمر ههنا بقطيعة تفصل مجال التّواشج بين الوحدات الدّلاليّة- الدّنيا والكبرى، طالما أنّ محور التّناسج يقوم على التقاط ظاهرة دلاليّة كبرى (انسجام الخطاب) عبر مسبّبات دلاليّة بسيطة (التّكراريّة السّيميّة)[2]. فآثار المعنى التّي تؤلّف على صعيد الخطاب مسارات تصويريّة تتألّف بدورها من وحدات دلاليّة بسيطة، حيث تعرف السّيمات النّوويّة ضمنها بالمسار التّصويريّ، وتضمن عبر تكراريّتها تشاكلها السّيميائيّ، في حين تسعى الكلاسيمات إلى موقعة هذه المسارات ضمن الخطاب لتضمن عبر تكراريّتها تشاكلها الدّلالي[3]. فيغدو الخطاب عبر هذا التّنوع المحايث والمتمظهر للتّشاكلات أشبه بكرة الخيط.

غير أنّ الباحث في تراثنا العربي لا يعدم أثرا لهذا المصطلح الذّي يقارب نفس المفهوم الذّي جاء به "غريماس". وها هو 'الخطيب القزويني' يستخدم في كتابه (شروح التّلخيص) مصطلح "المشاكلة" للدّلالة على "التّشاكل"، وهي "ذكر الشّيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا، كما قيل لك 'أسقيتك ماء فقلت بل اسقيني طعاما'، فقد ذكرت الإطعام بلفظ السّقي لوقوعه في صحبة السّقي، ثم أنّ المتبادر من المنصف أنّ المشاكلة مجاز لغويّ لأنّها كلمة مستعملة في غير ما وضعت له"[4].

يحقّق التّشاكل تأويل النّص ويساعد على تَمثُّله، ومن هنا يتّضح هدفه ،فهو "كيفيّة تشكّل الدّلالة ضمن مناخ استفهاميّ مستقصية أثرها عبر المفردة والجملة والنّص الأدبي ككلّ"[5]. وقد أخذ التّشاكل مناحي كبيرة سواء على مستوى المفهوم، أو على مستوى الإجراء. فالمعنى ليس معطى جاهزا يمكن الحصول عليه، إنّما تساهم في صياغته مجموعة من المقوّمات أطلق عليها "التّحليل المقوّماتي " أي التّحليل الذّي تتعاون فيه مجموعة من المقوّمات التّي تساهم في تحقيق انسجام النّص.

وقد كشف الباحثون في حقل السّيميائيّات عن مجموعة من النّظريّات والمفاهيم والتّعاريف المتعلّقة بالتّشاكل السّيميائي، وتبيّن الدّراسات المتخصّصة في التّشاكل السّيميائي أنّ 'غريماس' هو "أول من أدرج مفهوم 'التّشاكل ضمن

[1] - A. J. Greimas, Du sens II, p78.
[2] - F. Rastier, Sémantique interprétative, p103.
[3] - Groupe d'Entrevernes, Analyse sémiotique des textes, Introduction théorie- pratique, , p126.
[4] - الخطيب القزويني، ابن يعقوب المغربي، بهاء الدّين السّبكي، شروح التّلخيص، ج 4، دار الهادي، بيروت، لبنان،ط4، دت، ص1110.
[5] - وداد بن عافية، دلائليّة التّشاكل في ' تنويعات استوائية' لسعدي يوسف، دراسة سيميوتأويليّة، الملتقى الدّولي السّادس، السّيمياء والنّص الأدبي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص10.

التّحليل السيميوطيقي للسّرد، بعد أخذه من حقل الفيزياء والكيمياء في سنوات الستّين من القرن العشرين (1966)، في أثناء تأليفه لكتابه التّنظيري القيم (علم **الدّلالة البنيوي la sémantique structurale**)... بيد أن 'غريماس' قد حصر هذا المفهوم على المحتوى الدّلالي السّردي فقط دون أن يلتفت إلى التّشاكل على مستوى الشّكل أو الصّياغة التّعبيريّة"[1].

يرجع الفضل لـ'فرانسوا راستي François Rastier ' الذّي انتبه إلى ضرورة الحديث عن التّشاكل التّعبيري والدّلالي معا، إذ "نجده يعمّم هذا المفهوم ـ التّشاكل ـ ليشمل التّعبير والمضمون معا، ليصبح وفقا لذلك متنوّعا تنوّع مكوّنات الخطاب، من تشاكل صوتيّ، ومعنويّ، ومنطقيّ، ونبريّ، وإيقاعيّ، وهلمّ جرا... مقترحا تعديل تعريف 'غريماس' المعروف"[2].

وممّا تضمّنه تعريف 'فرانسوا راستي' للتّشاكل، قوله" **"نواة تركيبيّة (interactivité)** لوحدات ألسنيّة(ظاهرة أو غير ظاهرة) منتمية إمّا إلى التّعبير، وإمّا إلى المضمون، أو هو بوجه عامّ تكرار لوحدات ألسنيّة[3]. وتناول محمّد مفتاح مفهوم التّشاكل عند 'غريماس' و فرانسوا راستي' حيث ناقشهما في المفهوم والتّعريف، وخلص بعد ذلك إلى المفهوم التّالي :"التّشاكل تنمية لنواة معنويّة سلبيّة أو إيجابيّة، بإركام قسري أو اختياري لعناصر صوتيّة ومعجميّة، وتركيبيّة، ومعنويّة، وتداوليّة، ضمانا لانسجام الرّسالة"[4].

أمّا الباحث 'ع، فيدوح' فكان له تصوّرا آخر في تحديد مفهوم التّشاكل، الذّي رآه شكلا من أشكال التّراكم في الشّكل والمضمون، يتفرّع إلى أنواع من التّشاكلات زمنيّة ومكانيّة ومعرفيّة، وجماليّة أو كما قال في المفهوم الذّي اقترحه "التّشاكل يتولّد عن تراكم تعبيريّ ومضمونيّ تحتّمه طبيعة اللّغة، ذلك أنّ هناك تشاكلات زمنيّة ومكانيّة، وابستيمولوجية، واستيطيقية، تعمل على تحقيق أبعاد جماليّة وانفعاليّة تؤثّر فيه ضمن مناخات حرّة تساعد المتقبّل في أن يتفاعل مع المعنى وفق رؤياويّة التّأويليّة"[5].

وفي (قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص) يُبقي 'رشيد بن مالك' على مصطلح **"الإيزوتوبيا" isotopie**'معرّبا دون ترجمته، وتأصيله، ويعرّفه كالتّالي "تضمّن الإيزتوبيا التحام الرّسالة أو الخطاب، وهي بمثابة المستوى المشترك الذّي يرد ممكنا اتّساق المضامين، ينبغي أن يفهم من المستوى المشترك ثبات بعض الأدلّة على مستوى الجملة، يمكن أن يتحدّد ثبات دلالة واحدة أكثر من مرّة على امتداد السّلسلة الجمليّة ليعطي إيزوتوبيا

[1] - جميل حمداوي، السّيميولوجيا بين النّظرية والتّطبيق، ص231.

[2] - قادة عقّاق، السّيميائيّات السّرديّة، ص222.

[3] - François Rastier, systématique des isotopies, in sémiotique poétique ; Larousse, Paris, 1972, P80.

[4] - محمّد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري، (استراتيجيّة التّناص)، المركز الثّقافي العربي، المغرب، ط3، 1992، ص25.

[5] - عبد القادر فيدوح، دلائليّة النّص الأدبي، دراسة سيميائيّة للشّعر الجزائري، ص97-98.

تؤدّي إلى التحام مجموعة من السّيميائيّات التّي تشكّل الجملة. والإيزوتوبيا نوعان الإيزوتوبيا الدّلاليّة، والإيزوتوبيا السّيميولوجيّة"[1].

الواقع أنّه يصعب الحديث عن "التّشاكل" باعتباره مفهوما للسّيميائيّات السّرديّة، ما لم يتم الحديث عن **"التّباين allotopie"** بعدّه مفهوما إجرائيّا يقوم بنفس وظيفة التّشاكل بطريقة معاكسة، لذلك "لا يمكن بمقتضى ذلك فصل أحدهما عن الآخر لكون وجود أحدهما مرهون بوجود الآخر. وأنّ التّشاكل هو الذّي يحصل به الفهم الموحّد للنّص المقروء، إنّه هو الضّامن لانسجام أجزائه، وارتباط أقواله، ممّا يبعده عن الإبهام الطيّ يمكن أن يربط ببعض النّصوص التّي تحتمل قراءات متعدّدة"[2].

وقد ورد في علم البديع مصطلحات كثيرة تتقاطع مع مفهوم "التّباين"، ويمكن أن نستدلّ على ذلك بمصطلحات (الطّباق، المقابلة، التّضاد) وقد خصّ ابن رشيق القيرواني في العمدة، بابين الأوّل "للمطابقة"، والثّاني "للمقابلة". "فالمطابقة في الكلام أن يتألّف في معناه ما يضاد في فحواه، المطابقة عند جميع النّاس جمعك بين الضدّين في الكلام أو بيت الشّعر"[3]. و"المقابلة بين التّقسيم والطّباق، وهي تتصرّف في أنواع كثيرة، أصلها ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطى أوّل الكلام ما يليق به أوّلا، وآخره ما يليق به آخره، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه، وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإن جاوز الطّباق ضدّين كان مقابلة، مثال ما أنشده قدامة لبعض الشّعر، وهو:

فَيَا عَجَبَا كَيْفَ اتَفَقْنَا فَنَاصِح وَفِي ومطْوِيّ عَلَى الغلِّ غَادَرَ[4]

وإذا كنّا قد أكّدنا على أنّ "التّشاكل" مفهوم إجرائي للسّيميائيّة السّرديّة، فإنّ "التّباين "، هو الآخر مفهوم سيميائيّ يمكّننا من تمثّل العلاقة الدّلاليّة بعيدة عن كلّ إبهام أو تداخل، فالتّباين يؤسّس لمبدأ الاختلاف، الذّي هو أساس الدّلالة والمعنى، فهو "أحد المكوّنات الأساسيّة لكلّ ظاهرة إنسانيّة، ومنها اللّغويّة، وقد يكون مختفيا لا يرى إلّا وراء حجاب، وقد يكون واضحا كلّ الوضوح، حينما يكون هناك صراع وتوتّر بين طرفين أو أطراف متعدّدة، ولكن لا يخلو منه أيّ وجود إنسانيّ"[5]. ويتجلّى الصّراع في التّركيب والأساليب ـ كما بيّن محمّد مفتاح ـ في النّماذج التّالية:

ـ الخبر / والإنشاء

ـ الجملة الاسميّة / الجملة الفعليّة

ـ الخطاب / الغيبة

ـ الإثبات / النّفي

---

[1] - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي للنّصوص، ص 93-94.

[2] - قادة عقّاق، السّيميائيّات السّرديّة، ص222.

[3] - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار الجيل، دط، دت، ص209.

[4] - المرجع نفسه، ص215.

[5] - محمّد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري، (استراتيجيّة التّناص)، ص 71.

ـ النّهي / الأمر

الشّيء / مقابله"[1] .

يعدّ المنهج السّيميائي صاحب أهميّة بالغة في مقاربة النّص العربي الحديث لما له من قدرة على استكشاف نواح جماليّة في النّص، وفتح المجال للتّأويلات داخل النّص وخارجه، من خلال تناول المنظومة السّرديّة، ومختلف البنيات السّردية: الشّخصيات، الحبكة السّرديّة والأبعاد المكانيّة والزّمانية، وارتباطها بالعلامة من حيث هي وحدة سيميائيّة ساهمت في تنمية أحداث النّص، وفي ربط المخاطب (المتلقّي) برؤية الكاتب.

توغّلت السّيمياء في الخطاب السّردي معتمدة في ذلك على ما توصّل إليها سابقيها، خاصّة أنّه يتميّز بالغنى والتّنوع وتوليد المعاني اللاّمتناهي أكثر من نظيره (الخطاب الشّعري). وهذا ما جعل نظريّة السّيميائيّة السّردية تقوم على استنباط المعنى، من خلال الوقوف على عمق النّص، وهذا ما يؤكّد أنّ الدّلالة لا توجد على مستوى الخطاب وإنّما تتعدّاه إلى ما وراء الخطاب، أي إلى الوحدات المعنويّة الصّغرى.

لذلك فالقراءة الكفيلة بالكشف عن دلالات الخطاب هي القراءة السّيميائيّة المبنية على إقامة مجموعة من الثّنائيات الضّديّة والتّقاطبات المكانيّة والمفارقات الزّمنيّة... فالمتلقّي يقوم بفرز وتحليل النّص الإبداعي مستعينا بالتّأويل. ودلالة النّص عادة ما تكون اتّصالا بين متخاطبين (مرسل ومرسل إليه)، وإذا كان السّرد دلالة واتّصالا -كما سبق الذّكر- فإنّه يعدّ جزءا من السّيميائيّات، وبالتّحديد هو موضوع "السّيميائيّات السّردية".

وبعدّ الاهتمام الكبير الذّي أولته السّيميائيّة بخطاب العتبات، أولت اهتماما أكبر بما يحيط بالنّص، وصرّحت بأنّه من المفاتيح الأساسيّة في فهم النّص والوقوف على تأويلاته. لذلك أولى هذا المنهج عناية باسم المؤلّف، العنوان، التّصدير، الهوامش والحواشي... كما اهتمّ بالغلاف، الصّورة...

وهنا يقودنا البحث إلى مساءلة الوظيفة التّي تؤدّيها العتبات النّصية في مكاشفة النّصوص، وكيف تساعد القارئ في فهم مكوّنات النّص؟ وهل حقّا هي قادرة على ذلك؟ من أجل ذلك تقوم المقاربة السّيميائيّة بتعقّب دلالة العلامات في فضاء النّصوص وخارجها. هذه الأخيرة التّي تجمعها العتبات فهي "كلّ ما يجعل من النّص كتابا يسمح بعرضه للقرّاء، وبصفة عامّة للجمهور، فالأمر يتعلّق إذا بعتبة تدعو المتلقّي إلى اقتناء الكتاب"[2]. ونجد على واجهة الكتاب "العنوان، صفحة الغلاف، صورة الغلاف، الأشكال الهندسيّة، الألوان، دار النّشر... التّي تفيد القارئ بمجموعة من المعارف والإشارات التّي سيبني عليها رغبته في قراءة ذلك الكتاب"[3].

[1] - محمّد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري، (استراتيجيّة التّناص)، ص 71.

[2] - محمّد القاضي، معجم السّرديات، دار محمّد علي للنّشر، تونس،ط1، 2010، ص462.

[3] Gèrard Genette, Seuils,coll, Poètique edition de seuils, 1987, p07 .

ومن هنا نستطيع القول إنّ العتبات مواقع نصيّة هامّة تساهم في فهم القارئ وتحكّمه في معنى النّص، فهي تتنوّع وتتعدّد "محاولة التّقرب من القارئ الافتراضيّ وتيسير فهم النّص من جهة وتحميله رسالة من جهة أخرى"[1]. حيث تتشبّع بدلالات رمزيّة وإيحائيّة، تدفع القارئ إلى الفهم والتّأويل من خلال ما تؤدّيه من وظائف جماليّة وتداوليّة "تكمن في استقطاب القارئ وإغوائه"[2]، وهذا دليل واضح على أهميّة العتبات النّصية وأهميّتها في النّص الأدبي.

حيث ترتبط الأشياء بالسّرد ارتباطا وثيقا بمثل ارتباطها بالعتبات النّصية، أي كلّ ما يخصّ النّص الأدبيّ من إطارات كالعنوان وغلاف الرّواية ولوحة الغلاف... فلا يمكن النّظر إلى عتبات النّص على أنّها مجرّد خطاب، حيث إنّ كلّ عتبة تمثّل هويّة للنّص، تحمل إشارات أسلوبيّة ودلاليّة تسمح للقارئ بالخروج إلى داخل النّص، وهذا ما تعرضه سيميائيّة عناصر السّرد كونها جزءا لا يتجزّأ من السّرد نفسه.

تتواجد العتبات "على حدود النّص، داخله وخارجه في آن، تتّصل به اتّصالا يجعلها تتداخل معه إلى حدّ تبلغ فيه درجة من تعيين استقلاليّته، وتنفصل عنه انفصالا يسمح للدّاخل النّصيّ، كبنية وبناء،أن يشتغل وينتج دلاليّته"[3]. وعلى ذلك فالعتبات أو النّص الموازي خطاب أساسيّ ومساعد -كما ذكر سابقا- سخّر لخدمة النّص والاطّلاع على مغالقه. والعتبات تشمل صفحة الغلاف من عنوان ولوحة، التّصدير، الاستهلال...

يعدّ العنوان عتبة رئيسة تفرض تفحّصها واستنطاقها قبل الولوج إلى عالم النّص، كما تعدّ العنونة L intitulation في الكتابة صيرورة ثقافيّة، حيث تجمع خصائص النّصوص... والعنوان يمكن أن يفضي إلى تجنيس النّص وإلى تحديد شكله ودلالته. فهو "مرتبط ارتباطا عضويّا بالنّص الذّي يعنونه، فيكمّله ولا يختلف معه ويعكسه بأمانة ودقّة، فكأنّما هو نصّ صغير يتعامل مع نصّ كبير"[4].

وتكون العناوين مشحونة بدلالات ذات طاقة انفعاليّة عالية "والصّلة بين العنوان والنّص صلة رحميّة عضويّة، ودراسة العنوان تمثل في أهمّ جوانبها دراسة النّص كلّ النّص، فالعنوان هو النّص المكثّف، أو هو نصّ قصير يختزل نصّا طويلا"[5]، لذلك نجد إنّ "العنوان يؤسّس لطقوس الكتابة التّي لا تقلّ أهميّة عن الكتابة نفسها"[6].

كما أنّ العنوان من حيث النّظام الحالي للطّباعة والنّشر يتموضع في أربعة أماكن هي: مقدّمة الغلاف، ظهر الغلاف، صفحة العنوان، صفحة العنوان المختصر، فهي الأماكن الأربعة تجعل من العنوان دالّا أكبر يفرض على

---

[1]. Gèrard Genette, Seuils, p07 .

[2] - عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النّص إلى المناص، منشورات الاختلاف والدّار العربيّة للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2008، ص27.

[3] - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[4] - عبد المجيد نوسي، التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي، شركة النّشر والتّوزيع، الدّار البيضاء، دط، 2002، ص109.

[5] - عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السّردي، معالجة تفكيكية سيميائيّة مركّبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ط01، 1995، ص277.

[6] - خالد حسين حسين، العنونة الروائيّة، من مجال التّسمية إلى النّصية، جريدة الأسبوع الأدبي، إتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، ع1067، تاريخ 11|08|2007.

النّاشر حرصا أكبر. ومن العناوين ما "تحيل مباشرة على مضمون النّص"[1] وتسمّى عناوين تيماتيّة Thématique، ومن العناوين ما تدلّ على "شكل النّص أو جنسه الأدبي"[2] وتسمّى عناوين خطابيّة Rhèmatique.

عدّ العلماء والنّقاد العنوان علامة سيميائيّة حيث صار "مجموعة العلامات اللّسانية، من كلمات وجمل، وحتّى نصوص، قد تظهر على رأس النّص لتدلّ عليه وتعينه، تشير لمحتواه الكلّي، ولتجذب جمهوره المستهدف"[3]. فالعنوان رسالة من الكاتب إلى المتلقّي، يعبّر فيها عن رؤيته الإيديولوجيّة وموقفه في الحياة، وقضاياها، ومن دون شكّ تحمل هذه الرّؤية الهدف الذّي من أجله كتب الكاتب نصّه.

يسعى "الباحث إلى تتبّع دلالاته ومحاولة فكّ شفرته الرّامزة"[4]، فالعنوان في نهاية المطاف هو علامة لغويّة مشفّرة تحتاج إلى متلقّ جيّد ليفكّ هذه الرّموز، حيث يفاجئ المتلقّي في أفق توقّعه، فهو يفهم من العنوان شيئا ما، وقد لا يفهم أيّ شيء، ثم يصطدم بالنّص ليفهم محتوى العنوان.

فالعنوان هو نقطة الانطلاق الطّبيعية للنّص، فهو النّواة التّي يولد منها الخطاب، لتتكاثف دلالة النّص. فإذا تناولنا البنية التركيبيّة، نجد على مستوى الأيقونة سلطة، حيث إنّ "سلطة العنوان الرّوائي عموما ينبع من مركزيّته بمعنى ارتباطه دلاليّا بكافة جوانب الأبنية السّرديّة ومستوياتها وهذا من شأنه أن يعطي للعنوان قيمته الجوهريّة، ويجعل منه عمدة في عمليّة التّلقي كما يجعل منه بوّابة لازمة للولوج في العالم السّردي"[5]...

الغلاف هو الشّيء الذّي يلفت انتباهنا بمجرّد حمل الرّواية، حيث يمثّل عتبة نصيّة هامّة، تجسّد وصلا للنصّ نفسه بغيره من النّصوص المصاحبة له[6]: صورة – ألوان – تجنيس – موقع اسم المؤلف - دار النّشر- مستوى الخط... تحمل هذه الأيقونات في مجملها دلالات وإيحاءات وتعمل بشكل متكامل متناغم، لتشكيل لوحة فنيّة جماليّة تعرض نفسها على قارئ مبدع، وتمارس عليه سلطتها في الإغراء والإغواء، ليتسنّى لها إثارة التّشويش على هذا المتلقّي، أو تكون المؤشّر الدّال على الأبعاد الإيحائيّة للنّص[7].

"يمكن اعتبار العناوين وأسماء المؤلّفين وكلّ الإشارات الموجودة في الغلاف الأمامي داخله في تشكيل المظهر الخارجي للنّص كما أنّ ترتيب واختيار مواقع كلّ هذه الإشارات لا بدّ أن تكون له دلالة جماليّة أو قيميّة"[8]، ويلخّص

---

[1] - عبد المالك أشهبون، العنوان في الرّواية العربيّة، دار النّايا للنّشر والتّوزيع، ودار محاكاة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا، ط01، 2011، ص64.

[2] - نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربيّة المعاصرة، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط01، 2007، ص46.

[3] - عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النّص إلى المناص ، ص67.

[4] - بسّام قطّوس، سيمياء العنوان، ص33.

[5] - السّيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء العرب، مؤسّسة المعارف، بيروت، دط، دت، ص84.

[6] - ينظر حسن محمّد حمّاد، تداخل النّصوص في الرّواية العربيّة (بحث في نماذج مختارة)، دراسات أدبيّة، مطابع الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، دط، دت، ص148.

[7] - مراد عبد الرّحمن مبروك، جيويوتيكا النّص الأدبي –تضاريس الفضاء الرّوائي، دار الوفاء، الإسكندريّة، ط6، 2002، ص124.

[8] - حميد لحمداني، بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبي، ص60.

التّشكيل الخارجي وظيفتين: إشهارية تتعلّق بالنّاشر، تنتهي بمجرّد اقتناء الكتاب، ووظيفة تأويليّة تتعلّق بالمتلقّي تتمثّل في الوقوف على علاقات التّماثل الدّلالية بين الغلاف والنّص.

والحديث عن اللوّن من أساسيّات دراسة الغلاف، لما يحتويه من علاقة واضحة بالعمل الأدبي، وما يرمي إليه من بنيات دلاليّة عميقة، حيث يكشف عن جزء كبير من شخصيّة الكاتب من جهة، كما يؤثّر من جهة أخرى في نفسيّة المتلقّي. ومن هنا يحدث تفسير الميل إلى بعض الألوان دون الأخرى، حيث نجدها مرتبطة بظروف الحياة، الثّقافة والبيئة... "ومن هنا نجد إنّ للألوان دلالات معيّنة وارتباطات بالظّروف والأحداث التّي مررنا بها، وفي هذا تعليل للأسباب التّي تجعل بعضهم يميل إلى ألوان من دون أخرى"[1].

تساهم دلالات اللّون في نقل الدّلالات الخفيّة والأبعاد المستترة المتخفّية في نفسيّة المتحدّث والمتلقّي معا، وحتّى بالوسط الاجتماعي، فالصّورة اللّونية "تشكل جزءا من قدرنا وتخبرنا عن حالات ذهنيّة هامّة"[2]. فهناك ألوان حارّة وألوان باردة مبهجة مفرحة منطلقة تنعش النّفس بمعاني الفرح والسّرور، وهناك أخرى قاتمة بائسة تبعث للنّفس غيوما من الهدوء والخمول أو الحزن والكدر"[3]...

لذلك نقول إنّ لغة اللّون على غلاف أيّ نصّ أدبي إبداعي يمثّل عنوانا وخطابا واصفا لمحتوى رسالة ذلك النّص، وهو دعوة صريحة للمتلقّي إلى تذوّقه. وإنّ اختيار اللّون يلعب الدّور الكبير، إذ تقابله حاسّة البصر، ولعبة الألوان هي لعبة فنيّة فاللّون أداة لتوصيل الأفكار ورمزا يتموضع عليه.

والمؤشّر الجنسي Indication Gènèrique[4]، يعمل على تحديد جنس العمل باستبعاد الأجناس الأخرى من شعر، قصّة ومسرح... وهو نظام تابع للعنوان، "لهذا يعدّ نظاما رسميّا يعبّر عن مقصديّة كلّ من الكاتب والنّاشر لما يريدان نسبته للنصّ، في هذه الحالة لا يستطيع القارئ تجاهل أو إهمال هذه النّسبة، وإن لم يستطع تصديقها أو إقرارها، فهي باقية كموجة قرائي لهذا العمل"[5]...

والتّصدير Epigraphe مصاحب نصيّ من جنس خطاب الاستشهاد بل أنّه "الاستشهاد بامتياز"[6]، حيث يمثّل أوّل ما يصادف القارئ أثناء ممارسته لنشاط القراءة، فهو "ما تعيد اليد الثّانية تدوينه بين مزدوجتين"[7]، ففي العادة يأتي سابقا للنّص على شكل أبيات شعريّة، أو مقطع نثري بين مزدوجتين، أو قصّة قصيرة فتكون بذلك بمثابة مقدّمة أو فاتحة نصيّة.

---

[1] - عيّاض عبد الرّحمن الدّوري، دلالات اللّون في الفن العربي الإسلامي، دار الشّؤون الثّقافة العامّة، بغداد، العراق، ط1، 2002، ص19.

[2] - محمّد بن يوب، آليّة قراءة الصّورة البصريّة، ص87.

[3] - مشوح وليد، الصّورة الشّعرية عند عبد الله البردوني، منشورات إتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 1996، ص181.

[4] - عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت من النّص إلى المناص، ص89.

[5] - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[6] - نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربيّة المعاصرة، ص56.

[7] - المرجع نفسه، ص57.

وسمّي بالتّصدير لأنّه يوضع على رأس العمل، أي أنّ المؤلّفين صاروا يبتدئون أعمالهم بأقوال أعلام مشهورين وهذا لأجل توضيح بعض جوانب أعمالهم، وبهذا يكون في موقع قريب من النّص بعد الإهداء إن وجد. فهو "الحديث الذّي يتجاوز النّص المفرد ليستقرّ على رأس مجموعة أعمال المؤلف لإنجاز وظائف نصيّة موازية تضيء بدورها بعض عتمات النّص وتحسّن تداوليّته"[1].

ويمكن أن نحدّد سيميائيّة الدّلالات كذلك من خلال **البنيات العميقة** التّي تحدّد الطّريقة التّي يكون عليها الوجود الأساسيّ لفرد أو لمجتمع، وبالأحرى شروط وجود الموضوعات السّيميائيّة. أمّا **البنيات السّطحيّة** فتشكّل نحوا سيميائيّا يجعل المحتويات الظّاهرة منتظمة في أشكال خطابيّة، أمّا بنيات التّجلي فتنتج وتنظّم الدّوال، رغم أنّها تحتوي على شبه كليّات، تظلّ لها خصوصيّة هذا أو ذاك[2]...

إنّ تناول الخطاب الأدبي وفق التّحليل السّيميائي حسب "غريماس" يكون قادرا على أن يكون لوحده حكاية مستقلّة، له غايته الخاصّة به، ووظيفته الخاصّة. حيث يؤكّد هذا استقلاليّة المقاطع السّرديّة للخطاب من جهة وعلاقتها ببعض من جهة أخرى، ضمن المحدّدات الملائمة لسيميائيّة غريماس مثلا، والتّي تتلخّص في العناصر الظّاهراتيّة، الخطابية وفي **الزّمان والمكان** وغيرها...

إنّ مقاربة هذه العتبات لا تكتمل إلّا بالدّخول إلى عالم النّص، وهذه العلاقة بمثابة التّوازي والتّقاطع بين (العتبات/النّص)، و (النّص/العتبات) وامتدادات كل منهما له مؤشّرات **زمانيّة ومكانيّة** في قالب الأحداث تمثّلها شخصيّات، بإمكانها أن تضيء لنا الجوانب المتخفّية في الرّواية، فتفتح أمامنا باب المعاني الكثيرة والتّأويلات. فهذه الوظائف تقوم ببناء الدّلالة، وهذه القيمة الدّلالية لا تتجلّى إلّا وفق تماهي هذه الوظائف وعناصر نظام النّص.

حظي مفهوم **"الرّؤية السّرديّة"** بعناية كثير من النّقاد، وفي طلباتهم "تزفيتان تودوروف" T.Todorov، الذّي وصفه ب"الكيفيّة التّي يتمّ بها إدراك القصّة من طرف السّارد"[3]، فهذا المفهوم يتضمّن بعض الإشارات التّي تدلّ على أنّ إدراك القصّة هو في حدّ ذاته تكوين رؤية عن مضمونها، ترتبط أساسا بالرّاوي.

ويذهب ل.غولدمان إلى أنّ الرّؤية أكثر تعبيرا عن طموحات أفراد المجتمع والعكس صحيح[4]. ويمكننا أن نجمع أهمّ ما تمثّله "الرّؤية السّردية" حسب النّقاد واختلاف تسمياتهم في الجدول الآتي:

"جان بويون"	"واين بوث"[5]	"ت. تودوروف"	"جيرار جينيت"[1]

[1] Gèrard Genette: seuils, p114.

[2] - ينظر عبد الحميد بورايو- الكشف عن المعنى في النّص السّردي- النّظرية السّيميائيّة السّردية - غريماص، كورتيس، باط، دار السّبيل للنّشر والتّوزيع، دط، 2008، ص59.

[3] - تزفيتان تودوروف، مقولات السّرد الأدبي، طرائق تحليل السّرد الأدبي، تر: الحسين سبحان، فؤاد صفا، منشورات اتّحاد الكتّاب المغرب، الرّباط، ط2، 1992، ص61.

[4] - Voir: Lucien Goldmann, Marxisme et sciences humanizes, édité par Gallimard, Paris, 1970, p18, 19.

[5] - للتوسّع أكثر ينظر سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي، ص291.

الرّؤية مع Vision Avec.	الرّاوي المسرح.	الرّاوي = الشّخصيّة.	**التّبئير الدّاخلي Focalisation Interne.**
الرّؤية من الخلف Vision par Derriére.	المؤلّف الضمني.	الرّاوي أكبر من الشّخصيّة.	**التّبئير الصّفر Focalisation Zéro.**
الرّؤية من الخارج Vision de Dehors.	الرّاوي غير الممسرح.	الرّاوي أصغر من الشّخصيّة.	**التّبئير الخارجي Focalisation Externe.**

-جدول توضيحي لتنظيرات "الرّؤية السّردية" / وجهة النظر-

وتعدّ السّيميائيّات محاولة في إنشاء نظريّة عامّة للأنساق الدّالة، من خلال الإحاطة بالدّلالة والمعنى وتحصيل الرّؤية والطّرح والإجراء، وتماثله بين العمق والسّطحية... حيث قامت السّيميائيّات السّردية على البحث عن السّيرورات المعنويّة الممكنة في الخطابات أو الأنسقة الدّالة، فدال النّص الواحد، يمكن أن يؤدّي إلى إنتاج دلالات متعدّدة، ولا نهائيّة، ذلك أنّ لا شيء ثابت، ولا شيء يحمل دلالة خاصّة في ذاته.

المحاضرة رقم 13: التّحليل السّيميائي للخطابين الشّعري والقصصيّ..

يتحدّث اليوم السّيميائيّون عن الدّلالة التّي تولّدها السّيرورة لدى المتلقّي في إشارة إلى (لا نهائيّة دلالة العلامة) التّي كانت موضوعا للسّيميوز في سيميائيّات بيرس، عرفت اهتماما خاصّا في منجز الباحث المغربي "سعيد بنكراد"[2]...

إنّ تناول الأعمال الأدبيّة وفق المقاربة السّيميائيّة تتراوح بين مستوى المحايثة والاقتصار في التّطبيق على المفاهيم العامّة والأسس الإبستمولوجيّة للمنهج السّيميائي، يعني الاشتغال على مستوى اللّغة الواصفة (السّيميولوجيا)، حيث يتم تناول الأنساق السّيميائيّة، ومن جهة أخرى المستوى اللّساني...

ويتمثّل موضوع المقاربة السّيميائيّة في المحتوى انطلاقا من العلاقة السّردية للعلامة اللّسانية المشكّلة من دال (تعبير) ومدلول (محتوى)[3]، فباختيارهم المدلول (المحتوى) يلغون وبشكل آلي الدّال (التّعبير) من دائرة اهتمامهم. ويؤكّد ذلك "شميث" في قوله: "إنّ المهمّة الأساسيّة للسّرديّات هي تحليل المحتوى بصفة عامّة"[4]. ويؤكّد "غريماس" في مختلف دراساته الفكرة نفسها موضّحا الهدف الذّي تنشده السّيميوطيقا، وهو الإمساك بالمعنى أو الدّلالة، بغضّ النّظر عن المظاهر الأخرى التّي يتّخذها هذا السّرد[5].

---

[1] - للتوسّع أكثر ينظر سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي، ص297.

[2] - ينظر عبد القادر شرشار، مدخل إلى السّيمائيّات السّردية (نماذج وتطبيقات)، ص103-104.

[3] -Luis Hjelmslev: Essais Linguistiques, les editions de Minuits, Paris, 1971, p35 .

[4] - سعيد يقطين، قال الرّاوي، البنيات الحكائيّة في السّيرة الشّعبية، المركز الثّقافي العربي، بيروت، دط، 1997، ص14.

[5] -Grèimas: Du sens, essais Sèmiotiques, Seuil, Paris, 1970, p158 .

ويظهر اهتمام هذا الاتّجاه المنهجي للسّيميائيّين في التّركيز على المحتوى، كما كان من نتائج السّيميائيّات أنّ **القصّة** "بنية سرديّة، أي شبكة من العلاقات الواسعة تكون على أساس البنية السّطحية التّي لا يظهر منها إلّا جزء"[1]، كما يرى "كورتيس" ارتباط الحكي ارتباطا وثيقا بالحكاية، وما يحدّدهما هو أنّ الحكي يتعلّق بالانتقال من حالة إلى حالة أخرى، وهذا من شأنه إحداث تحوّل من وضعيّة أو حالة إلى وضعيّة جديدة عن طريق التّتابع[2].

وإذا كان السّيميائيّون يركّزون على المحتوى باعتباره الماهية التّي تدور حولها الدّراسات ويشتغل عليها تحليل الخطاب، فإنّ السّرديّين يهتمّون بالتّعبير أو الخطاب الذّي يستخدم كمقابل للقصّة باعتباره الصّورة التّي يتجلّى أو يتحقّق من خلالها المحتوى، وبالتّالي يمكن أن يقدّم محتوى واحد من خلال خطابات متعدّدة لكلّ منها خصوصيّته[3]. فالسّرديون يعدّون الخطاب عنصرا جماليّا يصل المادّة الحكائيّة بالأدبيّة، في حين تخالف نظرة السّيميائيّين ذلك.

يمكننا أن نعود بالحديث في هذا المجال إلى مشروع "كورتيس" السّيميائي، في كتابه "مدخل إلى السّيميائيّة السّردية والخطابية"[4]، حيث تضمّن هذا المشروع استكشاف المعنى بالتّواصل، وقد تساءل عن إمكانيّة حصر الحقل السّيميائي في التّواصل قائلا: "هل يمكن أن يتحدّد حقل التّواصل مفهوما كفعل معرفة بإرادة التّواصل أي إرادة فعل المعرفة؟"[5]. وضرب على ذلك أمثلة حيث إنّ "شكل الأمكنة والمسارات الممكنة فيها والممنوعة تعطي مثلا معلومة عن اللّا أمن أو المتعة أو الضّيق أو الهدوء أو جو السّرية"[6].

فالسّيميائيّة من خلال جهود "كورتيس" تتناول زاويتين منهجيّتين: الزّاوية السّطحية التّي يتمّ فيها الاعتماد على المكوّن السّردي والمكوّن الخطابي والزّاوية العميقة التّي ترصد شبكة العلاقات التّي تنظّم المعنى حسب العلاقات التّي تقيّمها، مع تبيان نظام العلاقات التّي تنظّم الانتقال من قيمة إلى أخرى.

ومن التّساؤلات التّي أثارها التّحليل السّيميائي للخطاب السّردي، من خلال مشروع "كورتيس" السّيميائي: أين يتموقع تكوين الكفاءة التّي تهم الذّات السّيميائيّة بوصفها ذات الفعل؟ وما مسار المرسل؟ وكيف تقيّم المسافة التّي تفصل الانتشار السّردي عن خطيّة النّص المتمظهر؟... "فإذا كانت السّيميائيّة نقلا لشفرة فهي أكثر من ذلك فباعتبارها عمليّة وصف يجب أن تدقّق مستوى أو مستويات التّحليل التّي تريد أن تتموقع فيها"[7].

لقد نهجت السّيميائيّة السّرديّة منحى لسانيّا في استقصاء المدلول، كما استندت في تحليلها على الطّريقة البنيويّة المحايثة، من خلال دراسة الشّكل الموصول إلى المضمون (المدلول). وللإشارة فإنّ "غريماس" قد انطلق في تنظيره من

---

[1] - رابح بوحوش، الأسلوبيّات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنّابة، ص42، 43.

[2] - Courtès: Analyse Sèmiotique des discours, Hachette, Paris, 1990, p70, 72.

[3] - ينظر سعيد يقطين، قال الرّاوي، ص16.

[4] - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السّيميائية السّردية والخطابية، تر: جمال حضري، الدّار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، ط1، 2007.

[5] - المرجع نفسه، ص55.

[6] - المرجع نفسه، ص56.

[7] - المرجع نفسه، ص57.

بنية عميقة، إلى البنية السّطحية، لكنّه قلب النّظرية أثناء التّحليل، فمن خلال تفكيك الأشكال، يمكننا الوصول إلى المدلولات، وهذا ما ذهب إليه الكثير من النّقاد.

إنّ النّص السّردي تتحكّم فيه مجموعة من الحالات والتّحولات حيث "يقوم ملفوظ الحالة Sujet d'ètat على أساس العلاقة الموجودة بين الفاعل (ف) والموضوع (مو)، ولئن كان ملفوظ الحالة يشكّل وضعا قارّا فإنّ ملفوظ الفعل يعكس التّحولات التّي يحدثها الفاعل المنفّذ للدّخول في وصلة بموضوع القيمة"[1].

ولهذا كانت هذه المفاهيم مرتكزات أساسيّة في هذا المنهج، نعتمد عليها لنحدّد الصّور التّي تظهر على مستوى الخطاب، والذّي يمكّننا من فحص المستوى العميق.

وانطلاقاً من أنّ جوهر الشّعر وحقيقته ينطلقان من مبدأ أنّ الشّعر: "يجب أن يكون قبل كلّ شيء شعراً، أي نسجاً للقول الرّفيع المعبّر من شطحات الخيال وأطياره المحلّقة في عوالم بدون حدود"[2]. ومن ثمّ فإنّنا حين نقرأ نصّاً شعريّاً من منظور منهجيّ سيميائيّ، فإنّ الهدف المنشود من هذه القراءة غالباً ما يتّجه نحو تحرير النّص من القيود المفروضة عليه، ذلك أنّ الشّاعر يحرّر الكلمات من هذه القيود بغير وعي، ممّا يدلّ على أنّ هذا حدث تلقائيّ[3].

وبعد هذه العمليّة الإبداعيّة في التّشكيل الشّعريّ، وما يقتضيه ذلك من علاقة تفاعليّة بين المبدع والمتلقّي[4] نخلص إلى أنّ دور المتلقّي أو المتلقّين عبر أزمنة وأمكنة مختلفة قد يختلف من متلقّ لآخر: "وهذا الدّور هو الخطر الحقيقيّ الذّي تواجهه كلّ قصيدة، وكلّ نصّ جماليّ، لأنّه يقوم على أسس ثقافيّة لا تتوفّر بالضّرورة لكلّ قارئ...

فالقارئ يحمل في ذهنه، مخزوناً من الكلمات المقيّدة، فإذا ما رأى شبيهة إحداهنّ أمامه على الورق، التقطتها عيناه على أنّها نفس ما لديه، وهنا يكمن الخطر، ولا بدّ للقارئ الذّي ينوي إعطاء النّص حقّه من أن يحذر عند هذا المفترق، خاصّة فهو مفتاح العمليّة كلّها، ولا بدّ له هنا من أن يدرك أنّ السلطان في هذا الموقف يجب أن يكون للنّص لا القارئ.

فإن تسلّط القارئ هنا ضاع النّص، ويستوفي القارئ مخزونه من الكلمات بسالف تاريخها على إشارات النّص، وتتمّ إعادة الكلمات إلى سجنها فترة أخرى. أمّا إذا استجاب القارئ لدواعي التّجربة الجماليّة، وسمح للإشارة بالتّحرك الحرّ في خياله، فإنّ النّص هنا سينجح في إحداث نفسه في نفس القارئ، أي تأسيس الأثر[5].

والواقع أنّ مسألة علاقة النّص الشّعريّ بمتلقّيه على مستوى كبير من الدّقة والحساسيّة في الوقت نفسه، فسلطة النّصّ الأصليّ (النّموذج) يجب أن تظلّ قائمة بصفتها سلطة شرعيّة في ذاتها لا تتقبّل الإلغاء والتّشويه، بيد

[1] - رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، دار القصّة للنشر، الجزائر، دط، 2000، ص72، 73.

[2] عبد الملك مرتاض، بنية الخطاب الشّعري، دراسة تشريحّية لقصيدة أشجان يمنية، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1986-87.

[3] - عبد الله محمّد الغذّامي، تشريح النّص، مقاربات تشريحّية لنصوص شعريّة معاصرة، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت ، ط1، 1987 ، ص13.

[4] بوجمعة بوبعيو، النّص الشّعريّ بين الإبداع والمتلقّي، مجلة المعرفة السّوريّة، السّنة الثّلاثون 332، مايو 1991، ص 176 وما بعدها.

[5] - المرجع السّابق، ص 14.

أنّ القارئ هو صاحب نصّ أيضاً، بمعنى أنّ النّص الشّامل أو الخطاب الشّعريّ العامّ تصبح بموجبه قراءته الأنا القارئة هي الأنا المبدعة، ولذلك يتوالد أكثر من نصّ من تأويل النّصّ الأصليّ أو الخطاب الشّامل. "ويكون القارئ هو صانع النّص، لأنّ دلالات القصيدة هي غياب يستحضره المتلقّي لأنه هو صانع الخطاب فيه"[1].

وإذا سلّمنا بأنّ القراءة تعدّ خلقاً جديداً للنّص، فذلك يعني أنّنا نساير فعل التّطوير في قراءة التّأويل الذّي نستشفّه من دلالات الخطاب الشّامل، ومن ثمّ فإنّ "واقع سيميائيّة القراءة في طابعها المشروط لتأويل الفهم يمنحنا القدرة على إضاءة المعهود والكشف عنه وفق جسر يربط الماضي بالحاضر على ضوء ما يقتضيه الرّاهن للتّعبير عن تجلّيات الحياة الاستشرافيّة، هذه هي أهداف القراءة التأويلية"[2].

وبطبيعة الحال فحين نتعامل مع هذه المقولة التّي تقرّ بمشروعيّة القراءة التّوليديّة، أي التّي يتولّد عنها نصّ أو نصوص أخرى، فذلك يمكن أن يصحّ في ضوء منهج معيّن كالمنهج السّيميائيّ الذّي نؤمن بآليّاته، ولا يمكن أن نحكم بشموليّة هذا الموقف على أنّه الأوحد، والأصحّ دوماً، وإلّا فسنلغي بذلك مشروعيّة المناهج النّقديّة الأخرى.

وتجدر الإشارة إلى أنّ القارئ المفترض للنّصّ الشّعريّ يجب أن يرقى إلى مستوى المبدع الأوّل الذّي يشكّل من الكلمات ذات الدّلالات المعجميّة إشارات ذات أبعاد دلاليّة خضعت في مجموعها إلى أنظمة تركيبيّة دالّة، ممّا تولّد عن ذلك تشكيل شعر في زمان ومكان، فمن حق هذا المتلقّي أن يؤوّل فهمه لتلك الأنساق بحكم آليّاته المعرفيّة التّي قد تفتق في النّص ما لم يكن ظاهراً للعيان أو ما كان مخبوءاً فيه.

وليس معنى ذلك أنّ القارئ يفرض سلطته على النّصّ الأصليّ، بحيث يعمل على تهميشه أو تشويهه، ولكنّه يخلق منه نصّاً جديداً بحكم ما أثار في نفسه من فهم وتأويل قابلين لأن ينسجما مع اتّجاهه التّصاعديّ العامّ، ومثل هذه الغاية لن تتأتّى إلّا إذا كان النّصّ المقروء يحمل في طيّاته ملامح التّجدد والانفتاح، والقارئ مزوّد بمختلف الآليّات التّي تجعله قادراً على إنجاز تلك المعادلة الصّعبة.

ويبقى المنهج السّيميائيّ منهجاً يتميّز بعدد هائل من الآليّات التّي إن استوعبت استيعاباً عميقاً يمكن للقارئ في ضوئه أن يؤوّل ويضفي ما لم يكشفه النّصّ الأصليّ، لكنّ ذلك لا يعني أنّ هذا المنهج ما جاء إلّا ليعيد قراءة النّصوص وينسج على ضوئها نصوصاً أخرى.

فالقارئ (أو النّاقد) الذّي يتوسّل في تعامله مع النّص الإبداعيّ بآليّات منهجيّة منبثقة من المنهج السّيميائيّ، كمن يتوسّل بآليّات منهج آخر، فالنّص قابل لأيّ تأويل أو تقويم حسب فهم القارئ الذّي يتبوّأ مكانة تحاذي مكانة صاحب النّص المبدع، ومن ثمّ فإنّ أيّ قراءة نقديّة لنصّ ما تظلّ إلى النّقد أقرب منها إلى الإبداع، مهما قدّمت هذه القراءة من إضافات وتأويلات في سياق تعاملها مع النّصّ الأصليّ أو الخطاب الشّعريّ العامّ.

---

[1]- عبد الله محمّد الغذّامي، تشريح النّص، مقاربات تشريحيّة لنصوص شعريّة معاصرة، ص 65.

[2] - عبد القادر فيدوح، دلائليّة النّص الأدبيّ، ديوان المطبوعات الجامعيّة وهران، ط1، 1993، ص 24-25.

وبذلك فإنّ القراءة النّقديّة قد تهذّب في حواشي النّصّ، وتولّد من المعاني ما يجعل النّص غنيّاً بدلالات ورموز قد لا تكتشف لولا هذه القراءة النّوعيّة ولكن سلطة النّصّ النّموذج تظلّ قائمة مع تفتّحها على روح التّجديد التّي تضفي عليها من هذه القراءة أو تلك.

ويمكن أن يتطلّب تحليل الخطاب سيميائيّا مقاربة النّص عبر ثلاثة مستويات: مستوى الظّاهر النّصيّ، ويتجلّى في دراسة النّص في ماديّته الملموسة (عتبات النّص الموازي)، والإحاطة بأساليبه الأسلوبيّة. والمستوى السّطحي، والذّي يعنى بدراسة البرامج السّردية، والمستوى العميق الذّي يهتم بدراسة التّشاكل، واستقراء القيم الدّلالية والسّيميولوجيّة، ودراسة المربّع السّيميائي.

- **تقطيع النّص:**

إنّ المقطوعة السّردية تمثّل قصّة لها بداية ووسط ونهاية "نعرف المقطوعة السّرديّة بأنّها وحدة خطابيّة تجري مجرى القصّة القصيرة"[1]، ويمكن تقطيع النّص وفقا لثلاثة مقاييس: "أوّلا: الاستقلال النّسبيّ للأحداث الأساسيّة التّي تشكّل كلّ منها قصّة دنيا. ثانيا: الانتقالات المكانيّة. ثالثا: تغيّر الشّخوص المساهمة في الفعل"[2]. تسعى السّيميائيّة إلى دراسة التّجليات الدّلالية من الدّاخل مرتكزة في ذلك على مبدأ المحايثة Immanentė التّي تخضع فيه الدّلالة لقوانين داخليّة خاصّة مستقلة عن المعطيات الخارجية[3]..

وسنحاول في هذه الدّراسة التّحرر من مبدأ المحايثة، وهذا يعني إنّ الخطاب السّردي سيحلّل لذاته، وفي ذاته وهو مبدأ لساني بحث. ويوحي الاختلاف Difference إلى ارتباطه بتلك العلاقات المتناقضة والمتضادّة على مستوى النّصّ وبين الشّخوص. وهذا الاختلاف يتسبّب في إنتاج المعنى، "وقد تمثّل غريماس في هذا المبدأ داخل تصوّر جديد يقتضي فيه الاقتراب من المسألة الدّلاليّة استيعاب الاختلافات المنتجة للمعنى دون الاكتراث لطبيعتها في إطار بنية بحضور عنصرين على الأقل تربطهما علاقة بطريقة أو بأخرى"[4].

إنّ تقطيع الخطاب هو الخطوة الأولى والأساسيّة في عمليّة التّحليل، وذلك من خلال تقطيع الخطاب إلى مجموعة مقاطيع وفقا لأحد المقاييس أو معايير التّقطيع. فالمقطع السّرديّ حسب "غريماس" يكون قادرا على أن يكون لوحده حكاية مستقلّة، وأن تكون له غايته الخاصّة به، غير أنّه يكون قادرا أيضا على الاندماج داخل حكاية أكبر توسّعا مؤدّيا وظيفة خاصّة داخلها.

وهذا التّقطيع للتّحليل يهدف إلى التّعامل المرن مع هذه المقاطع أثناء التّحليل، كما أنّه كفيل بإبراز التّعالق بين هذه المقاطع من خلال إبراز استقلاليّة كل مقطع من جهة وعلاقته بالمقاطع الأخرى من جهة أخرى، إضافة إلى إنتاج

[1] - رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، ص73.

[2] - عبد الحميد بورايو، التّحليل السّيميائي للخطاب السّردي، دار النّشر والتّوزيع، الجزائر، دط، دت، ص73.

[3] - ينظر المرجع السّابق، ص09.

[4] - المرجع السّابق، ص10.

دلالة الخطاب بإنتاج مجموعة من المعاني والدّلالات تسهم في تكوين الدّلالة العامّة لخطاب النّص، وخلق علاقات التّفاعل.

ولتحقيق هذه الوظائف سنعتمد المقياس الثّالث لتقطيع النّص، وهو: تغيّر الشّخوص المساهمة في الفعل، وسنحاول أن تتوسّع في مجال الشّخصية سيميائيّا. وذلك أكثر من خلال المعيار العاملي (المرسل- المرسل إليه- الذّات- الموضوع- المساعد- المعاكس)، أو المعيار الشّخوصيّ (الشّخصيّات الرّئيسة أو الثّانوية)، أو المعيار الفاعلي (الفاعل التّيماتيكي)..

فهذه المعايير يعتمد عليها السّيميائيّون لتقطيع النّصوص السّردية عادة، لأنّ ظهور فاعل أو عامل أو شخصيّة في ساحة الأحداث، أو غيابها ليحضر عامل أو فاعل آخر، فإنّ ذلك يساهم بلا شكّ في تحديد المقاطع النّصيّة.

كما أنّ الصّراع بين العوامل لتحصيل الموضوع المرغوب فيه، بالإضافة إلى ربطها بالبرامج السّرديّة تحفيزا وتأهيلا وإنجازا وتقويما، يمكن أن يشكّل ذلك عناصر هامّة في عمليّة تقطيع النّصوص والخطابات، كما أنّ التّركيز على التّيمات أو الموضوعات أو الأفكار الرّئيسة واستخلاص الحوافز والوظائف يمكن أن يسهم في تقطيع النّص..

وبعودتنا للحديث عن سيميائيّة "غريماس" وما أخذه من "بروب" و "ستراوس"، تناول "غريماس" الحكاية باعتبارها بنية مؤلّفة من ذاكرة تنظّم مجموع العناصر المستترّة منها والظّاهرة، فالملفوظ الواحد يذكر بنقيضه، وستظهر بذلك وحدات سرديّة جديدة بالنّسبة للنّسيج الحكائي[1].

فهذه الوحدات الاستبداليّة Les unitès paradigmatiques تنظّم الحكاية وتشمل هيكلها، وهذه الإسقاطات السّردية Les projections paradigmatiques، هي التّي تبرهن عن وجود بنيات سرديّة Les structures narratives، وكلّ هذه التّوضيحات تختصر الأحداث المروية داخل النّص السّردي، لينتقل التّحليل من المستوى السّطحي إلى المستوى العميق[2].

وانطلاقا من هذه الجهود تتّضح التّحوّلات التّي أجراها "غريماس" في مشروعه السّيميائي السّردي، ففي المصطلح والاستعمال البروبي (دراسة شكليّة سطحيّة، الوظيفة، دائرة الفعل، التّتابع الوظيفي)، أمّا في المصطلح والاستعمال الغريماسي -على التّرتيب- (دراسة تركيبيّة دلاليّة عميقة، الملفوظ السّردي، العامل، الخطاطة السّرديّة).

فنجد البنيات السّطحية للخطاب السّردي تتجسّد في وجود نحو سيميائيّ ينظّم المضامين القابلة للتّمظهر في أشكال خطابيّة خاصّة[3]، وبهذا ستكون البنية نصّا ممكنا قابلا للتشكّل، وقد عبّر "أمبرتو إيكو" عن التّرابط التّوليدي، بأنّ "السّيميم" أو Sèmème يجب أن يمثّل أمامنا باعتباره تعليمة موجّهة إلى النّص، أو أنّها نص ممكن، ولن يكون

[1] - Joseph Courtes: Introduction à la Sèmiotique narrative et discursive (Mèthodologie et application), Hachette, Ed n03, 1986, p08.

[2] - Ibid, p10.

[3] - ينظر سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائية السّردية، ص29.

هذا النّص سوى وجها مفصّلا لهذا "السّيميم"، إذ أنّ "النّصّ الممكن يكون ماثلا فعليّا بصورة كامنة في الطيف الموسوعي الذّي تعمل على تكوينه الميسومات"[1]، وهذا ينطبق على النّص باعتباره يملك خصوصيّة تميّزه عن بقية النّصوص.

فالخطاب بدل أن تتعامل معه على أنّه سلسلة من الملفوظات، نتعامل معه على أنّه كلّا دالّا في بدايته كان على شكل تأليف تامّ، ثم يتفكّك بعد ذلك تدريجيا ليصبح في النّهاية عبارة عن ملفوظات خاصّة. فالسّردية متواصلة ولا تعبأ بمادة تمظهرها (المادّة اللّغويّة)، بل تظهر من خلال موادّ تعبيريّة أخرى غيرها، كالسّينما، المسرح، الصّور المتحرّكة والثّابتة. ونصل بذلك إلى اعتبار النّموذج التّكويني بنية دلاليّة بسيطة[2].

ولتسريد هذه البنية الدّلالية يتمّ طرح البنيات السّردية، وتحديد وضعها داخل المسار التّوليدي للدّلالة، لتتّحد البنية كشكل دالّ، إذ تظهر هذه الدّلالة من خلال لغات متعدّدة[3]. وعلى إثر هذا التّحديد يقترح "غريماس" وجود نظام خاص مستقلّ يتحكّم في البنى السّيميائيّة المشكّلة للبنيات السّردية[4]، ويذكر مستويين من الدّلالات كما يلي: مستوى المعاني Les sèmes، وهو المسؤول عن أيّ تمفصل دلالي، وهو تنظيم عميق، ويكون النّموذج التّكويني أوّل أشكال التّنظيم الدّلالي فيه.

ومستوى الآثار المعنويّة Les sèmèmes، ويتناول هذه الآثار باعتبارها نتاجا لعلاقة المعانم مع بعضها، فيكون النّموذج العامليّ معادلا للنّموذج التّكوينيّ، وهو تنظيم سطحيّ. وتتكوّن البنيات السّيميائيّة السّرديّة في إطار المسار التّوليدي من مكوّنين أساسيّين هما:

مكوّن تركيبي	مكوّن دلالي
مستوى عميق	مستوى سطحي
تركيب أصولي ودلالة أصوليّة.	تركيب سردي ودلالة سرديّة.

ومنه: المستوى العميق ← المستوى السّطحي.

العلاقات ← العمليّات ← الملفوظ السّردي.

[1] - أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التّعاضد التّأويلي في النّصوص الحكائيّة)، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، ط1، 1996، ص21.

[2] - A.J.Greimas: Du Sens (Essais Sèmiotiques), èditions du Seuil, Paris, 1970, p158.

[3] - Ibid , p159.

[4] - Ibid, p160.

إنّ غريماس يعكس الرّؤية التّحليلية للنّص باعتباره ينطلق من المكوّن الدّلالي التّركيبي ليصل إلى الشّكل الخارجي المتمثّل في الملفوظ السّردي، أي أنّه ينطلق من تشكيل الخطاب إلى أن يصل إلى النّص المتشكّل في نهاية المطاف، أي التّمظهر المضموني، وذلك بدراسته للنّموذج العامليّ كنسق خاصّ.

- **المسار السّردي Parcours Narratif**

إنّ تحديد الحالات والتّحوّلات كخطوة أوّلية، على المستوى الافتتاحيّ والختاميّ، ويمكّننا من معرفة حصيلة المسار السّردي للحكاية ككلّ، كما تتّضح صورة الوضعيّة الوسيطيّة، وتعدّ رؤية أوّليّة للدّورة الدّلاليّة للحكاية. يمتلك الفاعل في المسار السّرديّ طاقات وكفاءات ليقوم بتحريك البرامج السّرديّة، ليبنى البرنامج السّرديّ على مسار سرديّ، ينظّم تعاقب الملفوظات في شكل أطوار متماسكة.

إنّ المسار السّردي في الدّراسات السّيميائيّة يتمثّل في تحديد نمط الوجود السّيميائيّ الذّوات والموضوعات معا، فالذّات تتحدّد من خلال ثلاث حالات سرديّة[1]:

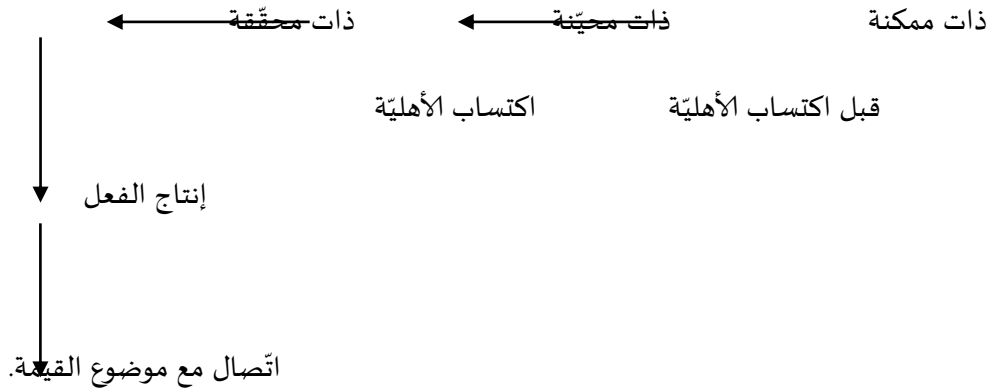

- **البرنامج السّرديّ:**

وهو وحدة سرديّة بسيطة يرمز لها ب (ب. س) ولكنّها قابلة للتّوسع والتّعقيد الشّكليّين، دون أن يغيّر ذلك شيئا من وضعيّتها كصيغ تركيبيّة قابلة للتّطبيق على الأوضاع السّرديّة الأكثر تنوّعا إذ تنبثق عن تركيب عامليّ قابل للتّطبيق على كلّ أنواع الخطابات. وهي تبرز تنظيم مختلف مقاطع التّرسيمة دون أن تكون مع ذلك مكوّنات لهذه التّرسيمة التّي توافق تمفصلا آخر للخطاب.

وبالإمكان أن توجد علاقة تبعيّة بين برنامجين أو عدّة برامج مترابطة فيما بينها بسيميائيّة العمل (أداء الذّات)، فمثلا (أين يستطيع البطل في النّهاية عقب بحثه أن يحقّق المهمّة التّي تكفّل بها؟) إنّها لحظة المسار السّرديّ التّي تبدو بنيويّا الأكثر قربا من تحديد (ب. س) بصفته عاملا منجزا.

[1] - Joseph Courtès: Introduction à la Sèmiotique narrative et discursive, p20.

وإذا أنجز البرنامج السّردي وانتهى الفعل، فإنّ ذلك هو إنجاز الذّات والذّات لا يمكنها القيام بإنجاز، إلّا إذا امتلكت مسبّقا الكفاءة الضّروريّة، وإذا كان الإنجاز يوافق العمل كفعل كينونة الكفاءة، فعند ذلك تكون بنية الملفوظ الحالة هي التّي يجب أن تؤخذ كنقطة انطلاق لفحصها أي الكفاءة[1].

ولكي ينطبق الوجود السّيميائي للبرنامج السّردي على مكوّن المسار السّردي الذّي نفحصه، يجب أن ينجز فيه البرنامج السّردي الفعل الممارس، وينتهي إلى النّتيجة المسجّلة داخل ملفوظ الحالة (وصلة أو فصلة)[2]. ويتكوّن البرنامج السّرديّ من أربعة عناصر هي: الإيعاز (التّحفيز والتّحريك)، الكفاءة (القدرة)، الإنجاز، التّقويم (الجزاء)...

- **الإيعاز (التّحفيز/ فعل الفعل) Manipulation**

ويتضمّن هذا العنصر فعلا إقناعيّا يقوم به المرسل نحو فاعل محتمل، من أجل إنجاز برنامج محتمل، حيث يقوم المرسل ببثّ رغبة القيام بالفعل عند "الذّات"، فالذّات تسعى إلى الاتّصال أو الانفصال عن الموضوع. فهذه العمليّة ضروريّة في الانتقال من الحالة الأولى إلى الحالة الثّانية، ويجب التّعامل معه على أنّه "مجموعة من اللّحظات السّرديّة المرتبطة فيما بينها وفق منطق خاص"[3].

يكون فعل إقناعيّ يقوم به المرسل نحو الذّات التّي تضطلع بالفعل، فيكون المرسل هو الدّافع والمحرّك، والذّات هي العنصر المدفوع. والتّحريك هو عنصر ضروري في تحديد الخطاطة السّرديّة، خاصّة أنّه "يتميّز بكونه نشاطا يمارسه الإنسان اتّجاه آخر، بهدف الدّفع به إلى القيام بإنجازها"[4]. بهذا تتّضح الرّؤية فنستخلص أنّ التّحريك يرتبط بفعل الفعل أي أنّ المرسل يعين الفاعل ويدفعه للقيام به.

إنّ "الملفوظ السّرديّ الأساسيّ يقوم على تحوّل بسيط من حال إلى حال، لكنّ هذا التّحول يستدعي بدوره سلسلة من التّحوّلات الموصولة بعضها ببعض بأسباب منطقيّة"[5]، فهذا التّحول يتجسّد من خلال ذات فاعلة، قد تكون كائنا حيّا، أي شخصيّة تقوم بالفعل، فبمجرّد حدوث الفعل يحصل التّحوّل، وبما أنّ "المقطع السّردي يطلق على وحدة سرديّة كاملة مكوّنة من المناورة والإنجاز العملي للمشروع والجزاء"[6]. هذا يعني أنّ المقطع السّردي يشكّل جزءا من السّيرورة الكاملة للرّواية لأنّه مبني على مراحل تشكّل أصلا العناصر الأساسيّة للبرنامج السّرديّ.

والإيعاز أحد هذه العناصر الأساسيّة التّي تمثّل دفعا إلى التّغيير، بناء على ذلك فإنّ المرسل إليه يقوم بإقناع المرسل باحتضان الموضوع، بعد عمليّة الإقناع يبادر المرسل باختبار ذات تقوم بالإنجاز، وهذه الذّات تخضع لاختبار

---

[1] - ينظر جوزيف كورتيس، مدخل إلى السّيميائيّة السّردية والخطابيّة، تر: جمال حضري، ص58.

[2] - جوزيف كورتيس، السّيميائيّة من "بروب" إلى "غريماس"، تر: جمال حضري، المكتسبات والمشاريع، مجلّة الآداب العالمية، ص25.

[3] - سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيّات السّردية، ص55.

[4] - المرجع نفسه، ص57.

[5] - محمّد العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص72.

[6] - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

الكفاءة أي "الرّغبة في الفعل والشّعور بوجوب فعله مع اكتساب القدرة على ذلك"[1]، وبعد تأكّد المرسل من توفّر مؤهّلات الكفاءة في الذّات، تقبل الذّات على العمل أي "السّعي إلى تحقيق الموضوع ونقل الكيان من حال إلى حال"[2].

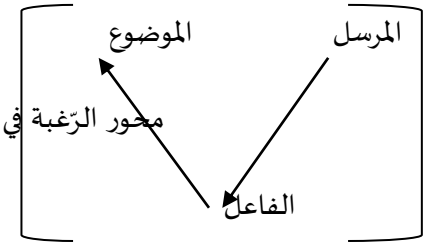

فعل المرسل محور الرّغبة في تنفيذ الفعل وتحقيق الوصلة بالموضوع[3].

- **الكفاءة (القدرة/ الأهليّة):**

وهي عنصر لابدّ من توفّره في الذّات الفاعلة، ومن خلالها يحكم المرسل على الفاعل إذا كان أهلا للقيام بالفعل، فهي "تلك الشّروط الضّروريّة لتحقيق الإنجاز المتعلّقة بالذّات الفاعلة"[4]، ولا يتحقّق الإنجاز إلّا بتوفّرها. وفي هذه المرحلة ينتقل الفعل من حالة الاحتمال المجسّدة في فعل إقناع (المرسل) وفعل تأويليّ (الذّات) إلى حالة تحيين، وكي تحقّق الذّات عملها يجب أن تمتلك الكفاءة اللّازمة من قبل حتى تكون مؤهّلة للقيام بالفعل، وبالتّالي امتلاك موضوع قيمة ما.

وقد بيّنت أعمال "فلاديمير بروب" حول الحكاية الخرافيّة الأهليّة البالغة التّي توليها كل حكاية للحصول على الوسائل الصّورية المؤهّلة للقيام بإنقاذ الأميرة أو الزّواج منها، فوجود ذات مؤهّلة يطرح مشكلة وميكانيزم الأهليّة[5]. وهذه الأهليّة تتطلّب وتنبني على موجهات الفعل Les modalities de faire التّي تساهم في تمييز العلاقة بين الفاعل والفعل وهي المعتزم القيام به، وهي أربع وضعيات[6]: معرفة الفعل Savoir faire _ قدرة الفعل Pouvoir faire _ إرادة الفعل Vouloir faire _ وجوب الفعل Devoir faire.

وتحتوي هذه الملفوظات على فاعل، أداء، المشتركين، تشترك في ضمير المتكلّم، وتختلف في الدّلالة من ملفوظ إلى آخر، اختلافا واردا من طبيعة العلاقة بين أطراف تلك الوحدات العامليّة[7]، أي تلك التّي تربط الفاعل بفعله.

الإنجاز/الأداء Performance

---

[1] - محمّد العجيمي، في الخطاب السّردي (نظرية غريماس)، ص72.

[2] - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[3] - ينظر رشيد بن مالك، البنية السّردية في النّظرية السّيميائيّة، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2000، ص28.

[4] - بن غنيسة نصر الدّين، فصول في السّيميائيّات، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، ط1، 2011، ص45.

[5] - Voir: Joseph Courtès: Introduction à la Sèmiotique narrative et discursive, p17, 18.

[6] - رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائيّة السّردية، ص20.

[7] - المرجع نفسه، ص20.

وهو مرحلة تلي مرحلة الكفاءة أو الأهليّة، وتتطلّبها في الوقت نفسه، فإذا كان "التّحريك يحيل على كل فعل الفعل Faire faire وتحيل الأهليّة على كينونة الفعل Être du faire، فإنّ الإنجاز يحدّد فعل الكينونة Être faire[1]، فيتمّ من خلاله تحويل فاعل الحالة نحو موضوع القيمة.

في المرحلة الأولى تتواجه الذّات الفاعلة مع الذّات المضادة حول موضوع القيمة، كوحدتين متناقضتين، في حين تمثّل المرحلة الثّانية (هيمنة) نقطة العمل حيث تنطلق الذّات في تحقيق الإنجاز إمّا بالسّلب أو الإيجاب، أمّا المرحلة الثّانية فيتحقّق فيها الإنجاز بحصول الذّات على الموضوع. في هذه المرحلة تدخل الذّات المنجزة في علاقة مع موضوع القيمة، تصبو من خلالها إلى تحويل حالة الفصلة أو الوصلة إلى ما يعطيها (ف1 ٧م) أو (ف1 ٨م). هذه الحالات والتّحولات تجري في خضم ملفوظين يتّضحان من خلال المخطّط التالي[2]:

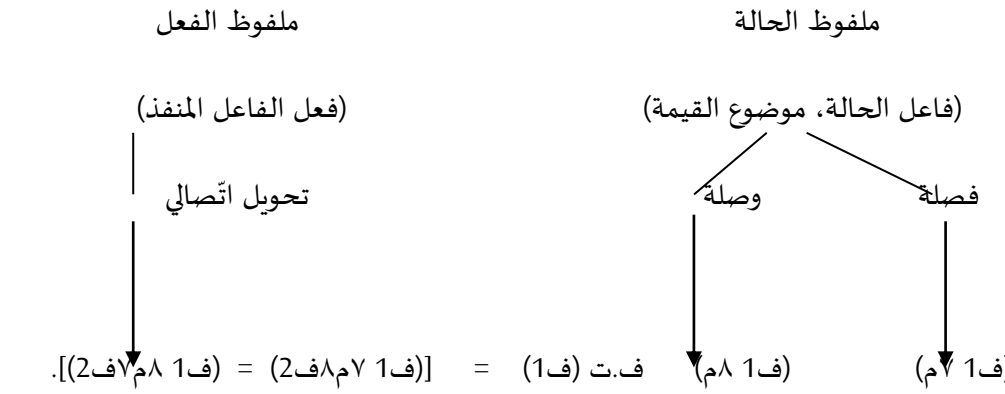

نلاحظ من خلال هذا المخطّط في القطب الذّي يمثّل ملفوظ الحالة، يكون الفاعل في علاقة بالموضوع إمّا في وضعية وصلية أو فصلية، وهذه الوضعية تتطلّب ذات فاعلة تدخل بالفعل مع الموضوع فيحدث التّحول. من خلال ملفوظات الحالة والفعل يتشكّل البرنامج السّردي، الذّي يتحقّق من خلاله ثلاث مراحل، وهي مرحلة المواجهة، مرحلة الهيمنة ومرحلة المنح، وقد قدّم "سعيد بنكراد" مقارنة بين الحكاية الخرافية وبين النّص السّردي المعاصر من حيث الإنجاز ومراحله، كما يلي[3]:

- الحكاية الخرافية: حالة بدئيّة (نقص)= فعل (تحوّل): حالة نهائية (إلغاء النّقص).
- النّص السّردي المعاصر: حالة بدئيّة (نقص)= الكشف عن طبيعة النقص= فعل

↓

تحوّل

↓

حالة نهائيّة (الوعي بالنّقص).

[1] - سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيّات السّردية، ص64.

[2] - رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائيّة السّردية، ص24.

[3] - ينظر المرجع السّابق، ص65.

وبالعودة إلى "غريماس" نجده يحدّد المراحل المذكورة سابقا بالمعادلات التّالية[1]:

1- مواجهة= (ذ1 ⟷ ذ2).

2- هيمنة= (ذ1 ⟵ ذ2).

3- منح = (ذ1 ⟶ ذ2).

والإنجاز "كفعل كينونة" يحيلنا إلى "فعل الفعل" Faire faire، وهو الحلقة النّهائية للتّحولات المسجّلة في النّص السّردي، وبذلك "فالإنجاز هو العنصر المحقّق لعنصر "التّحريك" الذّي يقابله، والإنجاز هو الوجه القيمي للجزاء"[2].

وقد أعطى "بريمون" مثالا توضيحيّا يتضمّن مراحل القيام بالمهمّة (الإنجاز)، وما يتطلّبه من أدوات وإجراءات تتمثّل في المخطّط التّالي[3]:

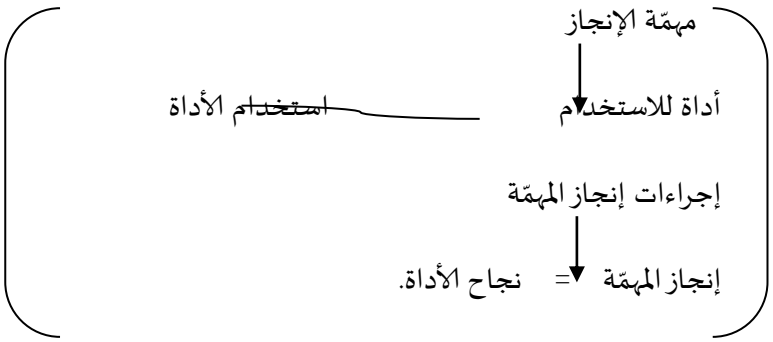

- **الجزاء/ التّقويم Sanction**

الجزاء هو نهاية الخطاطة السّردية وذروتها، لأنّه يوجد في مرحلة نهائيّة في السّرد، ولا يكون له أيّ معنى إلّا بارتباطه بعنصر التّحريك كون هذا الأخير هو النّقطة الأولى التّي ينطلق منها الفعل السّردي، والجزاء هو الحكم على الأفعال التّي تمّ إنجازها، ويكون هذا الحكم مستندا إلى مدى مطابقة الفعل المنجز للكون القيمي المثمّن سرديّا وحدثيّا.

والمرسل هو الذّي يمتلك معايير الكون القيمي، لأنّه هو الدّافع الأوّل لتحريك السّرد، وهو نفسه (المرسل) الذّي يقوم في نهاية المطاف بالحكم على مدى مطابقة الأفعال مع الكون القيميّ المقترح من خلال الأحداث والسّيرورة السّرديّة.

[1] - Voir: A.J.Greimas: Du Sens 2, Essais Sèmiotiques, èditions du Seuil, Rue Jacob. Paris, 1970, p172, 173.

[2] A.J.Greimas: Du Sens 2, Essais Sèmiotiques , p173.

[3] - شلوميت ريمون كنعان، التّخييل القصصي في الشّعرية المعاصرة، تر: لحسن أحمامة، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، الدّار البيضاء، ط1، 1995، ص42.

فالكون القيميّ يحكم على نفسه بنفسه بعيدا عن المضمون الإيجابيّ أو السّلبيّ من خلال الفعل السّرديّ نفسه، فالمرسل يقترح حقيقة ما، لتصل (أو لا تصل) إليها الذّات الفاعلة في نهاية المطاف ثم يتقلّد المرسل منصب السّلطة ليجازي هذه الذّات، إمّا بالسّلب أو بالإيجاب[1].

"فإذا كان المسار السّرديّ للمرسل يبدو لأوّل وهلة لا كمكان لممارسة السّلطة فحسب، ولكن كبؤرة تتحدّد خلالها مشاريع التّحريك وتتبلور البرامج السّرديّة الهادفة إلى دفع ذوات- أصدقاء أو خصوم- لممارسة الأفعال التّي ترغب فيها"[2].

قد يكون هذا التّقويم بإظهار نجاح الذّات في مهمّتها أو إخفاقها في الحصول على موضوع الرّغبة المكلّف بها من طرف المرسل، فالتّقويم هو ما آل إليه المسار السّرديّ، وذلك بالحكم على الذّات بالنّجاح أو الفشل في مهمّتها. ومن خلال الأفعال الصّادرة عن أطراف الفعل الرّوائيّ، نستطيع أن نحدّد كيف قوّم المرسل هذه الشّخوص.

- **اشتغال النّموذج العاملي في الرّواية Le modèle actantielles**

إنّ البنية الأساسيّة المكوّن للبنية السّطحيّة كونها الأنموذج العامليّ، فهو يصوّر لنا السّير التّوزيعي للأحداث المروية داخل قصّة ما، لأنّ الأنظمة الدّاخلية للحكاية، تثبت وجود تكرار في الأفعال، فالنّموذج العاملي هو شكل تعميميّ لبنية تركيبيّة، أو إطار تحديدي أو نمذجي لأفعال قابلة للتّغير والتّحوّل من عناصر تمظهرها. فالنّموذج العامليّ هو الذّي يشتغل باعتباره شكلا أوّليا للدّلالة، أي أنّه يحيل على الصّيغة العامّة التّي تختصر السّلوك الإنسانيّ.

فقد أراد "غريماس" أن يكون أنموذجه العامليّ "عامّا وشاملا، قادرا على احتواء مختلف أشكال النّشاط الإنسانيّ، بدءا من النّصوص الأدبيّة وانتهاء بأبسط شكل من أشكال النّشاط الإنسانيّ"[3]. وينظر "غريماس" إلى هذا النّموذج وفق ثلاثة مزدوجات عامليّة وهي:

- **الذّات والموضوع Sujet/ Objet**

(الذّات/ الموضوع) ثنائيّة هامّة في النّموذج العامليّ، فهي مصدره، لأنّها نقطة الإرسال الأولى لتحوّل سرديّ سيصل إمّا لإثبات حالة ما أو لنفيها، أو لخلق حالة جديدة، [(ذات/ موضوع)-(مصدر الحركة/ غاية الحركة)]، ولا يمكن أن تكون هناك علاقة بين الذّات والموضوع إلّا من خلال غاية محتملة أو محيّنة، كما لا يمكن أن تكون هناك ذات فاعلة من غير موضوع، كما أنّه يحكم وجود الموضوع علاقة راغب و مرغوب فيه.

إنّ انتقال حدّي هذه الثنائيّة من النّفي إلى الإثبات أو العكس، يكسب النّموذج العامليّ حركية تمنحه صيغة توزيعيّة، كأن تكون علاقة تقابليّة بين فعلين شديدين مثل (الفرح/ الحزن) أو (الضّعف/ القوّة)... بذلك يكون الفرح

[1] - Voir: Joseph Courtès: Introduction à la Sèmiotique narrative et discursive, p24, 25.

[2] Ibid , p24.

[3] - سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيّات السّردية، ص47.

هو العنصر الإيجابي والحزن هو العنصر السّلبي، وهذا الانتقال من حالة إلى أخرى يثبت العلاقة التّوزيعيّة في النّصّ الحكائي، ولا يتمّ ذلك إلّا من خلال معنيين متقابلين بين الذّات والموضوع وهما الاتّصال والانفصال[1]..

والصّنف العامليّ الذّات/ الموضوع تصل بينهما علاقة الرّغبة وتكون بين من يرغب وهي "الذّات" بما يرغب فيه "الموضوع"، وتحضر هذه العلاقة على امتداد المسار السّرديّ، كما أنّ "الموضوع" لا يمكن تحديده إلّا ضمن علاقته "بالذّات"، فهو الهدف المراد الذّي تريد "الذّات" تحقيقه وتكون هذه الذّات إمّا في حالة اتّصال ويرمز لها بالرّمز ٨، وإمّا في حالة انفصال ويرمز لها بالرّمز ٧-وقد ذكرنا ذلك سابقا-

- **المرسل/ المرسل إليه Destinateur/ Destinataire**

وتتجسّد ثنائيّة (المرسل/ المرسل إليه) في طرف باعث على الفعل وطرف آخر مستفيد من الفعل، وهما جزئين سرديّين مؤطّرين لمجموع التّحولات السّرديّة داخل النّص السّرديّ، تكون الذّات هنا باعثا للفعل ومنفذا له، ويكون ذلك بأن يقترح المرسل موضوعا للبحث والتّداول، ثم تتبنّى الذّات الموضوع وتقتنع به فتبدأ في تنفيذه أو البحث عنه.

فرغبة الذّات في الاتّصال بالموضوع لابدّ أن يكون وراءها محرّك أو دافع يسمّيه "غريماس" مرسلا، وهو "عامل ليس لازما بذاته لابدّ أن يكون موجّها إلى عامل آخر يسمّى مرسل إليه"[2]. فالعلاقة التّي تجمع بين "المرسل والمرسل إليه" علاقة التّواصل تمرّ بالضّرورة عبر علاقة الرّغبة أي علاقة الذّات بالموضوع. فالمرسل وهو "فاعل التّحفيز" أي يحفّز الذّات بجعلها ترغب في موضوع ما وتنطلق في البحث عنه، وعند تحقيق الذّات لهذه الرّغبة، يكون بالضّرورة هناك مستفيد من إنجاز الذّات إمّا أن تكون الذّات نفسها أو المرسل نفسه أو غيرهما، والمرسل إليه هو الذّي يعترف لذات الإنجاز بأنّها قامت بالمهمّة أحسن قيام[3].

فالمرسل هو الذّي يمارس تأثيره على اتّجاه الحركة السّرديّة، فقد يشتدّ الصّراع ويتطلّب دخول المرسل من أجل الوصول إلى حلّ، أما المرسل إليه، فهو المستفيد الأساسي من مسار السّرد.

- **المساعد/المعارض Adjoint/Opposant**

يبدأ البطل برحلة البحث عن موضوع القيمة، وقد يصادفه في ذلك أشخاص أو حيوانات أو أشياء أخرى، يقومون لمساعدته للوصول إلى غايته، أو أنّهم لا يقومون بمساعدته، بل يحاولون عرقلته عن الوصول إلى غايته. وقد أعطت الدّراسات السّيميائيّة أهميّة للمعارض أكثر من المساعد، ذلك أنّ الأوّل يمكن استبداله بالذّات المضادّة، وهي تعمل في برنامج مواز ومقابل للذّات الفاعلة، وعلى هذا الأساس يكاد يسقط المساعد كعنصر أساسي في تداول المعنى[4].

---

[1] - ينظر سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيّات السّردية، ص49.

[2] - عبد المجيد دقباني، دلالات السّيميائيّة السّردية في القصيدة الشّعبية، حيزيه لابن قيطون أنموذجا، الملتقى الدّولي الخامس، منشورات الجامعة 15، 16 نوفمبر، 2008، ص05.

[3] - حميد لحمداني، بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبي، ص35.

[4] - ينظر سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيّات السّردية، ص53.

وضمن هذه المزدوجة الثّالثة للنّموذج العاملي التّي تتكوّن من مساعد/ معارض، يرى "غريماس" أنّها تجسّد علاقة الصّراع، فالعلاقة في تقابل هذا الثّنائي تتأسّس على وجود مجموعتين من الوظائف، تقوم المجموعة الأولى على تقديم المساعدة بالعمل في اتّجاه علاقة الرّغبة، أو تسهيل أمر التّواصل فيما تعمل المجموعة الثّانية على خلق العوائق لتحول دون تحقيق الرّغبة أو حصول التّواصل. ويمكن أن نجمع ما ذكر سابقا في المخطّط التّالي:

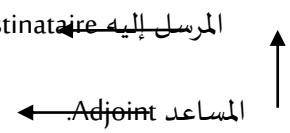

وإذا توسّعنا في حديثنا عن العلاقات، فإنّنا نذكر:

علاقة الرّغبة Relation de dèsir: وتجمع هذه العلاقة بين عاملين أساسيّين في النّص، بين من يرغب في الموضوع المتمثّل في الذّات sujet، وما هو مرغوب فيه الموضوع objet فلا فاعل بدون موضوع والعكس صحيح، فكلّ طرف يستدعي حضور الآخر.

فهذه العلاقة بين الذّات والموضوع توجد في أساس الملفوظات السّردية البسيطة Les ènoncès èlèmentaires narratifs، وهكذا يكون من بين ملفوظات الحالة Les ènoncès d'ètat ذات يسمّيها هنا ذات الحالة Sujet d'ètat، وهذه الذّات إمّا أن تكون في حالة اتّصال ٨، أو في حالة انفصال ٧ عن الموضوع.

ففي حالة الاتّصال ètat de conjunction تكون الذّات ترغب في الانفصال، أو يمكن القول إنّ الذّات هنا تسير على نفس الوتيرة مع النّمط الدّلالي الموضوع بحيث لا يتأثّر الفاعل بأداء المعارض، وفي حالة الانفصال stat de disjunction يحدث انقطاع بين الفاعل والموضوع يجعل الذّات ترغب في الاتّصال بالموضوع[1].

علاقة التّواصل Relation de communication: علاقة التّواصل بين المرسل والمرسل إليه، تمرّ بالضّرورة عبر علاقة الرّغبة (الذّات والموضوع)، فالموضوع هو فاتح قناة التّواصل بين المرسل والمرسل إليه.

علاقة الصّراع Relation de luttre: تحدث هذه العلاقة بين المعارض والمساعد، ففحوى هذه العلاقة إمّا منع حصول العلاقتين السّابقتين (تعليل عمل الذّات)، أو العمل على تحقيقها، ففي هذه العلاقة يتعارض عاملان أحدهما يقف إلى جانب الذّات (المساعد)، والثّاني يتعارض مع الأوّل فيعمل على عرقلة عمل كلّ من الذّات والمساعد في الوصول إلى الموضوع.

والعامل هو الوظيفة حسب تعبير "فلاديمير بروب"، كما ذهب "غريماس" للتّمييز بين الفواعل أو العوامل Les actants، وبين القائمين بالفعل أو الممثّلين Les acteurs، كما وضّح "السّعيد بوطاجين" أن غريماس في كتابه

[1] - ينظر حميد لحمداني، بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبي، ص34.

"السّيمياء السّردية والنّصية" في مقاله الموسوم: العوامل، الممثّلون، الأدوار، ضبط كيفيّة اشتغال العوامل بالإضافة إلى أنّه تطرّق إلى شرح عمل الذّات وفق ما اقترحه غريماس[1].

وقد حاول "غريماس" أن يعطي الشّخصية مفهوما أبعد وأوسع ممّا هي عليه عند "بروب"، فأطلق عليها اسم العوامل، وعلى أساس ذلك قسّمها على مستويين[2]: أحدهما مستوى عام لا يهتم بذات الشّخصية المنجزة، بل يهتم بدورها الذّي تقوم به كفعل الموت أو الدّهر...

ثانيهما مستوى تمثيلي (خاص) تتّخذ فيه الشّخصية دورا عامليّا أو عدّة أدوار عامليّة، هذه الأدوار تتوزّع عبر النّص في علاقات تسهم في الكشف عن المعنى عبرها، ممّا يخلق إمكانية الانتقال من البنية السّطحيّة إلى البنية العميقة.

- **الشّخصية / العامل في الرّواية:**

لقد تعاملت المناهج النّقدية مع الشّخصيّة في النّص السّردي من خلال "دالّ يمثّلها ويعينها على امتداد النّصّ، دالّ متقطّع عبارة عن مجموعة مبعثرة من السّمات يمكن أن نطلق عليها اسم البطاقة، تحدّد المميّزات العامّة لهذه البطاقة الاختيارات الجماليّة للكاتب"[3]، وتظهر هذه الاختيارات على المستوى السّطحيّ في بناء تمثيليّ مجسّد من خلال ذوات وأفعال، لذلك نجد الكاتب يختار تقنيات عديدة تكون خاضعة لمبدأ السّببية والمنطق، فيتّخذ لهذه الشّخصيّة دالّا خاصّا يعبّر من خلال مدلوله عن رسالته وعن القيم التّي يسعى إلى بثّها في بنائه للرّواية (موضوع القيمة).

ومن بين ما يقدّمه هو من دوال بشرط أن تكون مناسبة، وهذه الدّوال يمكن أن تكون عبارة عن أسماء علم أو إشارات، فالشّخصيّات حسب تعبير "حميد لحمداني" "تكون بمثابة دالّ من حيث إنّها تتّخذ أسماء أو صفات تلخّص هويّتها"[4]... ينفتح نص الرّواية على تنوّع في المادّة الصّوتية المشكّلة لشخصيّات الرّواية، والتّي تخضع للسّمات الدّلاليّة والجماليّة التّي يختارها الكاتب، وهذه المادة الصّوتية تتّخذ لنفسها دلالة من خلال ما يهبه لها السّياق.

والشّخصية في الرّواية علامة تحمل دالّا يشكّل أحد "المحوّلات الأساسيّة التّي تنقل الشّخصيّة عبر حركيّة القص من مستوى البياض الدّلالي، إلى مستوى التّعيين والتّمييز عن باقي الشّخصيّات الأخرى"[5]. والدّال عبارة عن مجموعة متناثرة من الإشارات التّي يمكن تسميتها سمته، بشرط أن تكون الخصائص العامّة لهذه السّمة تتحدّد في جزء هامّ

[1] - ينظر السّعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي -دراسة سيميائيّة- "غدا يوم جديد" لعبد الحميد بن هدّوقة، منشورات الاختلاف، ط1، دت، ص15.

[2] - حميد لحمداني، بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبي، ص52.

[3] - رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السّيميائي، ص133.

[4] - المرجع السّابق، ص51.

[5] - المرجع السّابق، ص112.

منها[1]، وكأنّ هذا الدّال عقد يتمّ إبرامه بين النّص والقارئ "لأنّ ديمومة هذا الدّال وتواليه على مستوى الخطاب هو شرط أساسي ومهمّ لضمان انسجام النّص ومقروئيّته"[2]، هذا ما يدفع غالبا الكاتب إلى التّنويع في اختيار أسماء الشّخصيّات، لأنّها بمثابة الهويّة التّي يعطيها لعمله السّردي، فهو يسهم بشكل كبير في تحديد السّمة الدّلالية للشّخصيّة.

تتحقّق الشّخصيّة في الرّواية كبناء مكتمل الدّلالة من مجموع الحمولات السّرديّة، التّي تتوظّف في علاقتها مع طبيعة بنية هذه الشّخصيّة، ذلك أنّ الشّخصيّة تتميّز بالفراغ الدّلالي، حيث تحيل إلى معاني سابقة، وفي هذا يقول "فيليب هامون": "إنّ السّمة الدّلاليّة للشّخصيّة ليست ساكنة، ومعطاة بشكل قبليّ، يتعيّن علينا فقط أن نتعرّف عليها، ولكنّها بناء يتمّ عبر زمن القراءة، زمن المغامرة الخياليّة، إنّها شكل فارغ تقوم المحمولات المختلفة بملئها (الأفعال والصّفات)، إنّ الشّخصيات هي دائما وليدة مساهمة الأثر السّياسي... وبناء يقوم به القارئ"[3].

فالشّخصية/العلامة محكومة بالسّياق النّصيّ العام الذّي يتمظهر عبر مستوى قرائي منتج، لذلك فهو يتباين والسّياق المسبّق المحدّد سلفا، خاصّة إذ ما تعلّق الأمر بعلامة الشّخصيّة المرجعيّة. ويكون مدلول الشّخصيّة أو قيمتها، مفهوم "دي سوسير" لا يتشكّل فقط من خلال موقعها داخل العمل السّردي (فعلها)، ولكن من خلال شبكة علائقية تنسجها مع بقية الشّخصيات الأخرى، أو بالأحرى فإنّها تدخل في علاقات مع وحدات من مستوى أدنى (بنية الممثّلين)، أو وحدات من مستوى أعلى (بنية العوامل).

لا تكتمل الشّخصيّة دلاليّا إلّا بواسطة تجميع القارئ لمختلف المحمولات السّرديّة التّي تتخلّل حركيّة وصيرورة الحدث، و"بذلك تبقى رهينة هذه المعاني والوحدات الدّلالية الصّغرى، التّي تبدأ ببداية الحكاية وتنتهي بنهايتها"[4]. ففيما يخصّ بنية الممثّلين، فإنّ مستوى التّحليل والوصف يقف عند حدود ما هو معطى من خلال التّجلي النّصي، أي البنية السّطحية، بهدف الكشف عن الأساليب التّي يعتمد عليها الكاتب في التّمييز بين الشّخصيات الرّوائية على مستوى السّرد، حيث يتمّ دراسة الاسم/ الدّال، المواصفات المميزّة، الأدوار الثّيمية، المؤدّية إلى تحديد سلسلة من المحاور الدّلالية[5]. خاصّة أنّ استراتيجية توزيع هذه المحمولات السّردية، لا يقلّ أهميّة عن دورها وفاعليّتها في إنتاجية المستوى الدّلالي.

في تحليل البنية السّطحيّة اكتشفنا التّحولات في البرامج السّردية، والتّي يؤسّس من خلالها المعنى، وفي البنية العميقة ننتقل من التّنظيم الذّي يتحكّم في هذه التّحولات والاختلافات إلى المنطق العميق الذّي يحكم الدّورة الدّلاليّة[6].

---

[1] - ينظر هامون فيليب، سيميولوجيّة الشّخصيات الرّوائية، تر: سعيد بنكراد، تحقيق: عبد الفتّاح كيليطو، دار كرم الله للنّشر والتّوزيع، دط، دت، ص71.

[2] - المرجع نفسه، ص71.

[3] - المرجع نفسه، ص28.

[4] - عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النّص الرّوائي، (مقاربة نظريّة)، مطبعة الأمنية، المغرب، ط1، دت، ص47.

[5] - ينظر المرجع نفسه، ص10.

[6] - ينظر رشيد بن مالك، الأصول اللّسانية والشّكلانيّة للنّظرية السّيميائيّة -مجلة اللّغة والأدب- ع14، 1999، ص133.

وينبغي في البدء تفكيك العناصر الدّالة إلى الخطوط الأساسية الدّنيا، فالبنية تتحدّد بإدراكنا الخلافات التّي تقوم على الأقل بين عنصرين من عناصرها يكونان حاضرين في آن وتربطهما علاقة بشكل أو بآخر.

لأنّ العنصر في تفرّده لا يؤدّي معنى، ولا يملك قيمة دلاليّة، لذا ينبغي أن نربط العنصر بعلاقة مع عنصر آخر لامتلاكهما خاصيّة مشتركة، ومن خلال هذه العلاقة تتجلّى الاختلافات بين العناصر، وهذا الفرق بينهما هو الذّي يولّد المعنى[1]. وهنا نسأل كيف يمكن الوصول إلى عزل هذه المستويات وتحديدها، ثم كيف يمكن وصفها وضبط قواعدها؟! وللإجابة عن هذا التّساؤل، قام غريماس إلى تقسيم النّص إلى مستويين يتفرّع كل واحد منهما إلى قسمين (مستويين) هما: السّطحي والعميق.

وقد لجأ غريماس إلى إخراج آليات مختلفة تسهّل الانتقال بين المستويين نذكر منها **السيمات** Sèmes بعدها الوحدات الدّنيا للمعنى تقسّم إلى صنفين: سمات نوويّة Sèmes nuclèaire، سيمات سياقيّة Classèmes. هذه السّيمات يمكن تجميعها وتصنيفها وفق نظائر، هذه النّظائر هي التّي تضمن تجانس الخطاب، والنّظائر نوعان: نظائر دلاليّة Isotopies Sèmantiques تتحكّم فيها السّيمات السّياقيّة. نظائر سيميائيّة Isotopies Sèmiologique تتحكّم فيها السّيمات النّوويّة[2].

لكنّ الخطاب السّردي والخطاب اللّغوي عامّة، يخضع كما هو معروف لمبدأ "الخطيّة"، فهو ليس فضاء منبسطا يتجلّى كما تتجلّى لوحة مرسومة مرة واحدة من جميع زواياها، إنّما تتوالى الملفوظات فيه تواليا سياقيّا، ممّا يستوجب تحريك المربّع وبعث الحياة فيه. وقد عبّر "أمبرتو إيكو" عن هذا التّرابط التّوليدي، بأنّ "السّيميم" Sèmème، يجب أن يمثّل أمامنا باعتباره تعليمة موجّهة إلى النّصّ، أو أنّها نصّ ممكن.

ولن يكون هذا النّص سوى وجه مفصّل لهذا "السّيميم"، إذ أنّ "النّصّ الممكن يكون ماثلا فعليّا بصورة كامنة في الطّيف الموسوعي الذّي تعمل على تكوينه الميسومات"[3]. ولعلّ هذا ينطبق على النّص باعتباره يملك خصوصيّة تميّزه عن بقيّة النّصوص، في محوريه الأفقي والعمّودي، الذّي يتناول البنية العميقة له التّي تسمح بكشف بعده التّاريخي بما يحمله من قيم ومعتقدات وذوق ومشاعر وأخلاق.

إنّ البنية العميقة تهتمّ بالبنيات الصّغرى للدّلالة، ويعني هذا أنّ البنية العميقة تدرس السّيمات الدّلاليّة، والسّيمات السّيميولوجيّة، ومختلف التّشاكلات الدّلالية والسّيميولوجيّة، وكذلك المربّع السّيميائيّ، وإذا كانت البنية السّطحية تعنى بما يطفو فوق النّص، فإنّ البنية العميقة تهتمّ بما يقع تحت النّص.

- **سيمياء الزّمن:**

[1] - ينظر رشيد بن مالك، الأصول اللّسانية والشّكلانيّة للنّظرية السّيميائيّة، ص142.

[2] - ينظر المرجع نفسه، ص134.

[3] - إمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التّعاضد التّأويلي في النّصوص الحكائيّة)، تر: أنطوان أبو زيد، ص21.

اهتمّ البحث السّيميائي بالزّمن بوصفه أحد البنيات المكوّنة للخطاب السّرديّ، فوجّه السّيميائيّون اهتمامهم حول وضع تعريف له وطريقة لقياسه، ومن المهتمّين به النّاقد "جيرار جينيت" الذّي بنى نظريّته السّيميائيّة على التّمييز بين زمن الحكاية وزمن الشيء المحكي والمفارقة الزّمنيّة، ونجد الاهتمام كذلك عند النّاقد "تودوروف"، فقسّم الزّمن على زمن داخليّ ويعني به زمن الحكاية، وزمن خارجي ويعني به زمن الكاتب وزمن القراءة[1].

- **سيميائيّة المكان:**

المكان من أهمّ المكوّنات التّي تشكّل بنية الخطاب الأدبي، حيث يستحيل علينا تصوّر العمل الرّوائي دون مكان تسير فيه أحداثه، فهو بمثابة العنصر الفعّال الذّي تتجسّد فيه أحداث هذا العمل. فهو يشكّل في العمل السّردي حيّزا لا يمكن إنكاره لأنّ كلّا من الشّخصيّات والأحداث تشهد له بهذا الوجود، فتمنحه دلالات لا متناهية، فهو يرتبط بأركان العمل فتتجسّد أبعاده الدّلاليّة التّي تحقّق جماليّته الرّوائية، إذ نجده فيها غير محدّد في منطقة أو رقعة جغرافية معيّنة.

تهتم السّيميائيّة بالظّروف المولّدة للمعنى بحركيّته وبصيرورته في النّص، فالمعنى ليس ثابتا بل هو قابل للتّغيير لأنّه رهين ديمومة النّص، وفي هذا النّطاق تصوّر "غريماس" المربّع السّيميائي لشكلنة المعنى من خلال علاقات الاختلاف والتّقابل القائمة بين الوحدات الدّالة...

المربّع السّيميائي لبنة ضمن التّحليل السّيميائي الذّي يصبو إلى تقديم إجابة حول السّؤال الثّاني: كيف يقول النّص ما قاله؟، فهو يساعد على "تمثيل العلاقات التّي تقام بين الوحدات من أجل إنتاج الدّلالات التّي يقدّمها النّص للقرّاء"[2]. ذهب "غريماس" إلى إقامة المربّع السّيميائي انطلاقا من فكرة أنّ "جذور الدّلالة لا تمرّ بإنتاج الملفوظات وعلاقاتها بالخطاب بل هي موصولة في خطابها بالبنيات السّردية المنتجة للخطاب الممفصل إلى ملفوظات"[3]، فالبنية العميقة هي النّاتجة لمستويات البنية السّطحيّة (المكوّن السّرديّ والمكوّن الصّوري الخطابيّ).

أي هناك بنية دلالية عميقة منظّمة، تتمظهر عبرها العمليّات. فالمعنى عند "غريماس" "يقوم على أساس اختلافي (...) فتحديده لا يتمّ إلّا بمقابلته بضدّه وفق علاقة ثنائيّة متقابلة"[4]. ثم إنّ المربّع السّيميائي في الأصل يعمل في البنية العميقة على توجيه العلاقات وضبطها بشكل منطقي بين تلك الوحدات المعنويّة الصّغرى Les unitès minimales de la significations، حيث "يظهر وكأنّه شكل عام لتنظيم المضامين على محور القيم النّقيضة"[5]. هذا المربّع يصلح أن

[1] - ينظر تزفيتان تودروف: مفاهيم سرديّة، تر: عبد الرّحمن مزيان، منشورات الاختلاف، ط1، 2005، ص112.

[2] - Groupe d'entrevernes, analyse sèmiotique des textes introduction thèorique -pratique, p132.

[3] - A.J.Greimas, Sèmantique structurale, p159.

[4] - فيصل الأحمر، معجم السّيميائيّات، الدّار العربية للعلم، ناشرون منشورات الاختلاف، ط1، 2010، ص229.

[5] - A.J.Greimas, Sèmantique structurale, p212.

يطبّق على كلّ الأشكال التّعبيريّة السّرديّة وغير السّرديّة، فهو أداة فعّالة حيث "يمثّل بنية عميقة ثابتة، ومنطقيّة لأي منظومة دلاليّة مهما كانت أدوات التّعبير مختلفة"[1].

إنّ الاهتمام بالسّرد بوصفه شكلا تعبيريّا وفعلا إبداعيّا يسمح بمعالجة الظّواهر الإنسانيّة، والإجابة عن معظم الإشكاليّات التّي تطرحها الأجناس الأدبيّة وغير الأدبيّة والخطابات السّرديّة. ولمّا كانت النّصوص الأدبيّة في جوهرها متعدّدة الدّلالات والإيحاءات، فإنّ تحليل البناء السّردي في أيّ نصّ أدبيّ يتمثّل في إبراز القيم الجماليّة لهذا العمل.

المحاضرة رقم 14: إشكاليّة المنهج السّيميائيّ في ضوء تحليل الخطاب الأدبيّ عامة والرّوائي الجزائريّ خاصّة..

شهد النّقد الرّوائيّ الجزائريّ تحوّلات عديدة، حيث أسهم العديد من النّقاد في تحديث الخطاب النّقدي، من خلال الانفتاح على مستجدّات النّقد الغربي من مناهج وآليات إجرائية في مقاربة النّص، ومن بينها السّيميائية... ومن خلال هذه المقاربة تم عرض أسئلة المنهج المتعدّدة، والإشكالات النّاتجة عن ذلك.

وإنّ النّاظر اليوم في مسير المناهج النّقديّة الحديثة يلاحظ إنّنا نلاحق هذه المناهج ونرتبط بها بكلّ ما تحمله من جانب معرفيّ وتصوّريّ، ويتمّ هذا بتطبيق هذه المناهج والسّير على منوالها وترجمتها وعرض مصطلحاتها، فيكون ذلك الاختلاف بين النّقاد العرب المحدثين أساسه البعد المنهجيّ، والمصدر الذّي يستقي منه هذا النّاقد نظرته.

وهذا الوضع يجعلنا نطرح بعض الأسئلة من أجل بناء تصوّر منهجيّ من القضايا العميقة التّي تثير قلقا نقديّا ومعرفيّا، ومن بينها: هل وظّف المنهج لخدمة النّص أم لخدمة النّاقد؟ وهل استطاع النّاقد الجزائري توظيف المنهج النّقدي عامّة والسّيميائيّ خاصّة في مقاربة النّص والكشف عن جماليّته؟ وهل لدينا منهجيّة ومنهج واضح في إتّباع المنهج النّقدي؟

إنّ الحديث عن المنهج وقضاياه، فضلا عن تطبيقاته على الخطاب النّقدي الجزائري لا يخلو من صعوبة نظرا لارتباطه بالنّظريّة الأدبيّة، ثم علاقته بالنّص الإبداعيّ، وعليه فإنّ المنهج النّقديّ في حقل الأدب يمثّل مجموعة من الطّرق والوسائل والإجراءات التّي يتّخذها النّاقد المحلّل في تحليل النّص الأدبيّ والوقوف على جماليّاته. فهو "يتعلّق بالدّراسة الأدبيّة، وبطرق معالجة القضايا الأدبيّة والنّظر في مظاهر الإبداع الأدبي بأشكاله وتحليلها"[2]، كما يعدّ أيضا "جملة من الأساليب والآليّات الإجرائيّة الصّادرة عن رؤية نظريّة شاملة إلى الإبداع الأدبيّ، والتّي غالبا ما تنبثق عن أساس فلسفيّ أو فكريّ، يستخدمها النّاقد في تحليل النّص وتفسيره، بكيفيّة شاملة"[3]. فلكلّ نظريّة أدبيّة منهج نقدي يتماشى مع خطابها، ووفق آلياتها الإجرائيّة للإحاطة بالنّصّ.

---

[1] - حميد لحمداني، بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبي، ص116.

[2] - صلاح فضل، مناهج النّقد المعاصر، ميريت للنّشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2002، ص11.

[3] - يوسف وغليسي، الخطاب النّقدي عند عبد الملك مرتاض، إصدارات رابطة إبداع الثّقافيّة، دار البشائر للنّشر والاتّصال، الجزائر، دط، 2002، ص24.

كما تمثّل الثّورة المنهجيّة التّي أحدثتها المناهج النّقدية الحديثة حدثا حمل معه سيلا من المصطلحات والمفاهيم النّقدية، فلم يتمكّن النّقاد العرب من تمثّل آفاق هذه الثّورة لاستيعاب هذه المفاهيم، لكون تدفّق هذه النّظريّات والمفاهيم الحديثة بشكل متواصل، فكان المنهج يلي المنهج والنّظرية تلي الأخرى.

وإنّ انفتاح النّقد العربي على المناهج النّقدية الغربيّة، جعل النّاقد العربيّ يشعر بالاضطراب نحو ذلك السّيل المعرفي والمصطلحيّ الذّي صاحب النّظريّات والمناهج الغربية الحديثة، فما كان على النّاقد العربيّ إلّا اللّجوء إلى تلقّي هذه المناهج، فكانت أغلب الدّراسات تفتقد إلى المرونة، فكان النّقاد في تطبيقهم للمناهج الغربيّة يطبّقون المبادئ الجاهزة، ممّا أدّى إلى اضطراب والتباس الخطاب النّقديّ لدى المتلقّي.

وهذا الانفتاح غير المتفاعل على الآخر دون وعي ودون تفكير فيما قد يحويه إنتاجه المعرفيّ والنّقديّ من فكر إيديولوجيّ وفلسفيّ، ممّا أدى إلى نفور المتلقّي من المقاربات النّقديّة المعاصرة للنّصوص الأدبيّة، "فأبرز مظاهر الأزمة التّي يتخبّط فيها الخطاب النّقديّ العربيّ المعاصرة تعود فيما تعود إليه إلى الانفتاح اللّا مشروط الذّي شهدته الدّوائر الفكريّة العربيّة على غيرها من الغرب، دون محاولة لتصفية هذا الوافد من شوائب الانتماء إلى تربته الأصليّة في تربية الثّقافة العربيّة"[1].

لذلك يمكن تلخيص الإشكاليّات المنهجيّة التّي عرفها النّقد العربيّ عامّة، والجزائري خاصّة في الخلفيّات المعرفيّة والفلسفيّة، وكيفيّة تقديمها للقارئ، إذ لاقى النّقاد العرب صعوبة في تقديم هذه المناهج وتنقيتها من الشّوائب المتعلّقة بعمليّة إنتاجها في بيئتها الأصليّة لتلائم بذلك النّصوص الإبداعيّة العربيّة. وسنستشهد في هذا المقام بقول "سعيد يقطين": "منذ بداية احتكاكنا بالغرب على الصّعيد الأدبي ونحن لا نأخذ من النّظريّات والاتّجاهات المختلفة سوى نتائجها، وما فكّرنا قط ... في استلهام الرّوح العلميّة التّي يشتغل بها أصحاب النّظريّات..."[2]

وكانت أزمة النّقد الجزائريّ أكبر نتيجة تلقّي النّقاد الجزائريّين هذه المناهج عن طريق المشرق بواسطة التّرجمة، فبسبب ضعفها وعدم دقّتها وأخذ مواقف ضد المناهج والنّظريات الغربيّة نتيجة النّزعة الإيديولوجيّة، كثر الخلط والغموض في المفاهيم والمقولات والمصطلحات، واختلف النّقاد حول الإجراءات في المنهج الواحد، ممّا حال دون التّلقي السّليم للمفاهيم والنّظريّات النّقديّة. كما زاد في حجم الأزمة التّي يعاني منها النّقد الجزائريّ المعاصر، انحصار الاهتمام بالمناهج النّقديّة المعاصرة على فئة معيّنة من فئات المجتمع وهي فئة الأكاديميّين من طلبة وأساتذة الجامعات، فلم يتم تداولها خارج أسوار الجامعة إلّا نادرا، لظروف اجتماعيّة أو ثقافيّة أو علميّة... ممّا حصر عمليّة تلقّي المناهج النّقدية المعاصرة في نطاق معيّن، ذلك الذّي زاد من تأزّم النّقد الجزائريّ المعاصر والعربيّ عموما.

- **الإشكالات المنهجيّة لتحليل الخطاب الرّوائي الجزائري:**

[1] - عبد الغني بارة، إشكاليّة الحداثة في الخطاب النّقدي العربي المعاصر – مقاربة حواريّة في الأصول المعرفيّة، الهيئة المصريّة للكتاب، دط، 2005، ص135.

[2] - سعيد يقطين، الأدب والمؤسّسة والسّلطة، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، بيروت لبنان، ط1، 2002، ص69.

كثرت المواقف المعادية للخطاب النّقديّ الجزائريّ، كما أدّت إلى الإشادة بالخطاب النّقديّ الحديث، والدّعوة إلى مراجعة المشهد النّقديّ..."وانطلاقا من معطيات الحداثة فإنّه أنّى لنا أن نراجع مناهجنا، كما نراجع أنفسنا من أجل تطعيم رؤيتنا إلى النّص الأدبيّ، كي نعامله معاملة حديثة، ولكن دون أن نفصمه عن الذّوق العربي"[1]. ولكن ليس من السّهل الأخذ بتلك المناهج والوصول إلى خلفيّاتها المعرفيّة المؤسّسة لها، وجهود النّقاد قد ساهمت في تأسيس وعي نقديّ جديد لفت الإنتباه إلى أهميّة تلك المناهج في قراءة النّصوص الإبداعيّة وتحليلها، كما أنّها لعبت دورا كبيرا في تحريك المشهد النّقديّ الجزائريّ. والملاحظ أنّ الخطاب السّيميائيّ كان الأكثر حضورا في المشهد على صعوبة مصطلحاته، ويرجع ذلك في نظرنا للأسباب التّالية:

1. أنّ جلّ الذّين تبنّوا الخطاب السّيميائيّ هم من الذّين درسوا في فرنسا على يد مجموعة من المفكّرين الذّين يعدّون من أقطاب السّيميائيّة الحديثة غريماس، رولان بارت...

2. التّحرّج من الخطاب البنيويّ الذّي وضع النّصّ في قفص النّسق المغلق، فإذا كانت "البنيويّة قد تعلّقت بوهم النّسق المغلق والتّحليل المحايث، فإنّ المقاربات السّيميائيّة استطاعت أن تتجاوز هذه الحدود الضّيقة (...) حيث تمثّلت وظيفته في البحث عن الأنساق السّيميائيّة الدّالة بمستوياتها اللّسانية وغير اللّسانية"[2]...

3. سحر السّيميائيّات بأنّها علم العلوم أو الخطاب الذّي يأخذ من كلّ العلوم، فالملاحظ أنّ السّيميائيّات "ساهمت بقدر كبير في تجديد الوعي النّقدي من خلال إعادة النّظر في طريقة التّعاطى مع قضايا المعنى. ولقد قدّمت في هذا المجال مقترحات هامّة عملت على نقل القراءة النّقديّة من وضع الانطباع والانفعال العرضي الزّائل والكلام الإنشائيّ الذّي يقف عند الوصف المباشر للوقائع النّصيّة، إلى التّحليل المؤسّس معرفيّا وجماليّا"[3].

كما أنّ النّقاد الذّين اهتمّوا بالسّيميائيّات أكّدوا صعوبة الخطاب السّيميائيّ، نظرا لافتقاد النّاقد الجزائريّ للخلفيّات المعرفيّة التّي تقف وراء ذلك الخطاب، فإذا كان الخطاب مستعصي الفهم في لغته الأصليّة، فكيف سيكون بعد ترجمة مصطلحاته وآلياته!... "فإنّ التّرجمة بالشّكل الذّي يتمّ به، وبحكم تعبيرها عن رغبة فرديّة تخضع لميول شخصيّة أكثر ممّا تخضع لفعل معرفيّ جماعيّ. تزيدها غموضا على غموض ولا تفي بالغرض العلمي"[4].

وكان د/ رشيد بن مالك من أكثر النّقاد الجزائريّين استشعارا لصعوبة السّيميائيّات، فقد نبّه إلى ذلك في مواقف كثيرة، فالقارئ "يلقى مشقّة كبيرة في فهمها، وتمثّلها واستصاغتها وفكّ رموزها ومصطلحاتها، فهو يقرأ ويبذل مجهودا كبيرا لتطويق فكرة أو مفهوم. ولفهم ما يترجم إلى اللّغة العربيّة ولكنّه لا يفهم ولا يجد إلى ذلك سبيلا.. وأنّى له أن يتمثّل ما يقرأ وهو يفتقد إلى معرفة المسارات العلميّة التّي قطعتها السّيميائيّة ومفتقد إلى إدراك الفوارق المنهجيّة

[1] - عبد الملك مرتاض، دراسة سيميائيّة تفكيكيّة لقصيدة أين ليلاي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، دط، 1992، ص10.
[2] - يوسف أحمد، القراءة النّسقيّة ومقولاتها النّقديّة، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، دط، 2002، ص22، 23.
[3] - سعيد بنكراد، السّيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزّمن، الدّار البيضاء، دط، 2003، ص07.
[4] - محاضرات الملتقى الثّاني السّيمياء والنّص الأدبي جامعة بسكرة أفريل 2002، ص165.

والمفهوميّة بين هذا المصطلح أو ذاك، هذا التّيار أو ذاك"[1].. وهذا تصريح للقارئ العربيّ بأنّ الخطاب السّيميائيّ يحمل الكثير من التّعقيدات والإشكالات.

- **إشكالات المنهج في الخطاب النّقديّ الجزائريّ:**

كان للنّقد الأدبيّ الجزائريّ نصيبه من تجريب هذه المناهج النّقديّة المعاصرة، بداية من محور الاهتمام بالعمليّة النّقديّة، إلى الآليّات والمفاهيم والمقولات. لكنّ اقتحام النّقاد الجزائريّين المناهج النّقديّة المعاصرة صاحبه إشكاليّات منهجيّة وعوائق في تطبيق المناهج... وسنحاول في هذا الجزء من الدّراسة التّطرق إلى أبرز الإشكاليّات التّي تتعلّق بالمنهج النّقديّ من منظور الخطاب الجزائري. لكن أوّلا لابدّ من إلقاء الضّوء على بعض الإشكالات التّي واجهت النّقد العربيّ في العقود الأخيرة، خاصّة المتعلّقة منها بالمنهج النّقديّ، وذلك لتحديد الأسباب التّي وضعت النّقد العربيّ في تلك الوضعيّة المتأزّمة.

أ- هيمنة النّموذج الغربيّ والنّزعة الإيديولوجيّة وغياب الرّؤية النّقديّة العربيّة:

غلبت الدّراسات في الخطاب النّقديّ الجزائريّ الاهتمام بالجانب النّظريّ على حساب الإجرائيّ، حيث شهدت كثيرا من التّأليف والتّرجمة لكثير من أعمال النّقاد الغربيّين للتّعريف بمناهج هذا النّقد ونظريّاته. ورغم الجهود المتواصلة في إثراء النّقد العربي المعاصر، فإنّ المثاقفة النّقديّة العربيّة للنّقد الغربيّ المعاصر، لم يكسب النّقد العربيّ رؤية خاصّة تلائم خصوصيّة الفكر العربيّ، وإنّما ظلّت الممارسة النّقديّة العربيّة المعاصرة تحت تأثير النّقد الغربيّ، وهذا ما أحدث هيمنة للنّموذج الغربيّ.

فلم يتحقّق جرّاء جهود التّأليف والتّرجمة الإحاطة بمناهج النّقد الغربيّ... "وإنّما آلت في نهاية المطاف -حسب السّيد بحراوي- إلى خلل وتضارب في ترجمة المصطلحات إلى تناقض في فهم الجمل وقصور في فهم الخلفيّة التّي تنطلق منها المقولات (...) وكلّ هذا أوقع القارئ العربي الذّي لا يجيد الاطّلاع على اللّغات الأصليّة المنقول عنها..."[2]. وهذا ما أوقع النّقد العربيّ المعاصر في أزمة منهج منبعها النّقص المعرفي بهذه المناهج، الذّي أوقع النّصّ الأدبيّ العربيّ تحت مجهر هذه المناهج الغربيّة بسياقاتها ومقاصدها وخلفيّاتها.

وإنّ أيّ تفكير للخروج من هذه الأزمة مرهون بمدى وعينا بإشكاليّات النّقد العربيّ للوعي بخصوصيّاته، وذلك لبلورة منهج نقديّ له كيانه الثّقافي ومرجعيّته الخاصّة، ومفاهيمه ومقولاته التّي تتلاءم وإبداعنا. في إطار وعي علميّ ينفتح ويتفاعل مع الآخر بشروط، مع التّركيز على البحث والنّظر والتّقصيّ في نقل أو ترجمة معطيات ومفاهيم وثقافة الآخر، وكلّ ما تتضمّنه منجزاته المعرفيّة، ومعرفة معطيات هذه الثّقافة، "لكلّ ثقافة منطقها المتحكّم بها، وإنّ انتقال المعارف من نظام ثقافيّ إلى الآخر بدون استيعاب الظّرفيّة التّاريخيّة والإبستمولوجيّة التّي أنتجت هذه المعارف يفضي إلى انفصام بين الفكر وسياقه الواقعيّ...

---

[1] - جان كلود كوكي، السّيميائية مدرسة باريس، تر: رشيد بن مالك، دار الغرب للنّشر، دط، دت، ص05، 06.

[2] - عبد القادر طالب، النّقد العربي المعاصر والانفتاح على الآخر، الملتقى الوطني حول إشكاليّة المنهج في النّقد العربي المعاصر، جامعة حمّة لخضر، الوادي، الجزائر، نوفمبر 2016، ص01.

فلكلّ ثقافة حقلها المعرفيّ الخاص يتعلّق بمدلول المفاهيم مهما كانت أسبابها، وعلل وجودها"[1]. فلابدّ من الوقوف عند خلفيّة هذه الثّقافات وفهم معارفها، لتمييز حدود الإفادة من معالمها، وتجنّب المقاربات المتعسّفة للنّص الأدبيّ التّي تتّكئ عادة على نظريّات ومناهج الآخر فتجعل النّاقد مسلوب الاختيار لإنتاج منهج وإجراء يوافقان نسقه اللّغويّ، ما يولّد عنده "الشّعور بالعجز وغياب القدرة على تقديم الإجابات الحقيقيّة عن أسئلة الظّاهرة الأدبيّة"[2]، وهنا بالضّرورة يحدث غياب أو قصور في الرّؤية النّقديّة العربيّة.

ولم يسلم النّقاد الجزائريّون من تلك النّزعة الإيديولوجيّة في تحليلاتهم، حيث سيطرت هذه النّزعة على الكتابة لفترة من الزّمن، حيث "تشابك الدّيني مع الإيديولوجيّ في المتن الرّوائيّ الجزائريّ عند العديد من كتاب الرّواية، بل إنّه هيمن عند البعض، ومنهم الطّاهر وطّار... الذّي لا تكاد تخلو رواية من رواياته القديمة والجديدة من هذا التّشابك والتّداخل بدءا من اللّاز إلى الولي الطّاهر يرفع يديه بالدّعاء"[3].

لقد هيمنت النّزعة الإيديولوجيّة على الخطاب النّقدي الجزائريّ، كما تمّ ربط الكتابة النّقديّة الحديثة والواقع الغربي، "فالواقع العربيّ يصل اليوم إلى الحال الذّي تعجز معه أيّ بلاغة عن وصفه، في انفجار المكبوت الطّائفي، وديكتاتوريّة التّخلف الحضاريّ، ومراهنات الدّم الوطن"[4].

فالنّاقد من خلال كلامه المحمّل بالتّوجّهات الإيديولوجيّة يرى أنّ المناهج الحديثة في النّقد ماهي إلا غزو ثقافيّ يحاول الغرب من خلاله تكريس سلطانه بمنطق القوّة الاستدماريّة، "والتّي عملت قرون طويلة على تدمير الوجود الفعليّ للثّقافات الأخرى، وأعادت صياغتها ضمن منظور غربيّ، سواء كان ليبراليا أو ماركسيا، أو لا شيء"[5].

ثمّ يتساءل النّاقد عن الأزمة التّي يعيشها العربيّ الإسلاميّ قائلا: "هل بلغ الواقع العربيّ – الإسلاميّ درجة متقدّمة من التّطور، ونجده اليوم يتراجع عن ذلك، وبالتّالي يمكن وصفه بواقع الأزمة؟"[6]. وبهذا يمكن الإقرار أنّ هيمنة النّموذج الغربيّ والنّزعة الإيديولوجيّة على دراسات النّقاد ومقارباتهم للأعمال في ضوء المناهج النّقديّة الحديثة -كان واضحا وجليّا- وهذا ما غيّب الرّؤية النّقديّة العربيّة في تحليل الخطاب الجزائريّ خاصّة والعربيّ عامّة.

ب- الوعي بإشكاليّة المصطلح واللّغة:

تكرّر التّساؤل حول إشكاليّة المصطلح واللّغة في النّقد العربيّ المعاصر، حيث حضي المصطلح النّقديّ في العصر الحديث باهتمام بالغ، بعدّه مرتكزا أساسيّا يقوم عليه المنهج النّقديّ المتكوّن أساسيّا من شبكة مصطلحيّة يبني

---

[1] - عبد القادر طالب، النّقد العربي المعاصر والانفتاح على الآخر، ص02.

[2] - المرجع نفسه، ص08.

[3] - محمد الصّالح خرفي، في عوالم النّص – دراسات نقديّة، دار الأمير خالد، الجزائر، دط، 2014، ص93.

[4] - إبراهيم رمّاني، أسئلة الكتابة النّقديّة، قراءات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسّسة الجزائريّة للطّباعة، المجاهد الأسبوعي، الجزائر، دط، 1992، ص11.

[5] - المرجع نفسه، ص18.

[6] - المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

عليها جهازه الاصطلاحيّ. وعليه لا وجود للمنهج النّقديّ دون تحديد المصطلحات النّقديّة الخاصّة به، فالمتأمّل لواقع الخطاب النّقديّ يلاحظ فوضى مصطلحيّة انفتحت على المناهج النّقديّة الغربيّة، وهذا ما صنع إشكاليّة متعلّقة بآليّات صياغة المصطلح ووظائفه.

يمثّل المصطلح النّقديّ أساس الخطاب النّقديّ، وهو ما يركّز النّاقد على تقديمه من خلال تصوّر معرفيّ، وكلّ تصوّر معرفيّ خال من الدّلالة، ولا يتمّ التّفاعل الحقيقيّ معه، لا يمكن أن يقدّم إضافة جديدة ذات قيمة معرفيّة وعلميّة، لذلك فإنّ النّاقد إذا نقل تصوّرا معرفيّا اهتمّ بمصطلحيّته. ونقصد بالتّفاعل هو تلك العمليّات الفكريّة التّي يقوم بها النّاقد عندما يقوم بتحليل تلك المفاهيم، وذلك انطلاقا من مرجعيّته الفكريّة والثّقافيّة، بالإضافة إلى بيئته الثّقافيّة التّي لها خصوصيّتها. كما أنّ تحقيق حداثة المنهج يكون بنقل المفاهيم الغربيّة المعاصرة دون وعي وتحليل - وهذا ما يؤكّد عدم وضوحها وتداخل معانيها بالنّسبة إلينا على الأقل.

ويمكن القول إنّ المصطلحات المتداولة في السّاحة النّقديّة العربيّة لم تعرف الاستقرار بعد، فهي في مرحلة التّجريب كما تعاني من كثير من الاضطراب والفوضى. ويمكن أن يظهر ذلك جليّا في ظاهرة تعدّد التّرجمات العربيّة - مثلا- لمصطلح أجنبيّ واحد. فإليك مثلا مصطلح Sémiotique و Sémiologie، الذّي ترجم بستّ وثلاثين مصطلحا. أو مثلا مصطلح Poétique الذّي ترجم بإثنين وثلاثين مصطلحا. وأيضا مصطلح Linguistique بأربعة وعشرين مصطلحا.

كما تأسّف النّقاد على الاختلاف الاصطلاحي العربيّ الكبير، رغم أنّ الدّلالة اللّغويّة للإصطلاح هي الاتّفاق.. فلابدّ على النّاقد العربيّ المعاصر التّصالح مع ذاته -أوّلا- ثمّ التّفكير في التّنسيق الاصطلاحيّ، حيث شهدنا أنّ بعض الباحثين يقترح مصطلحا معيّنا ثم ينبذه ولا يبقى وفيّا له، لذلك يمكن القول إنّ أزمة المصطلح النّقديّ نتجت من الفوضى التّي يعيشها التّأليف والتّرجمة، وكذا ثقافة المؤلّفين أو الباحثين وهم ثلاثة أنواع:[1]

- الأوّل: ذو ثقافة أجنبيّة يقرأ الأدب ونقده باللّغة الأجنبيّة.
- الثّاني: ذو ثقافة مضطربة يقرأ الأدب الأجنبيّ ونقده بالعربيّة.
- الثّالث: ذو ثقافة عربيّة يأخذ من كل فنّ بطرف.

قد أدّى الاختلاف في الثّقافة إلى وقوع الاختلاف والتّفاوت بين المغرب العربيّ والمشرق، كما أنّ الاختلاف وارد كذلك عند الأوروبيّين أنفسهم في المصطلح ونظرتهم له من خلال ثقافتهم الخاصّة أو مذهبهم الأدبي والنّقديّ... فإليك مثلا مصطلح "الصّورة فهي عند العرب غيرها عند الغربيّين: فهي عند الرّومانسيين مختلفة عن الرّمزيين، كما تختلف عند السّرياليين وكلّ مرّة تأخذ تعريفا خاصّا، أبرز التّعريفات أنّها "إعادة إنتاج عقليّة، ذكرى لتجربة عاطفيّة أو

[1] - أحمد مطلوب، في المصطلح النّقدي، منشورات المجمّع العلمي، بغداد، دط، 2002، ص23.

إدراكي غابرة ليست بالضّرورة بصريّة"[1]. فلتحديد مصطلحها واستعماله لابدّ من فهم دلالة "الصّورة" الدّقيقة وفهم الرّوح الأدبيّة التّي كانت سائدة حين ظهرت ألوان تلك "الصّورة".

إضافة إلى ذلك يبرز لنا الاشتراك اللّفظيّ في اللّغة المنقول عنها واختلاف المترجمين عن اللّغات المختلفة، كما يبرز هذا الاشتراك كذلك في اللّغة العربيّة ودلالة المصطلح الواحد على عدّة أشياء. وهنا نستشهد بما قاله الباحث "رشيد بن مالك": "ترجمة المصطلح في الخطاب السّيميائيّ المعاصر تتّسم بالاضطراب الذّي يحول دون بثّ وتلقّي الرّسالة العلميّة، ويؤدّي في جميع الحالات إلى نسق الأسس التّي ينبغي أن ينبني عليها التّواصل العلميّ"[2].

كما يرى أنّ "فحصا دقيقا للمصطلحيّة المسخّرة في الدّراسات النّقديّة يكشف إلى حدّ هي عميقة حالة الفوضى والتّذبذب، لأنّ هذا الاضطراب المصطلحيّ الذّي يعدّ السّمة الغالبة في البحوث النّقدية صادر عن الشّرع في تبنّي هذا التّيار أو ذاك، وعن غياب رغبة حقيقيّة في تمثّل وفهم جوهر السّؤال"[3]. كما لاحظ الباحث "وهب روميّة" هذه الظّاهرة المرضية للنّقد العربيّ الجديد، ومن التّوظيف الاصطلاحيّ المضطرب، حيث غدا "الاضطراب في استخدام المصطلح النّقديّ آفة فاشلة يعاني منها النّقد العربيّ المعاصر معاناة قاسية"[4].

وقد سعى الباحثون لتقديم مقترحات متعلّقة بحلّ إشكاليّة المصطلح[5]، أجمعت معظمها على وضع معجم اصطلاحيّ خاص بمصطلحات النّقد الأدبيّ، يوحّد الجهود الفرديّة والجماعيّة، ويضع قواسم مشتركة ومقبولة من قبل المترجمين والباحثين والنّقاد العرب. والتّأكيد على أنّ مهمّة الباحث العربي الحديث لا تقتصر على عمليّة ترجمة المصطلح الأجنبيّ، وإنّما تتعدّى ذلك إلى عمليّة وضع المصطلح الجديد..

السّعي لحلّ الإشكال النّاجم أيضا عن ترجمة المصطلح من عدد من اللّغات الأجنبيّة الأصليّة، وذلك عن طريق عمل جماعيّ مشترك، يعتمد على دلالة المصطلح المعرفيّة... وتبقى العمليّة النّقديّة ذاتيّة الفعل تفتقد للمتابعة والوصاية، ولابدّ من الإشارة إلى الجهود المعتبرة لنقّادنا الجزائريّين في تحليل الخطاب النّقديّ الجزائريّ، ونذكر منهم "رشيد بن مالك" في قاموسه مصطلحات التّحليل السّيميائيّ للنّصوص، و"عبد الرّحمن الحاج صالح" في معجمه المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات، و"يوسف وغليسي" في كتابه إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقديّ العربيّ الجديد.

ويمكن أن نجمع بعض معالم النّقد الجزائريّ مع جيل الرّواد ك"عبد الله الركيبي" و"محمّد مصايف" و"صالح خرفي" حيث بدأ النّقد الجزائري تقليديّا وكلاسيكيّا، ثم سياقيّا مع "واسيني الأعرج" و"محمّد ساري" و"عبد الملك

---

[1] - أحمد مطلوب، في المصطلح النّقدي، ص24.

[2] - رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائيّات السّرديّة، ص72.

[3] - المرجع نفسه، ص71.

[4] - وهب أحمد روميّة، شعرنا القديم والنّقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، دط، 1996، ص10.

[5] - للتّوسع أكثر في المقترحات، يراجع: إبراهيم أحمد ملحم، الخطاب النّقدي وقراءة التّراث نحو قراءة تكامليّة، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط1، 2007، ص171، 172.

مرتاض" وغيرهم، ونسقيّا مع "رشيد بن مالك" و"يوسف وغليسي" و"أحمد يوسف"، و"عبد القادر فيدوح" و"السّعيد بوطاجين"، و"عبد الملك مرتاض" أيضا وغيرهم... للوقوف عند جماليات النّص الأدبيّ وتحليل الخطاب النّقديّ الجزائريّ.

ومن هذه الدّراسات وتلك تبرز إشكاليّة أخرى، وهي إشكاليّة "اللّغة"، والتّي تتسبّب في غموض الرّؤية واضطرابها، وفي هذا الصّدد تناول "واسيني الأعرج" مشكلة اللّغة العربيّة برؤية معاصرة طرح من خلالها قضايا تمسّ الرّكائز القوميّة الجزائريّة[1]، ومن هنا تبيّنت إشكاليّات أخرى كالكتابة باللّغة الفرنسيّة، وماهية الأدب الجزائريّ المكتوب باللّغة الفرنسيّة. ما شكّل أزمات أخرى كالهويّة مثلا.

ومهما شكّلت اللّغة من إشكاليّات واختلفت، فهذا التّعدد والاختلاف في حدّ ذاته يمثّل ثراء للأدب الجزائريّ، وما على النّقاد إلّا مجاراة هذا التّنوع رغم صعوبة المهمّة، ولا يكون ذلك إلّا بمحاولة تقبّل الآخر والاستفادة من المفاهيم النّقديّة الحديثة.

- **إشكالات تطبيق المنهج في الخطاب النّقديّ الجزائريّ:**

بعد تحديد بعض إشكالات المنهج في الخطاب النّقديّ الجزائريّ، والوقوف عند بعض النّقاد الجزائريّين الذّين صالوا وجالوا في مجال النّقد، فسال حبرهم في مقاربتهم للخطاب الجزائريّ. قد تبيّنت هيمنة النّموذج الغربيّ، والنّزعة الإيديولوجيّة في أعمال النّقاد في ضوء المناهج النّقديّة المعاصرة، وهذا ما حدّد غياب الرّؤية النّقديّة العربيّة. كما أنّ الوعي بإشكاليّة المصطلح وماهيّته وترجمته واللّغة المنقول بها أو المختارة، كان من عوامل ميلاد إشكاليّات أخرى مسّت الخطاب النّقديّ الجزائريّ.

وسنحاول في هذا الجزء من الدّراسة التّعرف على أكبر الإشكالات ظهورا في النّقد الجزائريّ المعاصر، والمتعلّقة بتطبيق المنهج في الخطاب النّقديّ الجزائريّ...

أ-المنهج بين الأحاديّة والتّعدديّة وإشكاليّة المنهج المركّب:

بعد تلقّي المناهج الغربيّة بكلّ صعوباتها، عرفت الممارسات النّقديّة العربيّة حالة من التّداخل والتّركيب المنهجيّ، فلا وجود لمنهج شامل، إذ "لا يوجد منهج كامل، مثاليّ، لا يأتيه الضّعف ولا النّقص من بين يديه ولا من خلف، وإذن، فمن التّعصب... منهج واحد على أساس أنّه هو وحده، ولا منهج آخر معه، مجدرة أن يتبع"[2]. وهذا ما جعل النّقاد لا يتقيّدون بإجراءات المنهج وأدواته، فنجد النّاقد "عبد الملك مرتاض" يتبنّى هذه الرّؤية في قوله: "وانطلاقا من حتميّة انعدام الكمال في أي منهج، فإنّنا لا نستنيم، من حيث المبدأ، إلى أيّ منهج إذا، ونجتهد أثناء الممارسة التّطبيقيّة، أن

[1] - للتّوسع في القضايا أكثر، يراجع: واسيني الأعرج، إشكاليّة اللّغات في الجزائر، أزمة الإقصائيّة، مجلّة جسور، الجزائر، العدد 7- 10 جانفي 1991، ص06.

[2] - عبد الملك مرتاض، التّحليل السّيميائي للخطاب الشّعري، ص18.

نضيف ما استطعنا إضافته من أصالة الرّؤية لمنح العمل الأدبيّ الذّي ننجزه شيئا من الشّرعيّة الإبداعيّة، وشيئا من الدّفء الذّاتي، معا"[1].

وممّا زاد في تعميق إشكاليّة المنهج في النّقد العربيّ المعاصر هو ما يطلق عليه التّعدديّة المنهجيّة، وبناء على ذلك برزت عدّة تسميّات لهذا التّركيب بين المناهج منها المنهج المتكامل- المتعدّد... الذّي يحاول الجمع بين كلّ المناهج السّياقيّة والنّسقيّة في التّعامل مع النّصوص، وإنّ "تهجين أيّ منهج أمر ضروري لتكتمل أدواته وليصبح أقدر على العطاء والرّؤية"[2].

وربّما أمكن إرجاع ظاهرة التّعدديّة إلى الاختلاف النّابع من طبيعة النّص الأدبيّ والمفهوم الذّي يمنحه له المنهج، لأنّ "تغاير المناهج واختلاف التّوجّهات النّقديّة في النّصوص الأدبيّة ليس في جوهرهما إلّا اختلافا في تحديد ماهية "النّص" وخصائصه ووظائفه"[3]، كون النّص العنصر البؤري الذّي تنصّب عليه كلّ الجهود، فالإشكال لا يكمن في المنهج في حدّ ذاته بل في درجة الوعي بمنطلقاته، وحسن توظيف أدواته واستخراج مكامن النّص.

ويرى الباحث "ثامر فاضل" نشازا في قراءته لكتاب "تحليل سيميائيّ تفكيكيّ لحكاية حمّال بغداد"، حيث إنّ ذلك جمع لما هو متباين، فمنهج لا حياة فيه لمؤلّفه، ومنهج يفرض هذا المبدع على النّص بتعدّد القراءة، وعن هذا العمل يقول: "دراسة سيميائيّة – تفكيكيّة الواردة هي عنوان لكتاب يبدو عليه النّشاز وعدم التّجانس من الوهلة الأولى وذلك لأنّ السّيميائيّة تعني بنظام العلامات، وتهتمّ بصفة الدّال والمدلول"[4].

أمّا التّفكيكيّة ف"جاك دريدا" نفسه وهو زعيم الاتّجاه التّفكيكي يعلن أنّ قراءاته التّفكيكيّة هي إساءة للقراءة إنّها تحاول أن تفرض استراتيجيّات الإنسان على النّص[5].

يدعو "عبد الملك مرتاض" من خلال ميله إلى هذا التّركيب، إلى تبنّي قراءة حديثة وهي القراءة المركّبة التّي تنهض على جملة الإجراءات التّجريبيّة والاستنتاجيّة، وهو يدافع عن اختياره بقوله: "وقد دأبنا في معاملاتنا مع النّصوص الأدبيّة التّي تناولتها بالقراءة التّحليليّة على السّعي إلى المزاوجة أو المثالثة، أو المرابعة وربّما المخامسة بين طائفة من المستويات باصطناع القراءة المركّبة التّي لا تجتري بإجراء أحاديّ في تحليل لنصوص، لأنّ مثل هذا الإجراء مهما يكن كاملا دقيقا فلن يبلغ من النّص المحلّل كلّ ما فيه"[6].

لم يصرّح "عبد الملك مرتاض" بتبنّيه المنهج التّركيبيّ إلّا في كتابين وهما: "تحليل الخطاب السّرديّ (معالجة تفكيكيّة – سيميائيّة مركّبة لرواية "زقاق المدق")، وكتابه "شعريّة القصيدة قصيدة القراءة (تحليل مركّب لقصيدة

[1] - عبد الملك مرتاض، التّحليل السّيميائي للخطاب الشّعري، ص19.

[2] - المرجع نفسه، ص21.

[3] - نصر حامد أبو زيد، مفهوم النّص، دراسة في علوم القرآن، المركز الثّقافي العربي، لبنان/ المغرب، ط6، 2005، ص19.

[4] - ثامر فاضل، مقاربات النّقاد المعاصرين، كتابات معاصرة، المجلّد 1، العدد 2، أذار 1989، ص27.

[5] - ينظر المرجع نفسه، ص29.

[6] - عبد الملك مرتاض، التّحليل السّيميائي للخطاب الشّعري، ص07.

أشجان يمنيّة). لكنّ الباحث قد اعتمد هذا الإجراء في كتب أخرى، حيث ركّب بين السّيميائيّة التّفكيكيّة في كتابين "أ-ي" و"ألف ليلة وليلة"، والبنيويّة الأسلوبيّة في كتب أخرى مثل "النّصّ الأدبيّ من أين؟ وإلى أين؟ و"بنية الخطاب الشّعريّ".

إنّ مجهودات "مرتاض" في الحركة النّقديّة الجزائريّة لطالما أثمرت في فتح نقاش نقديّ حول اختياراته النّقديّة التّي أحدثت ضجّة نقديّة وفكريّة في السّاحة النّقديّة الجزائريّة، حيث رسمت حدودا للتّركيب المنهجي بما يراعي خصوصيّة الإبداع الجزائريّ والذّي طالما ظلم ذعر تحت حجّة الإجراءات المنهجيّة الصّارمة. والذّي طالما عاش تغييب الحسّ الذّوقي والفنّي ضمن العمليّة الإبداعيّة، في ظلّ النّظريات الحديثة التّي أصبحت تولي للقارئ أهميّة كبيرة في العمليّة النّقديّة.

ب- إشكاليّة الإحصاء، الانطباعيّة والوفاء للأحكام النّقديّة:

من بين ما أدخلته المناهج النّقديّة المعاصرة في النّقد الأدبي في ما يخصّ الجانب الإجرائيّ هو الإحصاء، والذّي لقي جدلا واسعا جرّاء إدخاله للعمليّة النّقديّة... "إجراء موضوعيّ من شأنه أن يمثّل خطوة جبّارة على مسار علمنة المنهج، قد تسدّ فجوات المناهج التّقليديّة التّي أثقلتها الأحكام الانطباعيّة الذّاتيّة وما تمليه الخواطر من رؤى آنيّة ما تلبث أن تتبدّد"[1]. لكن من جهة أخرى لاق إدخال هذه العمليّة في النّقد الأدبيّ نقدا لاذعا، جرّاء ما خلّفته هذه العمليّة على الدّراسة النّقديّة لكونه "مصادرة خطيرة للذّوق النّقديّ الجماليّ، من شأنها أن تحيل النّصّ الأدبيّ إلى ظاهرة علميّة جامدة، أحاديّة التّفسير، وهو - في جوهره - ظاهرة فنيّة كيفيّة ونسبيّة، يستحيل إخضاعها إلى الضّبط الكمّيّ المدقّق"[2].

وهنا نتساءل ما الجدوى من هذه العمليّة الشّاقة التّي يقوم بها النّاقد، وما علاقتها بالمنهج النّقديّ؟ وهنا يرى الباحث "يوسف وغليسي" في هذا الصّدد أنّ "الإحصاء مفتاح منهجيّ مهمّ، قد يعوّض انطباع الخاطر في الإدراك الموضوعيّ لبعض الظّواهر الفنيّة، شريطة ألّا يقف على عتبة الجرد الحسابي المجرّد، بل ينبغي أن يتجاوزها إلى تحديد دلالات ذلك، بما لا يقصي تماما وظيفة الذّوق الجماليّ"[3].

ومن أبرز النّقاد الجزائريّين تطبيقا للإحصاء كإجراء نقديّ نجد "عبد الملك مرتاض"، فالإحصاء عنده يساعد على الحصر والملاحظة الدّقيقة لظاهرة أدبيّة معيّنة، ولكنّه آمن بأنّ الإحصاء لن يكون في كلّ الأحوال صالحا ليمثّل منهجا سليما... وفي هذا يرى الباحث "يوسف وغليسي" أنّ "مرتاض" كان في غنى عنه، وهو ما جعله "من أكثر النّقاد

[1] - يوسف وغليسي، الخطاب النّقدي عند عبد الملك مرتاض، ص103.

[2] - المرجع نفسه، ص103.

[3] - المرجع نفسه، ص104.

المعاصرين كلفا بالإحصاء وتلذّذا به وبنفعيّته، إن لم يكن أكثرهم على الإطلاق، وهو من أكثرهم إفادة منه وسقوطا في أخطائه"[1].

و ما "عبد الملك مرتاض" إلّا واحد من بين النّقاد الجزائريّين الذّين مارسوا العمليّة الإحصائيّة في تطبيقاتهم للمناهج النّقديّة المعاصرة على غرار سامية راجح، عبد الحميد بوزوينة، وعلي ملّاحي، رابح بوحوش... وبهذا يتوضّح حجم الإشكاليّة التّي أدخلتها العمليّة الإحصائيّة في النّقد الأدبيّ، والتّي وقع فيها النّقد الجزائريّ المعاصر.

أما بخصوص الانطباعيّة وإطلاق الأحكام النّقديّة فقد كانت صفة بارزة من صفات النّقد قبل بروز النّظريّات والمناهج النّقديّة الحديثة والمعاصرة، فظلّت مهمّة النّاقد الأدبيّ ملتصقة بالصّيغة ذات طابع الحكم على الآثار الأدبيّة، مهما كانت طبيعة هذا الحكم تقييميّا أو تقويميّا، سالبا أو موجبا، فنيّا أو أخلاقيّا أو إيديولوجيّا، فكانت "للنّاقد الصّلاحيّة القصوى في التّشريع والتّنفيذ بإصدار اللّوائح الصّارمة والأحكام اليقينيّة كيفما كان طابعها أو مصدرها، وقد ظلّ النّاقد في إطار النّظريّة التّقليديّة، دكتاتورا في مملكة الأدب!، وحاكما بأمر الأدباء يفاضل بينهم كيفما يشاء، فيرفع هذا ويضع ذاك، وظلّ (حكم القيمة) تلك العصا السّحريّة التّي تبوئ صاحبها أسمى المراتب، وتثير الرّهبة في نفوس الآخرين (فالعصا لمن عصى)!"[2].

لم يستطع النّقاد الجزائريّون في ممارستهم النّقديّة التّخلي عن الانطباعيّة، فلا تكاد تخلو دراسة نقديّة من تلك الأحكام الانطباعيّة مهما زعم أصحابها بتبنّي مقولات المناهج النّقديّة المعاصرة، التّي جعلت النّاقد مجرّد قارئ، فصار الحقّ له في أن يحلّل ويفسّر ويؤوّل بدون أن يطلق أي حكم، "ولكنّ تطرّفه في الحياد المطلق عن الدّلالة المعياريّة للعمليّة النّقديّة جعل المناهضين لمناهجه الحداثيّة يشكّون – أصلا - في مشروعيّة هذه المناهج وجدواها ويعيرونها انعدام الحاسّة النّقديّة"[3]...

كانت المناهج الغربيّة نتاجا لفلسفات وعقائد وإيديولوجيّات، فهي تمثّل حضارة الآخر، وهذا ما شكّل أولى الإشكاليّات المنهجيّة لتحليل الخطاب الرّوائي العربيّ عامّة، والجزائريّ خاصّة، لما عرفه الباحثون من الغموض وعدم الإدراك لخلفيّاتها المعرفيّة والفلسفيّة. بالإضافة إلى إشكاليّة المصطلح النّقديّ النّاتجة عن فوضى التّرجمة، وغياب الآليات والمؤسّسات العربيّة التّي تتبنّى ترجمة مناسبة وموحّدة لمصطلحات النّقد الغربيّ المعاصر.

كما أدرك النّقاد أنّه لا وجود لمنهج شامل له القدرة على كشف خبايا النّص الأدبيّ، والوقوف عند جماليّاته النّصيّة، وذلك لافتقاره للتقنيّات اللّازمة لمقاربة هذا النّص. والدّليل على ذلك تبنّي الباحث "عبد الملك مرتاض" للتّركيب المنهجيّ في عدّة دراسات نقديّة - وقد سبق ذكرها – كما انتهج نهجه بعض النّقاد العرب المعاصرون.. إضافة إلى هذه الإشكاليّات نذكر النّزعة الإيديولوجيّة وإشكاليّة اللّغة التّي هيمنت على النّقد والإبداع الجزائريّ.

---

[1] - يوسف وغليسي، الخطاب النّقدي عند عبد الملك مرتاض، ص107.

[2] - المرجع نفسه، ص95.

[3] - المرجع نفسه، ص96.

لاحظنا عدم القدرة على بلورة منهج نقديّ يتلاءم وطبيعة الإبداع الجزائريّ، بما يميّزه من خصائص اكتسبها نتيجة مقوّمات وروافد عربيّة وغربيّة ميّزته عن غيره من النّصوص، إلى جانب إشكاليّة المنهج النّقدي، تعظّمت إشكاليّة المصطلح - كما ذكرنا سابقا - نتيجة تعدّد التّرجمة وعدم ملاءمتها أحيانا، ثمّ عدم وجود هيئة مختصّة بالاتّفاق على وضع المصطلح النّقديّ، دون إغفال جهود بعض النّقاد الجزائريّين في هذا المجال. فقد حاول هؤلاء الباحثون الوصول بالنّقد الأدبيّ إلى مصاف العلم، عن طريق ضوابط وآليّات تخرج النّقد من طابع العفويّة والانطباعيّة التّي طالما ميّزت الممارسات النّقديّة، وغيرها من العلوم كالإحصاء والرّسوم البيانيّة التّي أفقدت النّقد والأدب الحسّ الجماليّ.

والعودة إلى الأصول المعرفيّة أمر ضروريّ، لأنّ توفّر تلك الأصول المعرفيّة معناه الضّمان الحقيقي للتّطبيق السّليم للمنهج على الخطاب. فأيّ منهج فكريّ إلّا وله أصول معرفيّة انبثق منها، وكلّنا نعلم بأنّ هناك فرق بين المنهج النّظريّ والمنهج التّطبيقيّ، وأنّ الأوّل يتأسّس من خلال المقولات الفلسفيّة والفكريّة الواعية بحركة الحضارة والثّقافة، وبالإنسان وما يصدر عنه، وبذلك فهو خلاصة جهد فكريّ مكثّف، له أصوله ومصادره التّي تقوم عليها آليّاته ومقاصده.

أمّا الثّاني فوجوده مرتبط بما يوفّره له الأوّل من أدوات إجرائيّة تساعده في تحليل النّصوص الإبداعيّة، وإن كان يحتاج لفهم وتبصّر بتلك الأدوات الإجرائيّة التّي يستعملها. ويترتّب عن ذلك أنّ العلم بالمنهج النّظريّ سابق، والتّطبيقيّ لاحق، وهنا تبرز إشكاليّة معرفة الخلفيّات الخفيّة للخطاب التّنظيريّ وأهميّتها في فهم آليّات بنائه ومقاصد مصطلحاته، وعليه يصبح المنهج التّأسيسيّ ضروريّا. فلا يمكننا إدّعاء معرفة السّيميائيّات ونحن نجهل الأسس المعرفيّة التّي كانت السّبب في وجودها، فالمنهج التّأسيسيّ هو الذّي يكشف عن بواطن التّنظير، ويهيّئ الأرضيّة للتّطبيق النّقديّ الجزائريّ، وبذلك يكشف عن أمور كثيرة كانت غائبة عن الباحثين في الحقل السّيميائيّ.

ونعود ونقول إنّه "لا وجود لمنهج كامل، وكلّ منهج سيظلّ عرضة للنّقص، ولأجل التّقليل من هذا النّقص الذّي يعتري المنهج الواحد، لجأ إلى البحث (عبد الملك مرتاض) عن "منهج مركّب""[1]، محاولا إرساء منهج نقديّ عربيّ بإجراءات مبتكرة، أو موسّعة من لدنه الغرض إثراء النّصّ الأدبيّ والإحاطة بكل جوانبه. داعيا إلى تجديد مناهج النّقد العربيّ القديم والمساهمة في بلورة اتّجاه نقديّ عربيّ هدفه قراءة الأدب العربي قديمه وحديثه، والغاية من وراء لهج "مرتاض" وراء ابتكار منهج أو بالأحرى طرائق منهجيّة مركبّة، هي ميله الشّديد إلى ابتكار مناهج عربيّة تتلاءم وخصوصيّة النّصّ العربيّ، ونأخذ من الحداثة الغربيّة بمقدار لتطوير نفسها وعليه فيظلّ المنهج المبتكر "عربيّ الذّوق، عربيّ الصّقل، عربيّ الإشراقة"[2].

[1] - يوسف وغليسي، الخطاب النّقدي عند عبد الملك مرتاض، ص124.

[2] - عبد الملك مرتاض، التّحليل السّيميائي للخطاب الشّعري، ص17.

إنّ تطبيق الآليّات الإجرائيّة للمناهج على النّصوص الإبداعيّة، تبقى عملية معرفيّة معقّدة تختلف في تقنيّاتها من باحث لآخر حسب قدراته القرائيّة وثقافته النّقديّة، ويبقى النّص الرّوائي غنيّا بالصّفات التّي تجعله يمثّل حقلا دلاليّا، لذا أمكن تناوله بالتّحليل وفق آليّات نصيّة منهجيّة تحيط بكل مكوّناته.

- **خاتمة:**

وأخيرا.. يمكننا القول إنّ المناهج النّقديّة المعاصرة وسيلة لتناول الظّاهرة الأدبيّة، فقد بدأت الدّراسات بالخطاب الأدبيّ ثم صارت ممارسة نقديّة لازمت هذا الخطاب، تطوّرت إلى مناهج النّقد السّياقيّة والنّسقيّة. تحاول البحث عن مقصديّة الكاتب واستقصاء تجلّيات الخطاب الأدبيّ، واستقراء الظّواهر الفنّية، والفضاءات النّصيّة داخل العمل الأدبيّ، لهذا نجد فرض أيّ منهج على خطاب أو عمل أدبيّ ما كفيل بالإحاطة بعمليّة نقديّة، تتأتّى من خلال عمل النّاقد الذّي يتحرّى الموضوعيّة والرّوح العلميّة في التّعامل مع الظّاهرة الأدبيّة، لأنّه تعامل مع الذّات المنتجة وسط بيئة سياسيّة واجتماعيّة وتاريخيّة..

وعليه نجد النّاقد المعاصر يصول ويجول وسط المناهج النّقديّة المعاصرة "الأسلوبيّة أو البنيويّة، التفكيكيّة أو السّيميائية، أو التّداولية" وغيرها من المناهج التّي تهتمّ بالنّص أو بالنّسق، وفق آليّات واجراءات تحقّق الهدف من المقاربة والقراءة النّقديّة التّي يكتسبها النّاقد من خلال الممارسة والتّكرار على مختلف النّصوص الأدبيّة الشّعرية أو السّردية.

استطاعت هذه المناهج النّقديّة المعاصرة أن تعطي دفعا حقيقيّا للنّقد الأدبيّ بما حفلت به من آليّات وإجراءات قادرة على اقتحام بواطن النّص الأدبيّ، والوقوف عند جماليّاته، فضلا عن ترسيخها لمبدأ حريّة القارئ النّاقد التّي من شأنها أن تسمح بتعدّديّة القراءة وتنوّعها وفقا لثقافة هذا القارئ أو ذاك. وبذلك يصبح النّص الأدبيّ فسيفساء من المناهج النّقديّة التّي تؤسّس لقراءة متجدّدة.

وتتأتّى أهميّة التّكامل بين المناهج النّقديّة المعاصرة من كونها الوسيلة القادرة على تنظيم البحث النّقديّ من خلال إجراءات محدّدة، ووفق طرائق نقديّة خاصّة، ولا يسع النّاقد الاستغناء عن هذه المناهج، لكون الظّاهرة الأدبيّة بحاجة ماسّة إلى منهج أو أكثر ليستهدي بها النّاقد إذا ما أراد أن يكون عمله جادّا تؤطّره نظريّة واضحة المعالم، وخاصّة إذا كان العمل أكاديميّا، فإنّه يستدعي أكثر من منهج نقديّ لبلورة رؤيته الخاصّة.

فالتّمرس على منهج معيّن دون غيره من شأنه أن يخلق مشكلة القصور في الطّرح الفكريّ لقراءة النّصوص بموضوعيّة نقديّة، كما يضيق الخناق على النّاقد العربيّ، ويجعله في حيّز نقديّ محدود الأفق يحدّ من نظرته للنّصوصّ ونقدها، ومتخوّفا من تحدّي الإشكالات المنهجيّة التّي تعترض تحليلها للخطابات الرّوائيّة...

وما يبدو هو أنّ معظم النّقاد والمهتمّين بالدّرس الأدبيّ العربيّ لم يتمكّنوا من ممارسة النّظريّات الغربيّة وتجسيدها على خصوصيّات الثّقافة والنّصوص العربيّة، وبهذا تكون دعوتهم لتأسيس مشروع نقديّ خاصّ الأمر الضّروريّ، الذّي يجمع بين الاغتراف من أصول غربيّة وفي الوقت نفسه الاتّكاء على التّراث العربيّ، وفق أدوات إجرائيّة منهجيّة حديثة تتناول الخطاب الأدبيّ بجماليّاته، وقفت على المعالجة التّطبيقيّة للنّصوصّ الإبداعيّة...

• قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

الكتب باللّغة العربيّة:

1. إبراهيم أحمد ملحم، الخطاب النّقدي وقراءة التّراث نحو قراءة تكامليّة، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط1، 2007.
2. ابن رشد، تلخيص كتاب المقولات، تح: محمود قاسم، الهيئة المصريّة العامّة، ج2، 1980.
3. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار الجيل، دط، دت.
4. أحمد الزعبي، في الإيقاع الرّوائي (نحو منهج جديد في دراسة البنية الرّوائية)، دار المناهل، بيروت، لبنان، ط1، 1995.
5. أحمد طالب، الفاعل في المنظور السّيميائي (دراسة في القصّة القصيرة الجزائريّة)، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2002.
6. أحمد طالب، المنهج السّيميائي من النّظريّة إلى التّطبيق، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، ط1، بت.
7. أحمد مطلوب، في المصطلح النّقدي، منشورات المجمّع العلمي، بغداد، دط، 2002.
8. الخطيب القزويني، ابن يعقوب المغربي، بهاء الدّين السّبكي، شروح التّلخيص، دار الهادي، بيروت، لبنان، ج 4،ط4، دت.
9. السّعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي -دراسة سيميائيّة- "غدا يوم جديد" لعبد الحميد بن هدّوقة، منشورات الاختلاف، ط1، دت.
10. السّيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء العرب، مؤسّسة المعارف، بيروت، دط، دت.
11. السيّد علوي بن أحمد السقّاف، الفوائد المكيّة فيما يحتاجه طلبة الشافعيّة من المسائل والضّوابط والقواعد الكليّة، مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطّبعة الأخيرة، بت.
12. الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دار إحياء التّراث العربيّ، لبنان، ج1، ط1، 1997.
13. بسّام قطّوس، سيمياء العنوان، وزارة الثّقافة، عمّان، الأردن، ط1، 2001.
14. بن غنيسة نصر الدّين، فصول في السّيميائيّات، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، ط1، 2011.
15. جابر عصفور، آفاق العصر، دار الهدى للثّقافة والنّشر، سوريا- دمشق، ط1، 1997.
16. جميل حمداوي، السّيميولوجيا بين النّظريّة والتّطبيق، دار الرّيف للطّبع والنّشر الإلكتروني ، النّاظور، المغرب، ،ط2، 2020.
17. حسن محمّد حمّاد، تداخل النّصوص في الرّواية العربيّة (بحث في نماذج مختارة)، دراسات أدبيّة، مطابع الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، دط، دت.
18. حميد لحمداني، بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبي، المركز الثّقافي العربي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط1، 1991.
19. حياة جاسم محمّد، نظريّات السّرد الحديثة، دار الحور، بيروت، دط، 2001.

20. خالد حسين حسين، العنونة الروائيّة، من مجال التّسمية إلى النّصية، جريدة الأسبوع الأدبي، إتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، ع1067، تاريخ 11|08|2007.
21. رابح بوحوش، الأسلوبيّات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنّابة، دط، دت.
22. رشيد بن مالك، البنية السّردية في النّظرية السّيميائيّة، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2000.
23. رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التّحليل السيّميائي للنّصوص، دار الحكمة، دط، 2000.
24. رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائية السّردية، دار القصّة للنشر، الجزائر، دط، 2000.
25. ريمون طحّان، الألسنيّة العربيّة، دار الكتاب اللّبنانيّ، لبنان، ط2، 1981.
26. سعيد بنكراد، السّيميائيّات السّرديّة مدخل نظري، منشورات الزّمن، الرباط، المغرب، ط1، 2001.
27. سعيد بنكراد، السّيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزّمن، الدّار البيضاء، دط، 2003.
28. سعيد بنكراد، سيميولوجيا الشّخصيّات السّردية (رواية الشّراع والعاصفة لحنّا مينة نموذجا)،دار مجدلاوي ، عمّان، الأردن، دط، 2003.
29. سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّرديّة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2000.
30. سعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، دراسة سيميائيّة لرواية غدا يوم جديد، عبد الحميد بن هدّوقة، منشورات الاختلاف، دط، 2000.
31. سعيد يقطين، الأدب والمؤسّسة والسّلطة، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، بيروت لبنان، ط1، 2002.
32. سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدّمة للسّرد العربيّ، المركز الثقافي العربيّ، الدّار البيضاء، ط1، 1997.
33. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي من منظور النّقد الأدبي، المركز الثّقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1989.
34. سعيد يقطين، قال الرّاوي، البنيات الحكائيّة في السّيرة الشّعبية، المركز الثّقافي العربي، بيروت، دط، 1997.
35. سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت.
36. شعيب حليفي، الرّحلة في الأدب العربي، التّجنيس آليات الكتابة، خطاب المتخيّل، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.
37. صلاح فضل، مناهج النّقد المعاصر، ميريت للنّشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2002.
38. عبد الحميد العابد، مباحث في السّيميائيّات، دار القرويّين للطّباعة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2008.
39. -عبد الحميد بورايو، التّحليل السّيميائي للخطاب السّردي، دار النّشر والتّوزيع، الجزائر، دط، دت.
40. عبد الحميد بورايو، الكشف عن المعنى في النّص السّردي- النّظرية السّيميائيّة السّردية - غريماص، كورتيس، باط، دار السّبيل للنّشر والتّوزيع، دط، 2008.
41. عبد الرزّاق الزّاهير، المحكي الفيلمي- قراءة سيميائيّة، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، ط1، 1994.
42. عبد السّلام المسدّي، الأسلوبيّة والأسلوب، الدّار العربية للكتاب، ط3، بت.
43. عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النّص الرّوائي، (مقاربة نظريّة)، مطبعة الأمنية، المغرب، ط1، دتّ.
44. عبد الغني بارة، إشكاليّة الحداثة في الخطاب النّقدي العربي المعاصر – مقاربة حواريّة في الأصول المعرفيّة، الهيئة المصريّة للكتاب، دط، 2005.

45. عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النّص، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، دار الأديب، وهران، الجزائر، 2006.
46. عبد القادر شرشار، مدخل إلى السّيمائيّات السّردية (نماذج وتطبيقات)، منشورات الدّار الجزائريّة، الجزائر، دط، 2015.
47. عبد القادر فيدوح، دلائليّة النّص الأدبيّ، ديوان المطبوعات الجامعيّة وهران، ط1، 1993.
48. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المعرفة، الجزائر، بط، 1991.
49. عبد الله إبراهيم، السّردية العربيّة (بحث في البنية السّردية للموروث الحكائيّ العربيّ)، المركز الثّقافي العربيّ، ط1، 1995.
50. عبد الله ابراهيم، موسوعة السّرد العربي، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005.
51. عبد الله الغذّامي، تشريح النّصّ، مقاربات تشريحيّة لنصوص شعريّة معاصرة، دار الطّليعة للطّباعة والّنشر، بيروت، ط1، 1987.
52. عبد المالك أشهبون، العنوان في الرّواية العربيّة، دار النّايا للنّشر والتّوزيع، ودار محاكاة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا، ط01، 2011.
53. عبد المالك مرتاض، بنية الخطاب الشّعريّ، دراسة تشريحيّة لقصيدة أشجان يمنيّة، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1986.
54. عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السّردي، معالجة تفكيكيّة سيميائيّة مركّبة لرواية "زقاق المدق"، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، دط، 1995.
55. -عبد المالك مرتاض، دراسة سيميائيّة تفكيكيّة لقصيدة أين ليلاي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، دط، 1992.
56. عبد المالك مرتاض، في نظريّة الرواية، بحث في تقنيات السّرد، عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر، دط، 1998.
57. عبد المالك مرتاض، قضايا الشّعريات، هيئة أبو ظبي للثّقافة و التراث، أكاديميّة الشّعر، ط1، 2011.
58. عبد المجيد نوسي، التّحليل السّيميائي للخطاب الرّوائي، شركة النّشر والتّوزيع، الدّار البيضاء، دط، 2002.
59. عصام خلف كامل، الاتّجاه السّيميولوجي ونقد الشّعر، دار فرحة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
60. عيّاض عبد الرّحمن الدّوري، دلالات اللّون في الفن العربي الإسلامي، دار الشّؤون الثّقافة العامّة، بغداد، العراق، ط1، 2002.
61. فيصل الأحمر، معجم السّيميائيّات، الدّار العربية للعلم، ناشرون منشورات الاختلاف، ط1، 2010.
62. قادة عقّاق، السّيميائيّات السّرديّة، النّشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، دط، 2016.
63. محمّد الدّاهي، سيميائيّة السّرد، بحث في الوجود السّيميائي المتجانس، روية للنّشر والتّوزيع، القاهرة، دط، 2009.
64. محمّد القاضي، معجم السّرديات، دار محمّد علي للنّشر، تونس،ط1، 2010.
65. محمد النّاصري العجيمي، في الخطاب السّردي نظريّة غريماس Greimas، الدّار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1993.
66. محمّد عزّام، النّقد والدّلالة نحو تحليل سيميائيّ للأدب، وزارة الثّقافة، دمشق، دط، 1996.
67. محمّد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري، (استراتيجيّة التّناص)، المركز الثّقافي العربي، المغرب، ط3، 1992.

68. محمّد مفتاح، ديناميّة النّص (تنظير وإنجاز)، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط2، 1990.
69. محمّد ناصر العجيمي ، في الخطاب السّردي نظريّة غريماس، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، دط، 1991.
70. مراد عبد الرّحمن مبروك، جيويوتيكا النّص الأدبي –تضاريس الفضاء الرّوائي، دار الوفاء، الإسكندريّة، ط6، 2002.
71. مشوح وليد، الصّورة الشّعرية عند عبد الله البردوني، منشورات إتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 1996.
72. مصطفى ناصيف، اللّغة والتّفكير والّتواصل، عالم المعرفة/ المجلس الوطني للثّقافة والفنون، الكويت، دط، 1995.
73. منذر عيّاشي، اللّسانيات والدّلالة "الكلمة"، مركز الإنماء الحضاريّ، حلب، ط1، 1996.
74. نادية بوشفرة، مباحث في السّيميائيّة السّرديّة، الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تيزي وزو، الجزائر، دط، 2008.
75. نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربيّة المعاصرة، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط01، 2007..
76. نصر حامد أبو زيد، مفهوم النّص، دراسة في علوم القرآن، المركز الثّقافي العربي، لبنان/ المغرب، ط6، 2005.
77. هيثم سرحان، الأنظمة السّيميائيّة: دراسة في السّرد العربيّ القديم، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، 2008.
78. وافية بن مسعود، السّرديات المقارنة: المرجعيّات و المفاهيم، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، الجزائر، جانفي 2016.
79. يوسف أحمد، القراءة النّسقيّة ومقولاتها النّقديّة، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، دط، 2002.
80. يوسف وغليسي، الخطاب النّقدي عند عبد الملك مرتاض، إصدارات رابطة إبداع الثّقافيّة، دار البشائر للنّشر والاتّصال، الجزائر، دط، 2002.

الكتب المترجمة:

1. أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التّعاضد التّأويلي في النّصوص الحكائيّة)، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، ط1، 1996.
2. بدر الدّين الزّركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تر: محمّد تامر، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
3. بيتر دوميجر، تحليل الرّواية، تر: غسّان شديد، مجلّة العرب والفكر العالمي . ي . ع 5، شباط 1989.
4. تزفيتان تودوروف: مفاهيم سرديّة، تر: عبد الرّحمن مزيان، منشورات الاختلاف، ط1، 2005.
5. تزفيتان تودوروف، مقولات السّرد الأدبي، طرائق تحليل السّرد الأدبي، تر: الحسين سبحان، فؤاد صفا، منشورات اتّحاد الكتّاب المغرب، الرّباط، ط2، 1992.
6. جاكبسون وآخرون، التّواصل نظريّات و مقاربات، تصدير عبد الكريم غريب، تر: عزّ الدّين الخطّابي و زهور حوتي، منشورات عالم التّربية، الجزائر، ط1، 2007.

7. جان كلود جيرو، السيميائية نظرة لتحليل الخطاب، تر: رشيد بن مالك، مجلة الحداثة، جامعة وهران، الجزائر، عدد4/ 1996.
8. جان كلود كوكي، السّيميائية مدرسة باريس، تر: رشيد بن مالك، دار الغرب للنّشر، دط، دت.
9. جوزيف كورتيس، السّيميائيّة من "بروب" إلى "غريماس"، تر: جمال حضري، المكتسبات والمشاريع، مجلّة الآداب العالمية.
10. جوزيف كورتيس، مدخل إلى السّيميائية السّردية والخطابية، تر: جمال حضري، الدّار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، ط1، 2007.
11. جوناثان كلر، الشّعرية البنيويّة، تر: السّيد إمام، دار شرقيآت، القاهرة، ط1، 2000.
12. جيرار جينيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر: محمّد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلمي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2، 1997.
13. جيرار جينيت، عتبات من النّص إلى المناص، تر: عبد الحق بلعابد، منشورات الاختلاف والدّار العربيّة للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2008.
14. دانيال باط، المربّع السّيميائي والتّركيب السّردي، تر: عبد الحميد بورايو، جامعة فندربيلت، الولايات المتّحدة/جامعة الجزائر، دط، دت.
15. روبرت شولز، السّيمياء والتّأويل. تر: سعيد الغانمي، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، عمان، دط، 1994.
16. شلوميت ريمون كنعان، التّخييل القصصي في الشّعرية المعاصرة، تر: لحسن أحمامة، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، الدّار البيضاء، ط1، 1995.
17. فانوسون جوف، شعريّة الرّواية، تر: لحسن لحمامة، دار التّكوين للنّشر، دمشق، ط1، 2012.
18. ميشال آريفي وآخرون، السّيميائيّة أصولها وقواعدها، تر: رشيد بم مالك، مر: عزالدّين مناصرة، منشورات الاختلاف، طبع المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية، دط، 2002.
19. ميشيل فوكو، نظام الخطاب، تر: محمّد سبيلا، دار التّنوير للطّباعة والنّشر، لبنان، ط1، 1984.
20. والاس مارتن، نظريّات السّرد الحديثة، تر: حياة جاسم محمّد، المجلس الأعلى للثّقافة، المشروع القومي للتّرجمة، دط، 1998.
21. هامون فيليب، سيميولوجيّة الشّخصيات الرّوائية، تر: سعيد بنكراد، تحقيق: عبد الفتّاح كيليطو، دار كرم الله للنّشر والتّوزيع، دط، دت.

الكتب باللّغة الأجنبيّة:

1. A. Hénault, Histoire de la Sémiotique, Paris, éd. P.U.F.,1er éd., 1991.
2. A.J.Greimas, Comment définir les indéfinis?, Essais de description Sémantique, In, M.Arrivé et J.C. Chevalier, La grammaire, Lectures, Paris, éd. Klincksieck, 1975.
3. A.J.Greimas: Du Sens (Essais Sèmiotiques), èditions du Seuil, Paris, 1970.
4. A.J.Greimas: Du Sens 2, Essais Sèmiotiques, èditions du Seuil, Rue Jacob. Paris, 1970.
5. AJ Greimas : Sémantique Structurale, Larousse, Paris, 1966.
6. André Gardiens, Le récit Filmique, Hachette, Paris, 1993

7. Courtès: Analyse Sèmiotique des discours, Hachette, Paris, 1990.
8. F.De Saussure , Cours de linguistique General, Paris , Payot, 1978.
9. F. Rastier, Essais de Sémiotique discursive, Paris, éd. Mame, 1973.
10. F. Rastier, Sémantique interprétative, Paris, éd. P.U.F. , 1987.
11. François Rastier, Systématique des isotopies, in sémiotique poétique ; Larousse, Paris, 1972.
12. Gérard Genette, Figures 3, éditions du seuil, Paris, 1972.
13. Gèrard Genette, Seuils,coll, Poètique edition de seuils, 1987.
14. Grèimas: Du sens, essais Sèmiotiques, Seuil, Paris, 1970.
15. Groupe d'entrevernes, analyse sèmiotique des textes introduction thèorique -pratique, France, èd. Presse universitaires de Lyon, 1984
16. J. Courtes, Analyse Sémiotique du discours, Hachette, Paris, 1991.
17. J.Courtès , Introduction à la sémiologie narrative et discursive, ed, hachette , 1976.
18. Joseph Courtes: Introduction à la Sèmiotique narrative et discursive (Mèthodologie et application), Hachette, Ed n03, 1986.
19. Lucien Goldmann, Marxisme et sciences humanizes, édité par Gallimard, Paris, 1970.
20. Luis Hjelmslev: Essais Linguistiques, les editions de Minuits, Paris, 1971.
21. Michel. Mathieu, Colas, Frontiéres de la narratologie, in Poétique N65, Paris, 1986.
22. Roman Jakobson et autre, Textes des Formalistes Russes, traduit par T.Todorov, Seuil, Paris, 1965.
23. T.Todorov, et de, E. Mélétinski, L'étude structurale et typologique, trad. C. Kahn, Paris, éd. Seuil, 1970.
24. U.Eco, Lector in fabula, ou La coopération interprétative dans les textes narratifs, trad. M.Bouzaher, Paris, éd. Gassete & Fasquelle, 1985.
25. Vladimir propp : Morphologie du conte, Édition du Seuil, 1965,1970, Paris.

المجلّات والملتقيات:

1. بوجمعة بوبعيو، النّص الشّعريّ بين الإبداع والمتلقّي، مجلّة المعرفة السّوريّة، السّنة الثلاثون 332، مايو 1991.
2. ثامر فاضل، مقاربات النّقاد المعاصرين، كتابات معاصرة، المجلّد 1، العدد 2، أذار 1989.
3. جمال بلعربي، بعض المفاهيم الأساسيّة في السّيميائيّة العامّة، مجلة بحوث سيميائيّة، مخبر عادات وأشكال التّعبير الشّعبي بالجزائر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربيّة، الجزائر، العددان: 5 و6، ماي 2009.
4. رشيد بن مالك، الأصول اللّسانية والشّكلانيّة للنّظرية السّيميائيّة -مجلة اللّغة والأدب- ع14، 1999.
5. سعيد يقطين، المصطلح السّردي العربي، قضايا و اقتراحات، مجلّة نزوى، بيروت، ع21، 2000

6. عالية قليل إبراهيم، الأدوار العامليّة في الرّواية العراقيّة، دراسة وتطبيق في منهج غريماس، مجلّة كليّة الآداب، جامعة واسط، ع2.
7. عبد القادر طالب، النّقد العربي المعاصر والانفتاح على الآخر، الملتقى الوطني حول إشكاليّة المنهج في النّقد العربي المعاصر، جامعة حمّة لخضر، الوادي، الجزائر، نوفمبر 2016.
8. عبد الله إبراهيم، من وهم الرّؤية إلى وهم المنهج، مجلّة الفكر العربي المعاصر، ع67-68.
9. عبد المجيد دقباني، دلالات السّيميائيّة السّردية في القصيدة الشّعبية، حيزيه لابن قيطون أنموذجا، الملتقى الدّولي الخامس، منشورات الجامعة 15، 16 نوفمبر، 2008.
10. علي زغينة، مناهج التّحليل السّيميائي، محاضرات الملتقى الوطني الأوّل، السّيمياء والنّصّ الأدبيّ، منشورات جامعة بسكرة، الجزائر، 07-08 نوفمبر 2000.
11. محاضرات الملتقى الثّاني السّيمياء والنّص الأدبي جامعة بسكرة أفريل 2002.
12. محمّد مفتاح، أوّليّات منطقيّة رياضيّة في النّظريّة السّيميائيّة، مجلّة عالم الفكر، ع 5 المجلد 35، يناير – مارس، 2007.
13. واسيني الأعرج، إشكاليّة اللّغات في الجزائر، أزمة الإقصائيّة، مجلّة جسور، الجزائر، العدد 7- 10 جانفي 1991.
14. وداد بن عافية، دلائليّة التّشاكل في 'تنويعات استوائية' لسعدي يوسف، دراسة سيميو تأويليّة، الملتقى الدّولي السّادس، السّيمياء والنّص الأدبي، جامعة محمد خيضر، بسكرة.
15. وهب أحمد روميّة، شعرنا القديم والنّقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، دط، 1996.

فهرس الموضوعات..

مقدّمة ..... ص أ- ب

المحاضرة رقم 01: الخطاب والنّص في الدّراسات السّيميائيّة الحديثة ..... ص 03

المحاضرة رقم 02: التّحليل السّيميائي للخطاب السّردي ..... ص 08

- مفاهيم حول السّيميائيّة والسّرديّة والتّحليل السّرديّ ..... ص 08
- المكوّن السّردي والخطابيّ ..... ص 27
- النّموذج العامليّ ..... ص 27
- البنية السّطحيّة ..... ص 31
- البرامج السّرديّة ..... ص 38
- الحالة والتّحوّل ..... ص 40
- البنية العميقة ..... ص 42
- السّيمات ..... ص 66
- الفضاء والزّمن ..... ص 78

المحاضرة رقم 11: المربّع السّيميائي ..... ص 45

المحاضرة رقم 12: التّشاكل السّيميائي ..... ص 52

المحاضرة رقم 13: التّحليل السّيميائي للخطابين الشّعريّ والقصصيّ ..... ص 61

المحاضرة رقم 14: إشكاليّة المنهج السّيميائي في ضوء تحليل الخطاب الأدبي عامّة والرّوائيّ الجزائريّ خاصّة ...ص80

خاتمة ..... ص 93

قائمة المصادر والمراجع ..... ص 94

فهرس المحتويات .....